الهلال

يونيه ١٩٣٨



أبو العلاء المعري

فهرس الهلال

الجزء الثامن من المجلد السادس والاربعين

الهلال

الجزء الثامن ـ السنة ٤٦

أول يونيه ١٩٣٨ ـ ٢ ربيع الثانى ١٣٥٧

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

قيمة الاشتراك : مصر والسودان ٨٥ قرشا ، سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق ١٠٠ قرش ، البلدان الأخرى ١٣٠ قرشا أو ـ/١/٧ جنيه انجليزى ، أو ٦٫٥٠ دولاراً أمريكيا

AL HILAL — Cairo, Egypt

(1 June 1938)

SUBSCRIPTION RATES · *Egypt and Sudan* P.T. 85. — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6 50.

صورة الغلاف

ربما غلاف هـذا العدد بطابع البريد الذى أصدرته حكومة سوريا سنة ١٩٣٦ تخليداً لذكرى الشاعر الفيلسوف العبقرى الذى أنجبته ، وحق لها أن تفاخر باسمه وتشيد بذكره



أبو العلاء المعرى

[فى خيال الرسام]

تمهيد

يغتبط « الهلال » إذ يخرج هذا الجزء الخاص للاشادة بذكرى فحل من فحول الأدب العربى وقطب من أقطاب التفكير فى العالم

ولاغتباطه هذا أسباب نجملها فيما يلى :

أولا ــ ان فى إصدار هذا الجزء مساهمة فى إحياء مفاخر العرب الذهنية . وجدير بنا نحن الناطقين بالصاد على اختلاف مواطننا أن نحدث العالم مثل هذا الحديث بين حين وآخر ، ففيه رفع لمكانتنا وتذكير بنصيبنا من الرقى الفكرى والثقافة الانسانية

ثانياً ــ انه تكريم للفكر والتفكير وتمجيد للنزعة الشعرية ــ فى زمن شغل الناس فيه عن المعنويات بمهام العيش ونزاع البقاء . «فالهلال» يغتبط إذ يذكر بالأقدار الرفيعة والقيم الذهنية ، وإذ ينادى بتفويق النشاط العقلى على المشاغل الوضيعة الذى يستوى فيها البشر على تفاوت مراتبهم

ثالثاً ــ جاء هذا الجزء من « الهلال » كالمؤتمر للتفكير العربى . فقد اجتمع على صفحاته المفكرون من أبناء البلاد العربية على اختلاف منازعهم ــ وما أحوجنا الى تقريب المسافات بيننا وتلاقى العقول والقلوب !

* * *

وفى اعتقادنا ان « الهلال » يحسن أداء رسالته بمثل هذه الجهود،فى حين لا نغفل عن« أن مصر جزء من أوربا » يجب كذلك ألا يفوتنا أننا قد استودعناميراثاً أدبياً حقيقاً بأن نفاخر به الأمم وأن يحثنا هذا الميراث على السير فى الطريق الموصل الى أسمى مراتب الحياة وأرفع درجات الرقي

* * *

وبعد « فالهلال » يتقدم بهذا الجزء الى قرائه الكرام واعداً بمواصلة سعيه من هذه الجهة ، باصدار أجزاء خاصة كهذا الجزء حيناً بعدحين ، شاكراً للزملاء الأفاضل والاصدقاء الكرام معاونتهم فى إخراج هذا السفر الأدبى القيم ــ وفقنا الله جميعاً الى ما فيه صلاح العقول والنفوس ، والسلام

اميل زيدان

تحيــــة

بقلم صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف العمومية

تفضل حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا بافتتاح هذا السفر الممتاز بهذه الكلمة الرقيقة البليغة ، فنشكر لمعالى الوزير تحية الكريمة لجهد «الهلال» ، ورعايته المحمودة للحركة الثقافية

عزيزى محرر « الهلال »

أشارككم مشاركة صادقة فى الاحتفاء بذكرى المعرى لمرور الف عام على ميلاده . واذا كنتم قد تعجلتم هذا الاحتفاء بضع سنوات ـ لأن المعرى قد ولد سنة ٣٦٣ هـ ـ فلا ضير من ذلك ونحن فى القرن العاشر بعد ذلك الميلاد . . .

وانما يدعونى الى مشارك‍تكم فى الاحتفاء بهذه الذكرى العظيمة ما لها من معنى سام ومغزى كبير . فالاحتفاء بذكرى العظماء إنما هو احتفاء بالمجهود الانسانى الكبير الذى قاموا به وخلفوا للانسانيـــة ثمراته . ونحن إذ نحتفى بذكرى هؤلاء العظماء إنما نؤدى لهم واجب الشكر على ما نمتع به أنفسنا من هـــذه الثمرات ، كما يشكر أحدنا صاحبه حين يقوم له بعمل نافع . . .

والمعرى جدير بالاحتفاء بذكراه فى كل مناسبة . فهذا الرجل الذى عاش فى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، والذى كف بصره من جدرى أصابه فى الثالثة من عمره ، قد توفر على تمثل المعارف الاجنبية ـ اغريقية كانت أم فارسية ـ مما نقله العرب فى تلك العصور ، ثم صاغها شعراً عربياً ، وأدخلها فى حياة

قومه ، فأصبحت اليوم بعض ميزاتهم ، و بعض ما يفاخر به الناطقون بالعربية غيرهم من الامم

وقد نقل المعرى الشعر العربى فى عصره نقلة واسعة المدى : حمل الشعر من المعانى الفلسفية العميقة ومن الآراء النظرية المتباينة ، ما لم يسبقه اليه غيره من شعراء العرب إلا لماما . وقد اتهم لذلك بالزندقة آنا ، و بالالحاد آخر ، على حين اعتبره قوم على رأس أشد المؤمنين غلوا فى إيمانهم . ولا عجب فى هذا ولا فى ذاك . فتقليب الافكار وعرضها على الناس ، مطبوعة بطابع من يعرضها ،منكرة فى كثير من الأحايين ما وجد الناس عليه آباءهم ، قد كان فى عصور كثيرة و فى بلاد مختلفة ، موضع الريبة والظن ، بل موضع الاتهام والتجنى . ذلك أمر لم تنفرد به البلاد العربية ولا البلاد الاسلامية ، بل جرى حكمه على الامم كلها فى الأزمان المختلفة ، وكان فى بعض الامم سببا فى تعديل أصحاب الرأى لرأيهم ، مما نجا منه العرب والمسلمون فلم يتورطوا فيه كما تورط أهل أوربا فى القرون الوسطى

ولقد كان بودى أن أزيد فى مشاركتكم الاحتفاء بذكرى أبى العلاء على هذه الكلمة القصيرة ، لكنكم تعلمون أن التوفر على الدرس يقتضى من الطمأنينة ما ليس فيما يتيحه القدر لى فى هذا الظرف من حياتى . فاعتذر لكم ، واثقا من أن هذا العدد من « الهلال » سيتناول من البحوث ما يغنى قراءه خير غناء . .

ولكم منى أصدق التحية

محمد حسين هيكل

آبو العلاء المعرى

سطور من تاريخ حياته

* هو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى ، فهو عربي النسب من قبيلة تنوخ احدى قبائل اليمن

* ولد فى معرة النعمان ، بين حماة وحلب ، فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الاول سنه ثلاث وستين وثلثمائة للهجرة (٩٧٣ م .) . وكان أبوه عالما بارزاً ، وجده قاضيا معروفا

* جدر فى الرابعة من عمره ، فكفت عينه اليسرى وابيضت اليمنى ، وظل ضريراً لا يرى من الألوان الا الحمرة ، اذ كان آخر لون رآه لون ثوبه المعصفر الذى لبسه وهو مريض

* تلقى على أبيه مبادىء علوم اللسان العربى ، ثم تتلمذ على بعض علماء بلدته . وكان حاد الذكاء قوى الذاكرة فيحفظ كل ما يسمع من مرة واحدة

* ثم اعتكف فى بيته حتى بلغ سن العشرين ، مكبا على درس اللغة والادب ، حتى أدرك من دقائق التعبير وخواص التركيب ما لا مطمع بعده للغوى أو أديب . وقد بدأ يقرض الشعر وما زال فى سن الحادية عشرة

* وفى سنة ٣٩٢ هـ . غادر قريتــه قاصداً بلاد الشام . فزار مكتبة طرابلس التى كانت فى حوزة آل عامر ، وانقطع اليها فترة طويلة فانتفع بما فيها من أسفار جمة

* ثم زار اللاذقية وعاج على دير بها ، وأقام فترة بين رهبانه فدرس عليهم أصول المسيحية واليهودية ، وناقشهم في شتى شئون الاديان ، وبدأ حينئذ شكه وزيغه فى الدين

* وقصد بعد ذلك بغداد ، وهى مستقر العلم ومثابة العلماء فاحتفى به البغداديون وأقبلوا عليه . فأقام بينهم فترة طويلة يدرس مع علمائهم الاحرار الفلسفة اليونانيـة والحكمة الهندية ، ويعرض آراءه ويذيع مبادئه على جمع من التلاميذ لازموه وتشيعوا له

* وكان قد فقد أبيه فى سن الرابعة عشرة ، فلما فقد أمه كذلك وهو فى بغداد وجد عليها وجداً مبرحا ، وأحس الخطوب الداهمة تترى عليه بغير ذنب جناه ، فبدأ ينظر الى العالم نظرة السخط والمقت والازدراء ، ورأى من الخير أن يعتزله ويزهد فيه

* فعاد الى بلدته سنة ٤٠٠ ، واحتجز نفسه فى كسر داره ، وسمى نفسه رهين المحبسين: العمى والمنزل

* وظل معتقلا عن الناس ما عدا تلاميذه ، دائبا على البحث والتعليم والكتابة . فأخرج مجموعة ضخمة من التواليف ذهبت بأكثرها ريح الحروب الصليبية

* وأشهر كتبه : (١) ديوان سقط الزند ويضم شعر شبابه (٢) ديوان اللزوميات ويضم شعر كهولته (٣) رسالة الغفران وهى قصة خيالية فريدة فى الادب العربى (٤) ديوان رسائله ورسالة الملائكة والدرعيات (٥) كتاب الفصول والغايات . وقد فقد كتاب « الأيك والغصون » وهو موسوعة فى العلم والأدب تتألف من مائة مجلد ، شرح ديوان المتنبى « معجز احمد » ، وشرح ديوان البحترى «عبث الوليد» ، وشرح ديوان أبى تمام « ذكرى حبيب »

* كان زاهداً فى ملذات الحياة ، فظل ٤٥ سنة لا يأكل الحيوان ولا ما ينتج من لبن وبيض ، قانعا من الطعام بالعدس ومن الحلوى بالتين ، ومن المال بثلاثين ديناراً فى العام يستغلها من عقار له

* كان متوهج الذكاء مرهف الذاكرة ، وكان كريم الخلق رقيق القلب ، ولكنه كان يسىء الظن بالناس ويحذرهم ، ويمقت الدنيا ولا يرى فيها إلا الشرور والآثام

* أما عقيدته فقد اختلف فيها الناس فمنهم من زعم انه متصوف ، لكلامه باطن وظاهر ، ومنهم من زعم انه كافر ملحد ، والغالب انه كان متشككا متحيراً ففى شعره ما يدل على الايمان وما يدل على الكفر

* وقد أبى أن يتزوج لئلا يجنى على ابنه ما جناه عليه أبوه . ولما مات سنة ٤٤٩ وقف على قبره مائة وثمانون شاعرا فيهم الفقهاء والمحدثون والمتصوفون ، وقد أوصى أن يكتب على قبره :

هــذا جناه أبى على   وما جنيت على أحد

المعرّى: أشاعر أم فيلسوف

بقلم الدكتور طه حسين بك
عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية

« . . . أبو العلاء شاعر فى فلسفته وفيلسوف فى شعره . قد جمل الفلسفة بما أسبغ عليها من الفن ، ومنح الشعر وقاراً ورزانة بما أشاع فيه من الفلسفة . وهو من هذه الناحية فذ فى أدبنا العربى . . . »

سؤال كان يلقيه على أحد الأصدقاء ذات يوم كنا نتحدث فيه عن هذا الجزء الذى تخصصه « الهلال » لأبى العلاء وعن بعض ما سينشر فيه من الفصول

وكان صديقى يريدنى على ان أجعل هذا السؤال موضوعا للفصل الذى سأرسله الى الهلال لأشترك فى هذه التحية التى يهديها الأدباء الى نابغة الأدب العربى . وقد ألقيت هذا السؤال على نفسى منذ أكثر من عشرين سنة ، وأجبت عليه بأن أبا العلاء شاعر وفيلسوف معا ، وبأنه أكثر من الشاعر والفيلسوف ، فهو كاتب ، وهو أديب ، وهو عالم باللغة على أدق ما كان العرب يفهمون هذه الالفاظ فى عصره

وقد مرت الأعوام واختلفت الظروف وعرفت أشياء كنت أجهلها ، وجهلت فى أكبر الظن أشياء كنت أعرفها ، ولكن رأيى لم يتغير فى أبى العلاء ، فما زلت أراه شاعراً وفيلسوفا وكاتبا وأديبا وعالما باللغة أيضا . ولعل رأيى فيه قد ازداد قوة ، ولعل اقتناعى باضافة هذه الخصال اليه لم يكن فى يوم من الأيام أقوى مما هو الآن ، كما يقول المتجادلون فى السياسة عندنا بين حين وحين

ومن الحق أن أحداً من الناس لم يجادلنى فى ان أبا العلاء شاعر أو كاتب أو أديب أو عالم باللغة ، ولكن من الناس من جادلني فى ان أبا العلاء فيلسوف ، ولعل اشدهم لى مجادلة فى ذلك الاستاذ نيكولسن المستشرق الانجليزى المعروف . فهو لا يرى فى حكمة أبى العلاء التى تمتلىء بها اللزوميات والتى تشيع فى غير اللزوميات من كتبه مظهراً من مظاهر الفلسفة كما يفهمها أهل هذا العصر الحديث ، وانما يراها حكمة عادية تقوم على التأمل والتفكير

وأخص ما يحول عنده بين أبي العلاء وبين لقب الفيلسوف انه لم يقم لنفسه مذهبا فلسفيا واضح

الاعلام متميز النواحى متصل الاجزاء ، نستطيع أن نبينه ونرسم حدوده كما نبين المذاهب الفلسفية ونرسم حدودها حين نتحدث عن افلاطون أو ارسطاليس أو أى فيلسوف من فلاسفة العصر الحديث

فالاستاذ نيكولسن يرى إذن من الاسراف وصف أبى العلاء بأنه فيلسوف ، ووصف اللزوميات بأنه كتاب من كتب الفلسفة . ومع ذلك فأبو العلاء فيلسوف وكتاب اللزوميات كتاب فلسفى ما اشك فى ذلك ولا اتردد فى اعلانه والجدال عنه ، وكل مافى الأمر اننا محتاجون الى أن نتفق على معنى الفيلسوف وعلى معنى الفلسفة حين نضيف اليها كتابا كاللزوميات . وقد أذكر انى حددت منذ أكثر من عشرين سنة هذين المعنيين حين أضفتهما الى حكيم المعرة وفهمتهما على نحو ما كان يفهمهما القدماء من اليونان والعرب . فالفيلسوف عندى هو الرجل الذى يبحث عن الحق ما استطاع ، فاذا استكشفه أو استكشف ما يعتقد انه الحق ، لائم بين علمه وعمله ورتب حياته اليومية على ما يهديه اليه عقله من حقائق الأشياء وأصول الاخلاق . وفهمت من الفلسفة ما كان يفهمه منها قدماء اليونان والعرب أيضا ورتبتها على نحو ما كانوا يرتبونها ، فقسمتها الى فلسفة طبيعية وفلسفة رياضية وفلسفة الاهية وفلسفة عملية . ثم رأيت ان أبا العلاء قد كان فيلسوفا بهذا المعنى الذى كان به فلاسفة اليونان والعرب فلاسفة ، وان كتاب اللزوميات قد كان فلسفيا بنفس المعنى التى كانت به الكتب المختلفة التى وضعها الفلاسفة كتبا فلسفية . ولكنه كان يزيد عليه شيئا يرفع من مرتبته ويعلى من منزلته ويجعله ممتازاً بين كتب الفلسفة بنفس هذه الخصلة التى امتازت بها قصيدة لوكريس فى طبيعة الاشياء ، وهى الميزة الفنية العليا — ميزة الشعر

أما ان أبا العلاء كان فيلسوفا بهذا المعنى القديم فما أحسب ان احداً يستطيع أن ينكر ذلك أو يجادل فيه ، فقد أفنى ابو العلاء عمره بحثا عن الحق ، ولعله بذل فى ذلك من الجهد الشخصى الممتاز ما لم يبذله كثير من الفلاسفة الذين لا يجادل أحد فى اضافة الفلسفة اليهم . ذلك ان أبا العلاء لم يكن فيلسوفا مقلداً ، أو قل — اذا أردت الدقة فى التعبير — انه لم يكن منتميا الى مذهب بعينه من مذاهب الفلاسفة يؤمن بأصوله المقررة ويضيف اليه ما يستكشفه بعد البحث والاجتهاد ، وانما كان مفكراً بأوسع معنى لهذه الكلمة ، يتعمق التفكير فى كل ما يعرض له من المسائل ، وكان مستعرضا لكل المذاهب الفلسفية التى عرفها المسلمون فى عصره يلم بها جميعا فيأخذ منها ويدعها ، ثم يدع ما أخذ ويأخذ ماترك ، حتى كانت حياته كلها — ولا سيما بعد العزلة — تفكيراً متصلا ونقداً مستمراً وتنقلا بين الآراء والمذاهب الفلسفية واستكشافا لأشياء لعل القدماء لم يسبقوه اليها . فانت لا تستطيع أن تقول إنه كان افلاطونيا ، أو انه كان من أصحاب ارسطاليس ، أو انه كان من أصحاب الرواق ، أو انه كان من أصحاب ابيقور ، ولكنك تستطيع أن تقول انه كان من هؤلاء جميعا ، يأخذ من كل فريق منهم ما يرضيه وما يلائمه فى اللحظة التى يفكر فيها . بل أنت لا

تستطيع ان تقول انه كان فيلسوفا على الطراز اليونانى ، أو على الطراز الاسلامى اليونانى ، ولا أن تقول انه كان فيلسوفا على الطراز الهندى ، أو على الطراز الفارسي ، ولكنه كان فيلسوفا على طراز هذه الامم جميعا . يأخذ من فلاسفة اليونان ومن فلاسفة المسلمين ومن حكماء الفرس والهند ، ثم لايكفيه ذلك فيشارك فى فقه الفقهاء وحديث المحدثين وكلام المتكلمين وتصوف المتصوفة وتشيع الشيعة ، ثم لا يكفيه هذا كله بل يشارك فى علوم اللغة ويقرب هذه العلوم الى الفلسفة ويخضعها للفلسفة ، ويستخرج منها نظاما فلسفيا طريفا ما زال فى حاجة الى من يفرغ له ويوفيه حقه من البحث والدرس

لم يكن ابو العلاء إذن فيلسوفا متبعا أو مقلداً ، أو مقصوراً على مذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق ، وانما كان متخيراً : كان أشبه بالنحلة التى تنتقل بين الزهر لا فى هذه الروضة أو تلك ، بل فى كل ما يمكن أن تلم به من الرياض ، فتأخذ من كل زهرة تقف عندها ، ومن كل روضة تلم بها ، وتسيغ هذا كله وتستخلص منه هذه الفلسفة الغريبة المختلفة المتناقضة التى تمتلىء بها اللزوميات والتى تنتثر وتنتظم فيما الف من الكتب المختلفة

كان الرجل جاهداً فى التماس الحق والبحث عنه ، وكان صادق الجهد خالص النية فى هذا البحث ، وكان ملائما بين ما يستكشف من الحق وما يأخذ نفسه به من قوانين الحياة اليومية . وأغرب ما نجده عند أبى العلاء هو أنه على كثرة تنقله بين مذاهب الفلسفة التى عرفتها الأمم المتحضرة كلها ، وعلى كثرة ما نجد فى آرائه من التناقض والأضطراب ، قد رسم لنفسه خطة عملية لم تتغير ، وفرض على نفسه سيرة لم يبلها الاضطراب ، وانما لزمها منذ عاد من بغداد الى أن فارق الدنيا ، لم ينحرف عنها يوما أو بعض يوم . فقد اضطربت حياته العقلية أشد الاضطراب ، وهدأت حياته العملية أشد الهدوء ، وكان هذا التناقض بين الحياة العملية الهادئة الراكدة والحياة العقلية الثائرة الجامحة ، مظهر شذوذ أبى العلاء ، ثم مظهر نبوغه وتفوقه وامتيازه على كل من أنتجت الحياة العقلية الاسلامية من الفلاسفة والشعراء . ذلك أنه لم يكن فيلسوفا فحسب ، ولو كان شاعراً ليس غير لاضطربت حياته العملية كما اضطربت حياته العقلية ولكنه جمع بين الخصلتين : جمع التفوق العقلى الذى هداه الى غرور الحياة وأقنعه بالهدوء والعزلة والتخفف من الأثقال ، الى التفوق الفنى الذى دعاه الى التفكير فى كل شىء والنقد لكل شىء والتصوير لكل ما أساغه والتعبير عن كل ما تصوره فى صورة فنية رائعة ، كما كان الناس يتصورون الروعة فى ذلك الوقت

وقد كنت أقرأ منذ حين فصلا رائعا لبول فاليرى عن الفنان العظيم ليونارد دى فنشى . وقد حاول بول فاليرى فى هذا الفصل أن يقرب بين ليونارد وبين الفلسفة ، بل أن يجعله فيلسوفا ، غاية الأمر أنه أعرب عن فلسفته باثاره الفنية التصويرية ولم يعرب عنها بما تعود الفلاسفة أن

(البقية فى صفحة ٩٥٩)

خصائص أبي العلاء — دلالة شعره ونثره على لغويته — مشاركته في
مباحث اللغة — تواليفه في النحو — شروحه للدواوين ولكتبه —
لغويته في رسالة الغفران — المثال الرائع لتمكنه من اللغة — الدعوة الى البحث

أبو العلاء اللغويّ

بقلم الدكتور محمد توفيق رفعت باشا
رئيس المجمع الملكي للغة العربية

— ١ —

جميل أن يحتفى رجالات العلم والأدب بمضى نحو من سنين ألف ، على وفاة أبي العلاء ، فان الاحتفاء بذلك وسيلة الى تهيئة الاذهان للتزود ، وتجريد الاقلام للبحث ، وبعث الهمم للاطلاع . على أنه ما يكون لهذا الاحتفاء أن يعزى اليه فضل احياء ذكرى العالم الشاعر المفكر ، فتلك ذكراه حية منذ كان ، وستمتد حياتها ما امتدت حياة اللسان العربي ، والفكر العربي ، فلقد كان أبو العلاء أحد أولئك الذين عاشوا مظهراً لنفاذ البصيرة ، وسمو التفكير ، وخلدت آثارهم صورة زاهية لبلاغة الفصحى

ولقد اتجهت عناية الباحثين في خصائص أبي العلاء الى ما ترك من رائع النثر والشعر ، وما حواه شعره ونثره من خطرات في الحياة تخالف مألوف الناس ، فأداروا الحديث في عقائده وآرائه ، واتخذوا من ديوانيه : اللزوميات والسقط ، ورسائله في الحكمة والأدب ، مرجعا يفسرون منه ما شاءوا ، ويتأولون فيه ما أرادوا . وتجرى بينهم — فيما يبين لهم من ذلك — ألوان المناقشة والخلاف . وكأنما استوعبت هذه الناحية جهد الباحثين ، وميل الكاتبين ، فلم يفرغوا منها ، ولم يلثنوا أعنة أقلامهم الى غيرها من خصائص أبي العلاء ، وانها لكثيرة متشعبة ، وكلها حرى بالنظر ، حرى بالبحث ومناقلة الكلام . وهكذا الشأن في كل رجل تتسق له مواهب شتى ، وينبغ في غير واحدة من نواحي النبوغ ، فان إحداها لتعظم في أعين الناس ، حتى تشغل عن أخواتها . فان عرف الرجل بغيرها عرف لماما ، لا على جهة التثبت والاستقصاء

— ٢ —

ومن خصائص أبي العلاء التي لم تجل فيها الاقلام جولتها في شاعريته أو عقيدته ، انه كان لغويا حقيقا بهذه الصفة في أوسع دلالتها ، وما يتهيأ لشاعر يبنى القصيد نظما فخما ، ونسجاً محكماً ، الا

يكون قد ضرب فى اللغة بسهم ، وطاب له منها الغنم ، وغذى من مادتها بما يوسع محفوظه من صيغها، ويغزر علمه بمسائلها ، حتى تستوى له ملكة الابانة ، وتنفسح أمامه طرق التعبير

وهذا المتنبي لم تؤثر عنه مباحث فى اللغة تدل على اتجاهه اللغوى ، ولكن شعره يشهد بأنه قد قاسم اللغويين علمهم بنتائج البحوث ، وما تجتمع عليه الكلمة من بين الآراء ، وما يستخلص من وجوه الخلاف ، وان كان لم تستدر حوله حلقة من طلاب اللغة ، ولا جرى قلمه بشىء من مباحثها . وأبو العلاء : ينازع المتنبي وأضرابه هذه الخصيصة . فمنظومه ومنثوره يشهدان أنه قد وسع اللغة مبحثا ولفظا ، وبعد شأوه فيها رواية وحفظا . الا أنه يزيد على ذلك انه قد أودع ما انتهى الينا من جمهرة آثاره المنثورة ، أطرافا من المباحث تقطع بأنه قد شارك اللغويين فى علمهم وتصرفهم ، وجاذبهم الرأى فى موضوعات النحو والتصريف والاشتقاق . فما هو بمستمع الى اللغة لتخلص له زبدتها ، تمكينا لقوله من السلامة ، وتوسلا الى عصمة لسانه من الخطأ . ولكنه يتروى أصول الالفاظ وصورها ، وينفذ الى موالج الاشتقاق ومخارجه ، ويدلى دلوه فيما حول ذلك من ضروب التفصيل ، وفنون التأويل ، وما يزال كذلك حتى يخرج : إما بالترجيح بين الآراء والاختيار ، وإما بالابتكار

فهو فى الحقيقة لغوى دائب التحصيل ، بارع التخريج ، وان ما زهدت فيه يد الحدثان من آثاره وتواليفه فى هذا الباب ، ليبوئه — بين اللغويين الأئمة — المكان العلىّ

— ٣ —

يقول ياقوت : « كان أبو العلاء عالما باللغة حاذقا بالنحو(١) »

وحقا لقد كان أبو العلاء يعرف من نفسه ذلك العلم والحذق ، فسمت به همته الى التأليف فى فروع اللغة ، وكان أهل عصره يعرفون ذلك منه ، فاقترحوا عليه أن يؤلف وأن يشرح ما ألف غيره . وهذا ثبت كتبه يقول : انه ألف فى النحو كتبا ثلاثة : « الحقير النافع » و « الظهير العضدى (٢) » و « شرح سيبويه »

وكذلك كان أبو العلاء يعرف من نفسه بصره بغريب الالفاظ ، واحسانه لتفسير المعانى ، ولباقته بتوضيح الاشارات ، وحسن عبارته فى تحرير ذلك كله . فاتجه الى دواوين الشعر يشرح من غامضها ، ويكشف عن خافيها ، ومما يذكر من كتبه فى ذلك : « الرياش المصطنعى » (٣) و « اللامع العزيزى » (٤) و « ذكرى حبيب (٥) »

وحقيق بمن يجود على آثار غيره بابانة وشرح ، ألا يضن على آثاره بمثل ذلك من الشرح

(١) معجم الأدباء — الأول — ص ١٦٢ (٢) تعليق وتكملة على كتاب يعرف بالعضدى (٣) شرح مواضع من الحماسة الرياشية عمله لأمير يلقب بمصطنع الدولة (٤) شرح شعر المتنبي ويقال هو : معجز أحمد . عمله للامير عزيز الدولة (٥) شرح الغريب فى شعر أبى تمام

والابانة . ومن ثم أبى المعرى لنفسه الا أن يملى لكتبه الشروح والتفاسير ، حتى تكون مثله فى اكتفائه بنفسه ، وترفعه عن عون الناس له ، وخدمتهم اياه . فمن كتبه : « ضوء السقط (١) » و « راحلة اللزوم (٢) » و « السادن (٣) » و « خادم الرسائل(٤) » الى غير ذلك من الكتب التى تروى لنا أخبارها ، ولا ترى آثارها

ونحن اذا استثنينا ما كان من صنيع أبى العلاء فى رسالة الملائكة ، جاز لنا أن نقول انه ليس فيما نملك من آثاره تأليف لغوى محض ، أو بحث فى كتاب مستقل . وانما استثنينا رسالة الملائكة ، لأنها على ثوبها الخيالى ، وما هى مسوقة فيه من أسلوب قصصى ، تأليف لغوى محكم فى اشتقاق أسماء الملائكة وما اليها مما يكون فى الدار الأخرى . على أن أبا العلاء لم يتخلص قط من الصبغة اللغوية الغالبة فى كل ما ألف وما أملى . فالدلالة على لغويته تنهض فيما بين أيدينا من آثاره ، وفى هذا الذى نجد ، بعض العوض مما نفقد ، وان لم يكن سوى مباحث متناثرة فى تضاعيف كتبه ، على جهة الاستطراد والوصل والالحاق ، لا قصداً فى الكتابة اللغوية والتصنيف

— ٤ —

ترك أبو العلاء فيما ترك « عبث الوليد » وكان أحد الرؤساء أرسل اليه نسخة من ديوان أبى عبادة البحترى ، ورغب اليه فى سماعها ، واصلاح ما يكون من الأغلاط بها . فأملى أبو العلاء كتابه هذا اجابة لتلك الرغبة . وقد قرأنا النسخة المخطوطة منه ، فاذا مفتتحها : « أثبت ما فى ديوان البحترى مما أصلح من الغلط الذى وجد فى النسخة ، وانما أثبت ذلك ليكون مولاى الشيخ الجليل كأنه حاضر للقراءة »

ولو اقتصر أبو العلاء على هذا لكان قد بلغ من رغبة الرئيس غايتها ، وأنى له أن يجتزىء باصلاح ما عبث به ناسخ الديوان وحده ؟ وكيف لا يجد له سماع شعر البحترى أفانين من الرأى فى الألفاظ والأساليب ، وهو المتملىء علما ودراية ، الوقاد زكانة وفطانة ؟ لا جرم أنه يملى فى مجلس القراءة عفو القريحة ، وما يسنح للخاطر . لذلك قال فى أثناء الفاتحة : « وقد وصل به ذكر شىء مما أجراه أبو عبادة من الضرورات وما يجتنبه أمثاله »

وفى الكتاب فوق ما يفى بالشرط الذى اشترط أبو العلاء من ذكر الضرورات والأغلاط ، أطارف من البحث اللغوى لا يناط بها غلط أو ضرورة ، وليس على البحترى سبيلها . وانما هى تفسير لكلمة ، أو تذكير بما يقول العلماء فى صيغة ، أو غمز لرأى مأثور فى فعل ، أو توجيه أفاده أبو العلاء لم يتنبه عليه أحد من قبل

وردت كلمة « التنين » فى بيت ، فتتابع الكلام على لسان أبى العلاء فى تخريجها ، فأرسله

---

(١) شرح ديوان « سقط الزند » (٢) شرح ديوان « لزوم مالا يلزم » (٣) شرح كتاب « الفصول والغايات » (٤) شرح مجموعة رسائله العلمية والاخوانية

رأيا طارفا لم يسبق اليه فيما نعلم . ذلك أنه يقول : « اذا حمل التنين على أنه عربى ، فاشتقاقه من التن، يقال ، فلان تن فلان : أى مثله . فكأن هذه الحية لما كانت لها أرؤس يشبه بعضها بعضا ، أخذت من التن ، لأنها متماثلة »

ولقد كان الرأى بادىء الرأى أن نعدو متن كتاب « الفصول والغايات » الى شرحه ، نتبين فيه جوانب من لغوية أبى العلاء . وانما نعدو متن هذا الكتاب لأنه غير مظنة لبحث لغوى ، اذ كان فى تمجيد الله والمواعظ . على أن أبا العلاء قد طالعنا فى فصوله تلك بأثارة من النحو والتصريف ، وهذا برهان تصبغ أبى العلاء بذلك العلم كل تصبغ ، فهو يزحم خواطره اذا فكر ، ويسرع الى لسانه اذا أملى

إليكه يتخذ من الاقرار لله بالتسديد فى القول ، تكأة ينقد بها الصرفيين فى كلمتين يجمعون حروف الزوائد بكل منهما ، مقترحا أخريين . يقول ـ ويبدع ـ : « الله مسدد القائلين . جمع من مضى حروف الزوائد ، فجعلها : « اليوم تنساه » وتلك طيرة للمتعلمين . وقال بعضهم : « هويت السمان » وتلك دعوى يحتمل أن يبطل قائلها فى دعواه ، فجمعتها فى لفظين ، لا يكذب قائلهما فيما قال . أحدهما : « التناهى سمو » والآخر « تهاوى أسلم » وربنا مزيل الشبهات » (١)

ولأبى العلاء شرح ما جاء من الغريب فى كتابه « الفصول والغايات » وثم ما شئت من دقة وإحكام ، الى جمال فى الصياغة ورونق . وأبو العلاء لا يقنع باللفظة يشرحها حتى يضح معناها ، ولكنه يتسع ويتدفق ، فيذكر ما قد يطرأ عليها من زيادة أو نقص، وما قد يكون لها من مختلف الصيغ ، وربما أتبع ذلك بالكشف عن وجوه اشتقاقها ، فجاء من ذلك بما يفوت المعجمات

جاء فى فصل لفظ « الروى » وهو الحرف الذى تبنى عليه القافية ، فأنف أن يقتصر على هذا الشرح ، كما اقتصر عليه صاحب القاموس وصاحب لسان العرب بعده ، ومضى يقول فى اشتقاقه : « قال قوم : أخذ من رويت على الرحل بالرواء ، اذا شددته ، والرواء : الحبل . ويجوز أن يكون الحرف فعيلا فى معنى مفعول : كأنه هو الذى يربط ، لأنه يعاد فى كل بيت ، وقال بعضهم : هو مأخوذ من قولك : رويت الشعر أرويه اذا حفظته (٢) »

— ٥ —

فأما رسالة الغفران ، فحشوتها مباحث لغوية نفيسة ، وانما أراد ابو العلاء أن يجهر برأيه فى هذه المباحث ، فاتخذ من التصوير الخيالى وسيلة الى الجهر والبيان . وأنطق الشعراء والعلماء فى الدار الأخرى بما يرى أنه الحق فيما يتعلق بهم ، من الاحتجاج لقول ، أو ابطال حجة ، أو

(١) ص ١٤٦ وانظر ص ١٢٢ و١٢٣ وص ٩٠ ففيها فصول تدخل فى هذا الباب
(٢) ص ٤٦٤ وانظر ص ١١٢ ، ١٨٧ ففيهما مثل هذا

تصريف نادر من لفظ ، أو شرح غريبه ، أو تبيين وجه من وجوه الاعراب ، الى غير ذلك مما يدخل فى هذه الأبواب

تخيل أبو العلاء ابن القارح ينشد عمرو بن أحمر قصيدة له على الراء ، وجاء فيها كلمة «الزبرجد»(١) فدار النقاش فى اشتقاقها ، ومظنة العلاقة بين كلمة (الزبرج) وبينها

وتخيل مجلسا حضره الاصمعى واللازنى ، فمرت بهما إوزة (٢) ، فمضيا يبحثان فى وزنها ، يستحر بينهما الجدل ، ويشتجر الخلاف . واستطرد أبو العلاء فى مطاوى الكلام الى لفظ « أهل » (٣) فبحث فى أصل وضعها والوجه فى تصغيرها

وجاء فى شعر كلمة (الكل) (٤) فاستكره أبو العلاء إدخال الالف واللام عليها ، وذكر من يجيز ذلك من ذوى العلم ، وما يستدل به على الجواز من شعر القدم

وفى رسالة الغفران مثال رائع ، يتوضح به ما أوتى أبو العلاء من غزارة المادة من اللغة ، والاقتدار على الألفاظ ، والاحاطة بالغريب ، والبراعة فى نظم الكلام . وما أحق هذا المثال بأن ينوه به ، وأن يكون فى طليعة النوادر التى يتهاداها الأدباء

ذكر ابو العلاء ما يحكى عن خلف الاحمر مع أصحابه فى هذين البيتين :

ألم بصحبتى وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسلا مصفى إذا شاءت وحوارى (٥) بسمن

ومعنى ذلك ان خلفا قال لاصحابه : لو كان موضع ام حصن : ام حفص ، ما كان يقول فى البيت الثانى ؟ فسكتوا ، فقال : حوارى بلمص . واللمص : الفالوذج (٦) . وكأنما تعاظم أبا العلاء ان تؤثر عن خلف هذه الطرفة ، وهى - فيما يستطيع ويقدر - لا عناء على طالبها ولا استعصاء . فطفق يسرد الالفاظ التى يقفى بها هذان البيتان على مختلف حروف الهجاء جمعاء ، لكل حرف زوجان من اللفظ ، الأول : من أسماء النسوة ، والآخر يصلح ان يكون إداما للحوارى . وختم كلامه بقوله : « وهذا فصل يتسع ، وانما عرض في قول نام ، كخيال طرق فى المنام (٧) »

والحديث عن أبى العلاء اللغوى ، لا يستقل به فصل محدود ، وليس ما اسلفنا ذكره إلا اشارة معجلة إلى هذا الأفق الرحيب من كون أبى العلاء . وعسى ان يكون فى هذه الاشارة ما يدعو المشتغلين بعلوم العربية الى استئناف البحث ، والاستفاضة فيه ، وما يغريهم بمطالعة منثور هذا العالم المغزر ، ونشدان لغوياته فى مواقع أماليه . فان كان ذلك ، فقد بلغت الغاية التى قصدت اليها بهذه العجالة . والمستعان الله !

محمد توفيق رفعت

---

(١) ص ٥٢ (٢) ص ٧١ (٣) ص ١٣٣ (٤) ص ١٥١ (٥) الحوارى : الخبز يكون من لباب البر . وهو السميد (٦) ص ١٣ (٧) البحث بتمامه يملأ الصفحات ١٤ و ١٥ و١٦

التشاؤم مزاج أولا ، وظروف خارجية ثانيا . وتشاؤم ابو العلاء كان نتيجة نفسيته وحياته الخاصة ، وأثراً من آثار فساد النظم السياسية في عصره

نظرة أبي العلاء الى العالم

بقلم الاستاذ احمد امين

استاذ الأدب العربي بكلية الآداب

كان أبو العلاء فيلسوفا « متشائما » يرى ان الدنيا لا تستحق البقاء لحظة ، فليت العالم الانساني ينقرض في لحظة : وليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء

وان كان ولابد فليت الناس لا يتزوجون ولا ينسلون فيكون عمر الدنيا جيلا واحداً ، وأمداً قريبا . فالناس كلهم كذب ورياء وظلم :

وأفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

فلماذا يكون لهم الحق في البقاء ؟

بل ليس الانسان وحده هو الشر في هذا العالم ، فكل ما فيه شر ، وشر ما فيه الانسان :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها
والشر في العالم حتى التي مكسبها من فضل عرناسها (١)
وكل حي فوقها ظالم وما بها أظلم من ناسها

ولا يظن ظان أن العالم كان يوما ما براً ففجر ، أو صالحا ففسد ، بل كان هذا دأبه منذ خلق ، وطبيعته منذ وجد ، ثما فسد الناس ، ولكن اطرد القياس :

وهكذا كان أهل الارض مذ فطروا فلا يظن جهول أنهم فسدوا

فأبو العلاء لا يقول كما قال غيره : « ليس في الامكان أبدع مما كان » ، بل يقول العكس « ليس في الامكان أسوأ مما كان »

كان هذا النظر المتشائم عند أبي العلاء نتيجة لمزاجه ونوع تفكيره أكثر مما هو نتيجة لظروفه الخارجية ، نعم كان أبو العلاء أعمى فقيراً دميم الخلقة ، ولكن هذه وحدها لا تكفي في تكييف أبي العلاء هذا التكيف للتشاؤم ، ففي الحياة عمى فقراء مشوهون ، وهم مع هذا كله فرحون مرحون ، ينظرون الى الحياة نظرة ابتهاج وسرور ، وغبطة وحبور ، ويتذوقون من لذائذها ما استطاعوا ، وينهلون من متعها ما قدروا . ولو كانت هذه الاشياء علة ، ما تخلف المعلول ولا في جزئية واحدة — انما هو مزاج طبيعي لابي العلاء يألف الحزن ويأنس اليه ، ويرى في الوجود جوانب

---

(١) العرناس : المغزل

الشر ولا يرى جوانب الخير ، ويدرك أسوده ، ولا يدرك أحمره وأبيضه .

لقد كان « شوبنهور » فيلسوف التشاؤم فى العصر الحديث بصيراً ، وفى صحة جيدة ، وثروة واسعة . ومع ذلك كان كأبى العلاء فى نظره الى العالم ، فهو شر كله ، « فأينما توجهت ألفيت عراكا وقتالا ومنافسة ، فكل نوع يقاتل لينتزع من الآخر ما يملكه من مادة وزمان ومكان ، وليس الانسان الا ذئبا للانسان ، وهو تعس اذا تزوج ، وتعس اذا لم يتزوج ، وخير للعالم أن يقف النسل وتنقطع الحياة »

اذن فالتشاؤم مزاج ، أولا ـ وظروف خارجية ، ثانيا . فما لا شك فيه أن ظروف أبى العلاء ساعدت على تشاؤمه ، وزادت فى تلوينه الدنيا بهذا اللون القاتم ، وكذلك كان للظروف الخارجية حول شوبنهور أثر من هذا القبيل ، فقد أصيب فى أسرته ، فمات أبوه منتحراً ، وسارت أمه سيرة لا ترضيه ، وعاش كأبى العلاء عيشة فراغ الا من التفكير والتأليف ، فلا زوجة ولا ولد ، ولا مشغلة فى عمل من الأعمال الخاصة ، انما يدور فى الحياة حول نفسه ، وهذا فى كثير من الاحيان مدعاة للسأم والضجر ، والتبرم بالناس والحياة . يضاف الى ذلك ان سوء الحالة الاجتماعية والسياسية فى عصر من العصور يغذى المتشائمين ، فيظهرون فى المجتمع ظهوراً بينا ، فعلى أثر حروب نابليون وهلاك الحرث والنسل ، وضياع الامل فى الثورة الفرنسية علت نغمة التشاؤم فى أوربا كلها ، وكان لسانها الناطق بيرون فى انجلترا ، ودى موسيه فى فرنسا ، وهينى وشوبنهور فى المانيا ـ وكذلك كان الشأن فى عهد أبى العلاء : فساد فى النظم السياسية ، ومصادرات للأموال ، وحروب متصلة بين الدويلات الاسلامية ـ كل هذه وأمثالها إذا عرضت لمزاج كمزاج أبى العلاء كانت مادة صالحة ليغنى عليها غناءه الحزين

* * *

علم أبى العلاء الواسع ، وقراءته الكثيرة فى الديانات والفلسفة والأدب ، وذكاؤه النادر ، جعلته يرسم للعالم مثلا أعلى فى منتهى الرقي ، وجعلته يتخيل كل جزء من أجزائه غاية فى الكمال . فهذا العالم الذى رسمه خير لا شر فيه ، ولذة لا ألم فيها ، وعلم لا جهل معه ، وعقل لا تشوبه خرافة ، وصلاح ليس فيه شية من فساد ، وعدل صرف ، وحكمة بالغة ، وتعاون على الخير ، وسير على الجادة . فلما فرغ من رسم هذا المثل نظر الى الواقع فصدمه صدمة عنيفة لبعد ما بينهما ، فأخذ يلعن هذا العالم الواقعى بالنسبة الى العالم المثالى ، ويصب عليه جام غضبه ويسبه جملة وتفصيلا

نظر الى الملوك وهم رأس المجتمع وقوامه وقادته فتخيل أنهم يجب أن يكونوا مثال العدل المطلق. والحكمة البالغة ، وأنهم انما ينعمون بخير مافى الدولة نظير قيامهم بأجل عمل وأكبر خدمة ، وأنهم من اجل ذلك « اجراء الرعية » استأجرتهم لعمل جليل ، فأعطتهم الاجر الجزيل . فاذا لم يؤدوا العمل لم يستحقوا الاجر . فى ضوء هذه الصورة الكاملة نظر الى ملوك عصره فرأى

ترفا ولا عمل ، وغنا ولا غرم ، وظلما منهم يقابله عبودية من رعيتهم . وليتهم إذ ظلموا سموا الظلم باسمه الصريح ، ولكنهم جمعوا الى ذلك الخداع فسموا الظلم «سياسة» . لهذا كله أخذ أبو العلاء يسبهم فى لزومياته اذ لم يحققوا مثله بل لم يقربوا منه :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجاروا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

يسوسون الامور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة
فأف من الحياة وأف مني ومن زمن رياسته خساسة

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أضل وأبتر
يدعون فى جمعاتهم بسفاهة لأميرهم فيكاد يبكي المنبر

ان العراق وان الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة فى كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم ان بات يشرب خمراً وهو مبطان (١)

ان جارت الأمراء جاء مؤمر أعتى وأحور يستضيم ويكلم (٢)
كحمائم طلبت فنادى أجدل ان كنت طالبة فانى أظلم (٣)

* * *

وكان مما تصوره أبو العلاء فى مثله الاعلى للمجتمع رجال دين التزموا أوامره واجتنبوا نواهيه ، وآمنوا بالله سراً وجهراً ، وأخلصوا له حقا ، درسوا الدين وعرفوا أسراره ، وميزوا بين ما أتى به حقا ، وما ألصق به خرافة ، وكانت أعمالهم الظاهرة وفقا لعقائدهم الباطنة ، فلا رياء ولا غش ولا خداع ، ان قضوا بين الناس حكم بما أنزل الله وتحر للعدل لا يشوبه ظلم ، وقوة فى تنفيذ الحق لا يخالطها ضعف ، وان خطبوا أو وعظوا صدر قولهم من قلوبهم ، وعبر اصدق تعبير عما فى نفوسهم ، تتطابق أقوالهم وأعمالهم وقلوبهم ، هم صوت الله لشعبه ، لا يخافون عظيما ولا يعيرون أمام الحق كبيراً ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلا

ثم نظر فرأى فى عصره رجال دين قد اتخذوا الدين حرفة ، واصطنعوه وسيلة للكسب : فالقضاة جائرون يرعون مصلحتهم أكثر مما يرعون الحق ، ولا يدفعون البلاء ، وانما يزيدون الشقاء :

وأي امرىء فى الناس ألفى قاضيا فلم يمض أحكاما كحكم سدوم (٤)

والخطيب يخطب فى يوم القيامة وهوله وهو لا يؤمن بحساب ولا يصدق بمآب :

طلب الحشائش وارتقى فى منبر يصف الحساب لأمة ليهولها
ويكون غير مصدق بقيامة أمسى يمثل فى النفوس ذهولها

والواعظ يعظ فى اضرار الخمر صباحا ويشربها مساء :

(١) الخمص : الجوع ، والمبطان : كبير البطن من كثرة الأكل (٢) يكلم : يجرح (٣) الأجدل : الصقر
(٤) سدوم : قرية من قرى قوم لوط وقد يسمى قاضيها أيضا بسدوم وقد ضرب به المثل فى الظلم

رويدك قد غررت وانت حر بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحا ويشربها على عمد مساء

والفقيه فقهه مزيف ، وعمله مموه ، قد انصرف عن روح الفقه وسر الدين الى جدال لفظى وحوار حرفي : وقالوا فقيه والفقيه مموه وحلف جدال والكلام كلوم

وقد كذب الزهاد فى دعواهم ، فليس فيهم زاهد حقا ولا متعفف صدقا ، وكلهم مراء متصنع يتزهد ليسرق ، ويتعفف ليخون : لعمرك ما فى عالم الارض زاهد يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع

هؤلاء هم رجال الدين الذين نصبهم الله ليكونوا أداة الحق ، ودعاة الصدق ، وهداة الضالين ، وحماة المظلومين ، وردعى الظالمين ! ! فأف من الناس ! كلهم مخرب ، تساوى فى التخريب عالمهم وجاهلهم ، وآمرهم ومأمورهم ، وبدوهم وحضرهم ، وتاجرهم وواعظهم ، فقوم يخربون المال وآخرون يخربون الدين : فى البدو خراب أذواد مسومة وفى الحوامع والاسواق خراب

* * *

ويتصور أبو العلاء العالم الذى ينشده عالما محكوما بالعقل ، وبالعقل وحده ، لا يخضع الا للمنطق والتفكير الصحيح ، لا يؤمن أهله بدجل ولا تخريف ، ذلك بان العقل هو السراج الوحيد الذى يضىء ما فى الدنيا من ظلمات ، فيجب أن يظل مشتعلا أبداً :

خذوا فى سبيل العقل تهدوا بهديه ولا يرجون غير المهيمن راج
ولا تطفئوا نور المليك فانه ممتع كل من حجى بسراج

فالعقل هو المرشد اذا لم يأت دين ، وهو المرشد اذا اختلفت أحاديث الدين ، وهو المرشد اذ اختلف رجال الدين :

جاءت أحاديث ان صحت فان لها شأنا ولكن فيها ضعف اسناد
فشاور العقل واترك غيره هدراً فالعقل خير مشير ضمه النادى

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما أداه لب ولا يغمسك جهل في صراها (١)

وكانت حياة أبي العلاء مثلا لايمانه هذا بسلطان العقل ، فقد كذب الناس فى خرافاتهم ، وسن له فى الحياة طريقا أرشده اليه عقله ، رأى الخير فى أن يريح أولاده بتركهم فى نعمة العدم ففعل ، وألا يأكل لحما ففعل ، وأن يعرض كل خبر وكل مأثور على العقل حتى يتخير ويحكم ففعل

هذا هو العالم الذى تخيله أبو العلاء ، يسطع فيه العقل ، وتذوب فيه الخرافات والاوهام ذوبان الثلج إذا سطعت عليه الشمس

ولكن وا أسفاه ! ماذا فى العالم الواقعى الذى نعيش فيه ؟ لقد تغلب كل سلطان الا سلطان العقل ، وانقلبت الاوضاع فحكم العقل بالخرافات والجهالات بدل أن يحكمها ، وتغلبت عليه بدل أن يتغلب عليها ، فالصادق الخبير مكذب ، والكذوب الدجال فينا مصدق

(١) الصرى : الماء يطول مكثه

ومما أدام الرزء تكذيب صادق على خبرة منا وتصديق كاذب

وخضع الناس خضوعا مطلقا للعادات والتقاليد ، فهم يعتنقون دينهم بالعادة والتطبع ، لا بالعقل والتفكير ، وهم يعيشون كما يعيش آباؤهم لا كما يهدى العقل :

في كل أمرك تقليد رضيت به حتى مقالك ربى واحد أحد
وقد أمرنا نفكر في بدائعه وإن تفكر فيه معشر لحدوا
وأهل كل جدال يمسكون به إذا رأوا نورحق ظاهر جحدوا

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعلمه التدين أقربوه

عاشوا كما عاش آباء لهم سلفوا وأورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فما يراعون ماقالوا وما سمعوا ولا يبالون من غى لمن سجدوا

ولو حكم الناس العقل ما اختلفوا في دياناتهم ، ولكانوا أمة واحدة ، ولرفضوا كل كذب وخرافة انما أضلهم ان أماتوا عقلهم ، وأحيوا شهوتهم ، وأنهم دانوا بما أملته عليهم الرغبة والرهبة :

لو يتركون وهذا اللب ماقلوا مينا يقال ولكن شالت الجذم (١)
أتوهم بأحاديث وقيل لهم قولوا صدقنا والا أروى الخذم (٢)
وأرهقتهم حفون ملؤها نوب وأرعبتهم حمان للندى ردم (٣)

ثم ماهذا الذي يسود العالم من ايمان بالخرافات وتصديق بالتنجيم ، وكلها دجل في دجل ؟ فهذه امرأة تذهب الى المنجم ليخبرها كم يعيش طفلها فيقول مائة عام ثم يموت من شهره :

سألت منجمها عن الطفل الذي في المهد كم هو عائش من دهره
فأجابها مائة ليأخذ درهما وأتى الحمام وليدها في شهره

وهؤلاء يأتون المنجم يستخبرونه عن موعد المطر فيقول غداً أو بعد غد كأنه عالم بأسرار الكون مطلع على مكنونات العالم ، وهو لو سئل عن أقرب الاشياء اليه لظهر جهله ، وتبين حمله ، فكيف يجهل القريب ، ويعلم البعيد :

يقول غدا أو بعده وقع ديمة يكون عياناً أن يجود وتسجما
ويوهم جهال المحلة أنه يطل لأسرار الغيوب مترجما
ولو سألوه ما الذي فوق صدره لحاء عيى أو أرم وجمجما (٤)

وما هذا الذي ساد في اذهان الناس من إمام معصوم يأتي فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ؟ وقد زعموا أن الغلبة لهذا الامام على خلفاء الدولة العباسية ستكون في عام القران (قران المشترى بزحل) ، فلما أتى القران ولم تتحقق النبوة زعموا أن ذلك أخر لسنوات معدودات :

رجوتم اماما في القران مضللا فلما مضى قلتم الى سنوات

كلا أيها القوم لم ينصب الله اماما كالذي زعمتم يهدى الناس ويعلمهم الحق والباطل ، والعدل والظلم ، فالله تعالى جعل كل أولئك للعقل وحده ، فهو الذي يهدى الضال ويرشد الى الحق ، ويبين

(١) شالت الجذم : كناية عن خفة العقل (٢) الخذم : السيف (٣) ردم : مملوءة (٤) أرم : سكت وجمجم لم يبين

الرشاد من الغى ، فاذا أردتم تحقيق ذلك كله فارجعوا الى العقل وارفعوا عنه حجبه وحكموه فى كل ما يعرض لكم بدل أن تلجئوا الى السخافات فترتقبوا إماما مزيفا :

يرتجى الناس أن يقوم امام ناطق فى الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا أمام سوى العقـ ـل مشيرا فى صبحه والمساء

لقد فسدت عقول الناس ، وأهم ما أفسدها أمور : ايمانهم بعلم الكيمياء من تحويل المعادن الى ذهب ، وانفاقهم أموالهم وأعمارهم فيه من غير جدوى ، وعلم التنجيم وربط كل ما يحدث فى العالم بحركات الكواكب ، وتفسير الأحلام وبناؤهم عليها تصرفاتهم . ومن هذه الاوهام التى أفسدت العقل اعتقاد الناس فى الصداقة وأنها ممكنة محققة ، وجريهم فى شئونهم على أساسها مع أن الصداقة الخالصة الصادقة احدى المستحيلات :

أزرى بكم ياذوى الالباب أربعة يتركن أحلامكم نهب الجهالات
ود الصديق وعلم الكيمياء وأحـ ـكام النجوم وتفسير المنامات

هذا الى مجموعة من الاوهام تنتشر بين الناس فتشل عقولهم ، وتفسد تفكيرهم : فهؤلاء يزعمون أن الاخيار يطيرون فى الجو أو يمشون على الماء ، أفلم يروا الى السعدين (سعد بن معاذ وسعد بن أبى وقاص) والعمرين (أبى بكر وعمر) وهم من الدين ما هم ، لم يدعوا ولم يدع لهم أحد شيئا من طير فى الهواء أو سير على الماء ، وهؤلاء يزعمون للمعمرين الأولين عمراً ينكره العقل ويكذبه القياس ، وآخرون ينسبون للاجيال السابقة طولا كطول النخل وأجساما هائلة الحجم ولا شىء يصح من ذلك ، وغير هؤلاء يزعمون رؤية الجن ويقصون عنهم القصص ويلفقون عليهم الاخبار ويخشونهم ويمتلئون رعبا منهم ، وكلها أخبار كاذبة لا تصح فى العقل :

فاخش المليك ولا توجد على رهب ان أنت بالجن فى الظلماء خشيتا
فانما تلك أخبار ملفقة لخدعة الغافل الحوشى حوشيتا

كل هذه وأمثالها سموم سممت العقل وجعلت حياة الناس ضروبا من الخبل

***

ولو كان هذا العالم يجرى على المعقول لكان أكثر الناس حظا من نعيم الحياة ومتع العيش أعقلهم واكفأهم . ولكن تعال معى ننظر الى هذا العالم الوضيع نجد عجبا : نجد أن الناجح فى كسب العيش هو بائع خلقه ومضيع شرفه ، وأن من تمسك بهما كان الفقر حليفه . فهذا صادق ممقوت وهذا كاذب محبوب ، وهذا صادق أسلمه صدقه الى الضر والعيش المر ، ومجانبه كاذب يمرح بكذبه فى النعيم المقيم والخير العميم :

والناس شتى فيعطى المقت صادقهم من الأمور ويحيى الكاذب الملق
يعدو الى المين من قلت دراهمه فيجمع المال ما يغرى ويختلق
وربما عذل الانسان مهجته فى الصدق حين يرى جد الذى يلق (١)

(١) يلق : ينمق الكلام في كذب

وهذه الدنيا غريبة فى أطوارها ، عجيبة فى نظامها ، فهذا فقير دخل عليه الشتاء فلا يجد ستراً وهو فى أشد الحاجة اليه ، وهذا مجدود ينهال عليه المال انهيالا وهو غنى عنه :

لقد جاءنا هـذا الشتاء وتحته   فقـير معرى أو أمير مدوج (١)
وقد يرزق المجدود أقوات أمة   ويحرم قوتا واحد وهو أحوج

وماذا هذا الذى يسمونه الحظ ؟ قد كان المعقول ألا يكون ، وأن يكون الجزاء على العقل والكفاية والخلق ، فاذا بنا نرى هذا الحظ قد طوح كل هذه المبادىء : فظالم يملك الكنوز وعادل لا يملك القوت ، وعاقل أعيت مذاهبه وجاهل مرزوق ، وأمور تحير العقل وتذهب باللب :

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل   وترزق مجنونا وترزق احمقـا
فلا ذنب يا رب السماء على امرىء   رأى منك مالا يشتهى فتزندقا

وليس هذا شأن الانسان وحده ، بل بنى العالم كله على الحظ أكثر مما بنى على العقل ، فهذه الأنهار تفيض بالماء العذب وخصت بالاكرام منها زمزم المالحة :

تباركت أنهـار البـلاد عزيزة   بعذب وخصت بالملوحة زمزم

وهذا الأسد قد يأكل الجيفة ، وهذه الذبابة قد تأكل العسـل :

رعت الأسود بقوة جيف الفلا   ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وهذه الصخور، إحداها تقبل وتستلم ، واخواتها تهشم وتحطم :

وتقسم حظوة حتى صـخور   يزرن فيستلمن ويلتمسـه
كذات القدس أو ركنى قريش   وأسرتهن أحجار لطسـه (٢)

* * *

وهناك طائفة الأدباء والشعراء كان يجب أن تكون لها وظيفة سامية فى المجتمع ـ فتخدم الحق بلسانها وقلمها ، وتدافع عن الحقيقة بحسن بيانها ، وتعبر عن أمانى المجتمع وآلامه بجمال تعبيرها . ولكنا ـ مع الأسف ـ نرى الأدباء وقفوا موقف الذئاب من الراعى لتستغفله لتفترس شياهه ، فهم نصبوا مدائحهم شباكا يقتنصون بها أموال الناس ، ويفسدون بها أخلاق الأمراء ، والاغنياء ، بما يصوغون من مديح مختلق ووصف مزيف :

بنى الآداب عرتكم قديمـا   زخارف مثـل زمزمة الذباب
وما شـــعراؤكم إلا ذئاب   تلصص فى المدائح والسـباب

كلا لا أتبع مناهجهم ولا أسير على آثارهم ولا أهذى كهذيانهم :

ذرونى يفقـد الهذيان لفظى   وأعلق للحــمام على بابى
معـاذ الله قد ودعت جهلى   تحســبى من تميم والرباب

وليس الانسان وحده هو الشر فى العالم بل كل العالم شر ، فالأنسان يغير على الحيوان فيذبحه ويغتصب منه ولده ، ويغتصب لبنه الذى أعده لولده ، ويلهو بالصيد والرمى . والليث سلط على

(١) مدوج : لابس أغلظ الثياب (٢) لطس الحجر : دق

المهاة ، والبازى على بغاث الطير ، وكل قوى سلط على ما هو أضعف منه ، فالعالم سلسلة مظالم ، ومجموعة مهازل :

وفى كل الطباع طباع نكز وليس جميعهن ذوات سم (١)
فقد جبلت على فرس وضرس كما جبل الوقود على التنمى (٢)

يقول ابو العلاء ان كان هـذا هو العالم : ملوك تظلم ولا ترحم ، وتبجبح فى النعيم ولا تشعر بمن يتألم ، وقضاة تعسف ولاتنصف ، وفقهاء ووعاظ ونساك تتخذ من دينها ستاراً لاقتناص الأموال وشباكا للاستغلال ، وعقل مغلوب على أمره لا يسمع لنهيه ولا أمره ، وناس ان نطقوا بالصواب خفتوا أصواتهم ، وان نطقوا بالمحال رفعوا عقيرتهم ، وخرافات تجول وتصول ، وحكمة تذوب وتزول ، وكل ما فى العالم ظلم يسلم الى ظلم ، انسان يفترس أسداً وأسد يغتال ذئبا وذئب يقتنص شاة ، فأى خير فى الوجود يستحق البقاء وأى عدل فيه يستوجب الثناء

لا لا ، والخير للعالم أن يفنى فى لحظة ، ويمحق فى لمحة :

يا رب أخرجنى الى دار الرضا عجلا فهـذا عالم منكوس
ظلوا كدائرة تحول بعضهـا من بعضها لجميعها معكوس

فان كان ولا بد فالفرار منه والعزلة منه . ولأرسم لنفسى برنامجا أنفذه فى نفسى ان لم أستطع أن انفذه فى غيرى ، فلا زواج ولا نسل ، ولا ايذاء لحى ، فلا آكل لحم حيوان بحرى ولا برى ، ولا أفجعه فى نتاجه ، فلا عسل ولا لبن ولا بيض ، بل لا البس الجلود ولا أنتعل بها ، وانما اكتنى بالنبات : فليكن طعامى العدس وفاكهتى التين ، وحسبى الكمأة والبقول ، وشربة من ماء براحتى أو بقدح من خزف ، وليكن ملبسى من القطن الخشن لا لون فيه ولا تزويق ، وليكن مركبى رجلاى فلا خيل ولا إبل :

فاترك لأهل الملك لذاتهم فحسبنا الكمأة والاحبل (٣)
وشرب الماء براحاتنا ان لم يكن ما بيننا جنبل (٤)
لباسى البرس فلا أخضر ولا خلوقى ولا أدكن (٥)

رحمة الله عليه فقد ضيق واسعا ، وحرم مباحا ، وحمل نفسه ما لا يطيق الناس ، والتزم ما لا يلزم ، ولون العالم كله باللون الأسود وخلع عليه قطعة من نفسه القاتمة ، ثم أخذ يندب عليه ويبكيه ، فكان لنا من بكائه وعويله نغمات شجية ، وتوقيعات فنية ، وقطع موسيقية ، عجز عن اخراج أمثالها من عاشوا بين الكاس والطاس ، والراح والليالى الملاح

احمد أمين

استدراك : وقع فى الصفحة الاخيرة من مقال الدكتور عبد الوهاب عزام أن قدمت الفقرة التى تبدأ بكلمة « وبعد فهذا تمثيل » وتنتهى بكلمة « فلسفة الرجلين » ، ووضعها الصحيح أن يختم بها المقال

---

(١) نكز مصدر نكزته الحية اذا لدغته (٢) الفرس : الاهلاك ، والضرس : العض (٣) الاحبل : اللوبيا
(٤) الجنبل : قدح غليظ من الخشب (٥) البرس القطن

ما أثر البيئة العائلية والسياسية والثقافية فى شعر المعري ؟ وكيف كونت شخصيته واتجهت نفسه الحساسة نحو الاخلاص للحقيقة والعنف فى مهاجمة الباطل ؟

بيئة المعرّي

وأثرها فى شعره

بقلم الاستاذ أنيس المقدسي

أستاذ الأدب العربى بجامعة بيروت الامريكية

مما لا ريب فيه أننا لا نستطيع فصل الشاعر عن الجو الذى ينشأ فيه . ولو قابلناه من هذه الناحية برجل العلم لوجدنا بينهما فرقا بينا . فالعالم قد ينصرف الى منحى من مناحى بيئته المعنوية أو المادية فيقوم بدرسه ويجدُّ فى التوصل الى أبعد غاياته . فاذا بسط لنا الحقائق أو المعلومات التى توصل اليها لم نجد فيها مايدل على أنه تأثر بها تأثراً يحرك جهازه العصبي ويحدث فيه اتجاهات عاطفية خاصة . واى علاقة مثلا بين أحكام النور والكهرباء ، او طبائع الحيوان والنبات ، أو قواعد الصرف والاعراب ، وبين شخصية الباحث فيها وحالات نفسه . تلك أحكام وقواعد لا تقوم على التأثر النفسى ، بل على حقائق راهنة قد يتوصل اليها كل باحث ، وليس فيها ما يميز شخصية عن شخصية أو روح عن روح . أما الشعر فحركة نفسية يثيرها مايحيط بالشاعرمن احوال وحوادث . ولا بد لنا لفهمه من ان ندرس البيئة التى تتصل مباشرة بتلك الاحوال والحوادث

فما هى بيئة المعرى ـ ما هى تلك العوامل التى تررر فى حياته الشعرية ؟ . سؤال نحاول أن نجيب عنه هنا بكلمة وجيزة نعرض فيها الحقائق عرضا عاما لجمهور القراء دون أن نرهقهم بالتقصى الدقيق من تحقيق وتجريح ، وعرض نظريات ، وغربلة وموازنات ، مما لا يتسع له المقام ولا يلذ الا الخاصة من المتخصصين ، وانما هى خلاصة ما توصلنا اليه من درس الاحوال العامة التي يظهر أثرها فى نفس المعرى وأدبه . وها نحن نعرضها من نواح ثلاث :

١ ـ بيئته العائلية والتربوية لم يولد المعرى من أسرة وضيعة . بل كان آله ـ بنو سليمان ـ بيت علم وفضل ورئاسة . ويرجع نسبه الى بني الساطع وهم فرع من تنوخ ، وكانوا يعرفون بالشرف والرئاسة والشجاعة . واكثر بيوت المعرة منهم كبنى

سليمان ، وبنى حصين ، وبنى عمرو ، وبني المهذب ، وبنى زريق ، وبنى جهير . واكثر قضاة المعرة وعلمائها من بنى سليمان : تولى المعرة منهم جد جد شاعرنا وقد اتصل القضاء بأولاده وأحفاده حتى والد المعرى ، وكان من أهل العلم والوقار . وقد خلف ثلاثة بنين ابو العلاء أوسطهم . ومعلوم ان ابا العلاء مات غير متزوج . ولم يخلف أخوه الاصغر الا ولداً وهذا خلف ولداً وبه انقطع نسله . أما اخوه الاكبر فبه بسقت شجرة الاسرة ، وفى اولاده واحفاده اتصل القضاء والجاه سنينا طويلة

وقد شهد المعرى موت والديه واخوته جميعا . ويظهر من دراسة احواله ان اولاد أخيه كانوا يحترمونه ويخدمونه ويأخذون عنه . ولم يتصل بنا ان الشاعر ورث ثروة تذكر ، على أن ذلك لايعنى انه كان كل حياته مسكينا فقير الحال ليس له الا دخل زهيد يقسمه بينه وبين خادمه . فكما كان آباؤه من أهل الوجاهة كان هو كذلك . وكذلك كان أولاد اخيه ، نذكر منهم على سبيل المثال ابا مسلم ، الذى ولد قبل موت الشاعر بنحو ١٨ سنة وصار رئيس المعرة وكبيرها المقدم فيها ، وقد ولى القضاء بعد ابيه وكان مشهورا بالجود والعلم

أما ماينقل عن فقر الشاعر فانما هو خطأ فى تفسير معنى الزهد الذى سلك طريقته . فان المعرى أخذ منذ السابعة والثلاثين من عمره فى طريقة الفلاسفة المتقشفين

وقد كان فى ميسوره ان يعيش رخيا وان يجمع ثروة طائلة ، يزكى ذلك شهادات كثيرة نكتفي منها بشهادة الشاعر الفارسى ناصر خسرو الذى زار المعرة سنة ٤٣٩ ، أى قبل موت المعرى بعشر سنوات ، فوصف حاله بقوله : « انه رجل ذو نفوذ عظيم فى بلدته ، وذو غنى ينفق على الفقراء والمعوزين مع أنه هو يعيش عيشة الزهد والتقشف » وفى رسائله وأشعاره عدة اشارات الى هبات مالية كان ينفح بها بعض ذوى الحاجة من الادباء ، كقوله يعتذر لفقيه عن ان الهدية التى ارسلها اليه أقل من قدره ، وكان شاعرنا فى الخمسين من عمره :

فيا ليتنى أهديت خمسين حجة ... مضت لى فيها صحتى وشبابى
وقلت له ــ فارك ثلاثين اسودا ... متى ما تكشف تلف غيرلباب
لعل الذى اهديت يكفيك ليلة ... لاساغ طهر حان أو لشراب

فالرجل على ما تثبت اكثر المصادر عاش اكثر حياته وجيها وكان سخى اليد جم التواضع . وقد بلغ غاية الوجاهة بعد ان استقر فى المعرة وعكف على العلم والتعلم ، فقصده الطلاب من الآفاق وكاتبه أو زاره الكبراء والأمراء حتى عظم شأنه وحسنت حاله . على انه لم يكن يستعمل من ماله الا القليل وينفق الباقى فى سبيل اللائذين والمعوزين

(البقية فى صفحة ٩٦٢)

نصيب المعرى من الفلسفة الشرقية

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

لا مشاحة أن لابى العلاء المعرى شخصية بارزة عرفت قيمتها فى حياته ، وبقيت حافظة مكانتها بعد وفاته ، ولعل هذه الشخصية قد ازدادت بروزاً فى عصرنا الراهن عما كانت عليه فى العصور السالفة ، على نسبة تنبه الناس لتحليل الشخصيات الفذة

لا يخلو شعر فى الأرض ، حتى الأزجال العامية ، من جنوح ظاهر من أصحابها الى بعض التيارات الفلسفية ، فلم يحشر واحد منهم فى زمرة الفلاسفة لهذا السبب وحده ، حتى ولا المتنبى الذى تتلألأ في ديوانه مئات من عيون الحكم

وقد غص شعر أبى العلاء بكثير من نوابغ الكلم ، ولكننا لا نستطيع لهذا وحده أن نعتبره فيلسوفا الا اذا تبينا فى شعره مذهبا مؤسسا على قواعد ثابتة . وقد عرف من تاريخ أبى العلاء أنه أخذ الفلسفة اليونانية عن الرهبان الذين كان يصادفهم فى معرة النعمان . وثبت أيضا أنه لما شخص الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ . اطلع فيها على فلسفة الهنود والفرس

> « المعرى شاعر لا فيلسوف . وأثر الفلسفات الشرقية ضعيف فى تكوينه . وقد تكون الفلسفة الدهرية منها هى التى أثرت فيه »

فاذا أردنا ان ندرس شخصية أبى العلاء فى ضوء الفلسفات التى كانت معروفة الى عهده ، لنرى هل أثرت واحدة منها فى تكوينه ، عدنا من بحثنا الطويل بغير طائل . فان الذى كان يعرف عن الفلسفات الشرقية أنها على اختلاف نزعاتها كانت متأثرة بمذهب التفاؤل ، حتى أن الهنود الذين بلغ احتقارهم للدنيويات حداً لم يبلغه فى أمة أخرى ، كانت ترجو من وراء ذلك الاحتقار الوصول الى سمو روحانى لا تقارن به سعادة ـ مهما جلت ـ من السعادات المادية . ولا يظهر لهذه النزعة أثر فى شعر أبى العلاء . فقد أكثر من ذم الدنيا ومن احتقاره لها ، وتوسع فى ذكر احداثها وكوارثها ، ولم يذكر ان لذاتها قاطعة للمرء عن سمو روحانى يجل عن الوصف لا يجوز التنازل عنه فى سبيل التمتع بلذائذ مادية منحطة ، على مثال ما كان يقول به الهنود ولا يزال يردده شاعرهم المعاصر لنا « طاغور » . بل الذى يؤخذ من شعر المعرى أنه كان ينم الدنيا لا لأن لذاتها تقطع الانسان عن بلوغ كماله ، ولكن لأنها موقوتة خداعة وسريعة الزوال . ونحن نعرض طائفة من شعره فى هذا الموطن تدليلا على ما نقول ، قال رحمه الله :

تحب حياتك الدنيا سفاها وما جادت عليك بما تحب
وانك منذ كون النفس عنسا لتوضع فى الضلالة أو تخب
وان طال الرقاد من البرايا فان الراقدين لهم مهب
غرامك بالفتاة ضنى وغم وليس يسر من يشتاق عب
لو ان سواد كيوان خضاب بكفك والسهى فى الاذن حب
لما نجاك من غير الليالى سناء قارع وغنى مرب
وما يحميك عر أن تسبي ولو أن الظلام عليك سب

الى أن قال :

ولم يدفع ردى سقراط لفظ ولا بقراط حامى عنه طب
اذا آسيتنى بشما صريعا فدعنى كل ذى أمل يتب
ولا تذبب هناك الطير عنى ولا تبلل يداك فما يذب

وهذه كلها معان سبق بها أبا العلاء جميع من جاء قبله من الشعراء ، وهى لا تخرج عن ذم الدنيا ، والنعى على المغترين بها ، وذكر عوادى الايام وجناياتها على الأحياء ، فلا شىء فى هذه الاقوال مما يجب أن يتنوره الحكيم من وراء هذه المحن ، سواء أكان ذلك من ناحية تنبيهها النفس الى سعادتها فيما وراء ذلك ، أم ايقاظها لأسمى عواطفها التى تبلغها كمالها من طريق تعويلها على الغرائز العلوية الكامنة فيها

نعم انه ذكر ان وراء متاعب هذه الحياة حياة أخرى فقال :

تعب كلها الحياة فما أعـ جب الا لراغب فى ازدياد
ان حزنا فى ساعة الموت اضعا ف سرور فى ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة أو رشاد

ولكنه عاد فأنكر ذلك فى موطن آخر فقال :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

فهو هنا ينكر البعث بعبارة صريحة لا تحتمل التأويل ، فان أردنا أن نتعرف أثر الفلسفات الشرقية فى تكوينه لم نجد غير الفلسفة الدهرية منها ، ولكن اشياعها يبتون فيما يذهبون اليه ، ويقررونه تقريراً جديا ، ولا يتلاعبون فيه بالألفاظ ، فلا يحار الباحث فى الوقوف على حقيقة مذهبهم

فى شعر أبى العلاء ما يستدل منه على أنه لم يكن منكراً للخالق فقد قال من قصيدة :

لم يبق للظاعنين عين تبكي على الاعظم الرفات
أرى انكماشى الى المنايا أعنى عن الاسرة الكفاة
أثبت لى خالقا حكيما ولست من معشر نفاة

هذا قول صريح لا وجه لصرفه الى غير معناه ، لولا ان له قولا آخر ينفى هذا نفيا باتا فى قالب من التهكم ليس وراءه مذهب ، فقد قال :

قلتم لنا صانع قديم قلنا صدقتم كذا نقول

ثم زعمتم بلا مكان ولا زمان ، ألا فقولوا
هــذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

هنا قد يقول بعض المدافعين عن أبي العلاء إن هذه الأبيات الأخيرة مما وضعه بعض خصومه عليه ، ونسبوه اليه لينالوا من كرامته عند الناس

ان ماكان يعرف عن المعرى من عزوف نفسه عن التغذى بلحوم الحيوانات ، لا ينهض دليلا على أنه كان متأثراً بالفلسفة الهندية ، ولـكنه حدث له كما حدث لغيره من الأقدمين كسقراط كراهة فى تعذيب الحيوانات بالذبح . أما تحريم لحوم الحيوانات فى الفلسفة الهندية فله سبب آخر مبنى على اعتقادهم فى تناسخ الارواح . فقد كانوا يقولون إن الارواح الشريرة تتقمص أجساداً حيوانية لتعذب فيها على ما جنت فى حياتها السابقة ، ولم يكن أبو العلاء يقول بذلك

وقد بحثنا عن أثر الفلسفات اليونانية فى تكوين شخصية أبي العلاء فلم نصادفه فى واحدة منها ، حتى ولا فى فلسفة التوقف « لبيرهون » اليونانى . فانها مبنية على الجزم بعدم امكان الانسان الوصول الى الحقيقة ، بسبب أن الـكائنات فى الطبيعة تخضع لناموس التجدد المستمر ، فلا يمكن ان تعرف منها إلا ظواهرها . لذلك يقع الناس دائما فى الاخطاء والتناقضات ، فالبحث عن الحقيقة لا يقوم والحالة هذه على قرار ثابت ، فازاء كل قضية عقلية يمكن أن توضع قضية أخرى معارضة لها . فالحـكيم لا يسعه إزاء كل هذا إلا التوقف عن ابداء حكم ثابت عليها ، فعليه ان يجرى مع الظواهر دون ان يعلن حقيقة واحدة منها

أما من الناحية الخلقية فمؤدى فلسفة « بيرهون » أن يصل الانسان الى سعادة سلبية ، أى الى الخلاص من الارتباكات النفسية ، وهذه فى رأيه أقصى غاية يمكن أن يصل اليها الفيلسوف فى حياته الأرضية . وهنا تختلف هذه الفلسفة عن فلسفة الشك التى دعا اليها ديكارت ، فقد جعل الشك مرقاة لليقين ، لا أنه جعله غاية لجهود الحـكماء

فاذا حاكمنا ما نقرأه من شعر أبى العلاء الى هذه الأصول وجدناه يشذ عنها كل الشذوذ ، بل لا نجد بينه وبينها أية علاقة . فابو العلاء يجرى بشعره فى المضمار الذى جرى فيه جميع شعراء العربية قبله من ذم الدنيا وتحقير شئونها ، والقدح فى عقل الانسان والاستهزاء بما يستهتر فيه من طلب السعادة ، وخيبته فى الوصول اليها ، ولا يزيد على ذلك شيئا مما يجب أن يقف الانسان عنده من مذهب مقرر ، أو فلسفة محدودة ، أو توقف متواضع

ولو اعتبرنا فلسفة زينون الفيلسوف اليونانى القديم ، وحاولنا أن نجد بينها وبين فلسفة المعرى صلة ، تعذر علينا ذلك أيضا . فان الحـكيم الاغريقى كان مذهبه أن الخير كل الخير هو فيما يبذله الانسان من الجهد لـكيلا يخضع لغير سلطان العقل ، غير آبه بما يصادفه من الأحوال الخارجية

كالثروة والفاقة ، والصحة والمرض ، والنعيم والبؤس الخ ، حتى كان من اتباعه من قتلوا انفسهم تدليلا منهم على احتقارهم للكوارث المادية

وابو العلاء يذم الدنيا لأنها تخدع الانسان ، ويقدح فى الانسان لأنه يقع فى الفخاخ التى تنصبها له المطالب النفسية ، ولكنه لايقرر اصلا للخير يجب التعويل عليه للوصول الى سمو روحانى ، فشعر أبى العلاء يخلو من تقرير مذهب فلسفى أو نصب مثل أعلى للنفسية البشرية . وإنك لترى ذلك حتى فى الأبيات التى يحاول فيها بيان مذهبه ، فقد قال :

من مذهبي ان لا أشد بفضة قدحى ولا اصغى لشرب معوح
لكن أقصى مدتى بتقنع يغنى واروح باليسير الاروح
هـذا ولست اود انى قائم بالملك فى توبى اعر متوج

فان سألته ولأى شيء تؤثر هذه القناعة ، والى أى غاية أوصلتك وقد لبثت فيها دهرك ؟ لم يجبك إلا بشكوى يجول بها كل مجال ، لا يتبين منها الناقد الغاية التى يرمى اليها ، كقوله من قصيدة :

يا دهر يا منجز ايعاده ومخلف المأمول من وعده
أى حديد لك لم تبله واى اقرانك لم ترده
تستأثر العقبان فى جوها وتنزل الاعصم من فنده
أرى ذوى الفضل واضدادهم يجمعهم سيلك فى مده
ان لم يكن رشد الفتى نافعا فغيه انفع من رشده
تجربة الدنيا وافعالها حثت اخا الزهد على زهده
والقلب من أهوائه عائد ما يعهد الكافر من بده
ان رمانى برزاياه لى صيرنى أمرح فى قده
كأسا فى كمه ماله ينفق ما يختار من نقده
لو عرف الانسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
أمس الذى مر على قربه يعجز اهل الارض عن رده
أضحى الذى اجل فى سنه مثل الذي عوجل فى مهده
ولا يبالى الميت فى قبره بذمه شيع ام حمده

وهي طويلة وكلها على هذا الضرب من التشاؤم ، ولم يذيل ذلك كله بشيء ينم عن أصل مستقر فى نفسه يمكن أن يقال إنه مذهب له

يسوغ لنا بعد هذا كله أن نقول ان أبا العلاء المعرى لم تكن له فلسفة معينة ، ولا مذهب مقرر ، فان كان لا بد من وضع اسم على الحالة التي كانت عليها نفسيته ، فهى الحيرة والتشاؤم الممزوج بالتهكم . أشبه الناس به من معاصرينا كان السيد صدقى الزهاوي الشاعر البغدادى رحمة الله عليه ، فقد كان حائراً متناقضا متشائما متهكما ، فبينا كان يقول :

قال ما دينك الذى كنت فى الدنـ يا عليـه وانت شيخ كبير
قلت كان الاسلام دينى وهو دين بالاحترام جـدير
قال من ذا الذى عبدت فقلـ ـت الله ربى وهو السميع البصير

اذا به يقول : لما جهلت من الطبيعة أمرها وأقمت نفسك فى مقام معلل
أثبت ربا تبتغى حلا به للمشكلات فكان اكبر مشكل

ويقول : أنا ما كفرت كل عمـ رى بالكتاب المنزل
أنا لم أزل أشدو بنعـ ت للنبى المرسل

فهذه الحالة من التناقض والحيرة التى كان عليها الزهاوى ، وكان عليها قبله شيخ المعرة ، لاتصح أن تكون مذهبا ولا مستمدة من مذهب . فقد رأيت زعيم المتوقفين « بيرهون » استقر على قاعدة ثابتة ، وعللها تعليلا علميا ، وجرى منها على سجيته مطمئن النفس ، هادىء البال ، غير واقع فى تناقض ، ولا برم بحيرة ، ولا مالئا الجو شكوى من الزمان وعويلا

ورأيت أيضا صاحب فلسفة الشك ديكارت ، قد جعل الشك اساسا للبحث عن الحقيقة ، ولم يتخذه غاية له . وقد أصبح مذهبه أسلوبا خالداً يذكره به كل باحث عن حقيقه . أما التناقض والحيرة الممزوجة بالتهكم فلا تصح ان تكون مذهبا لا مجتمعة ولا متفرقة . ودواؤها البحث والتأمل والدرس حتى يستقر صاحبها على قرار مما وصل اليه الباحثون ولو أدى به الى الالحاد البحت . أما الشك فلا يصح أن يكون مستقراً قط ، ولا تصح أن تكون له دعوة ، وتجرى هذا المجرى الحيرة والتهكم

انى أحب أبا العلاء وأجله كشاعر عظيم طبع الشعر بطابع خاص به ، ولكن لا كفيلسوف بالمعنى الذى يفهمه أهل العصر الحاضر

محمد فريد وجدى

أبو العلاء : فى العدد القادم

ضاق نطاق هذا العدد عن أن يسع جميع المقالات التى تفضل بتدبيجها أصدقاء « الهلال » ، فاضطررنا آسفين الى تأجيل بعض هذه البحوث النفيسة الشائقة ، التى تتناول كثيراً من نواحى أبى العلاء الفكرية والفنية ، وهى « المعرى : مثله الأعلى للاخلاق » للاستاذ احمد حامد المولى بك ، « ابو العلاء السياسى » للاستاذ عبد الحميد العبادى ، « رأى المعرى فى حرق الموتى » للدكتور محمد بك عبد الحميد ، « الرثاء فى شعر ابى العلاء » للاستاذ احمد الشايب ، « القصة فى ادب أبى العلاء » للاستاذ كامل كيلانى . فنعتذر الى هؤلاء الاساتذة الكرام أصدق اعتذار ، ونوجه نظر القراء الى هذه المجموعة من المقالات الثمينة التى ستشمل حيزاً كبيراً من العدد القادم

وفرة محصول أبي العلاء من اللغة ، وتمكنه من شوارد العربية ودقائقها،
وصحة ادراكه أساليب النظم وفنون النثر تتمثل فى اثاره النقدية البارعة

المعرّى الناقد

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى
مراقب المجمع الملكي للغة العربية

قبل أن نتناول الموضوع الذى نسوق له هذا الكلام ، يحسن بنا أن نلم المامة رفيقة بالنقد الأدبى عند العرب فى جاهليتهم ثم فى إسلامهم . ولا شك فى أنه كان هناك نقد ، ضرورة اختلاف الآثار بالجودة والرداءة ، وتفاوت المراتب فى الجيد وتفاوت المنازل فى الردىء ، وتفطن بعض الناس الى هذا ، وقولهم فيه ، وتنبيه سواهم اليه

إذن لقد كان النقد الأدبى قائما عند العرب من يوم جرت السنتهم بالشعر ، ومن يوم كان الشعراء . على أن هذا النقد انما كان يجرى فى أضيق الحدود ، وبعبارة أخرى كان نقداً ساذجا بسيطا يبعثه مجرد الحس الحاضر ، لا ينطلق فى حدود مرسومة ، ولا يتأثر فى مذهبه قضايا مقررة مقسومة ، شأن كل فن فى عهد البداوة ومطلع النشأة

وكيفما كان الأمر ، فان هذا الحس الحاضر هو الذى هدى الى الفنون ، وعليه قامت آساسها ، واليه المرجع فى تقرير ما تقرر لها من الأصول والاحكام . ولقد بسطنا هـذا الباب فى غير هذا المقام

كان العرب فى جاهليتهم ينقدون الشعر ، ولـكن هذا النقد كان ، كما أسلفنا ، ساذجا بسيطا . لايتكلفون فيه التبسط فى القول ، ولا المطاولة فى سبيل الابانة والـكشف ، وتعمد الفلج ، تغنيا بصحة طبع السامع ، وقوة فطنته ورهافة حسه ، هذا الى أن النقد الذى يصدر عن حاضر الحس لا يحتاج الى جهد فى التدليل ولا طول معاناة

ولقد كان نقد العرب فى جاهليتهم متجرداً أكثره ، اذا لم يكن متجرداً كله ، فى سبيل المعانى بالدلالة على جيدها وعلى رديئها ، والمفاضلة بين الحسن والأحسن منها . وينبغى أن يكون الأمر كذلك ، وينبغي ألا يكون الأمر غير ذلك . وكيف يعتريهم النقد من ناحية اللغة فى متنها ، أو فى اعراب جملها ، أو فى تصرف ألفاظها ، وهم أولياء ذلك كله ، وهم ينبوعه ومنجمه ، وهم مصدره ومورده ، صحيحه ما نسب اليهم ، وفاسده مما ينبغى أن ينفى عنهم ؟

وكذلك القول فى نظم الكلام ، ووقوع أجزائه على النبرات الموسيقية ، فما كان (العروض) إلا هاديا فى النظم لسبيلهم ، ضابطا فى قواعده لما التزموا وما تجوزوا ، مقيداً لما تحرجوا فيه وتحرزوا

وأرجو ألا يذهب عنك أن العرب ، فى جاهليتهم ، سواء أكانوا يكثرون من نقد الشعر أم يقلون ، فان ما انتهى الينا فى هذا الباب قليل أى قليل ، لما علمت من أنهم لم يكونوا أصحاب تقييد وتدوين

ولعل من أقدم ما أثر الينا من نقد الجاهليين ، اذا صدق الرواة ، مازعموا من أن امرىء القيس وعلقمة تنازعا في الشعر ، وأيهما أشعر ؟ فرضى علقمة بأن تكون أم جندب زوج امرىء القيس حكما بينهما . فقال كل منهما قصيدة يصف فرسه ، على قافية واحدة وروى واحد . فجاء فى قصيدة امرىء القيس :

فللسوط ألهوب وللساق درة ... وللزجر منه وقع أحرج مهذب

وجاء فى قصيدة علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلب

فقالت أم جندب : علقمة أشعر ، لأن فرسه أدرك الطرائد ثانيا عنانه ، لم يضربه بسوط ولم يتعبه . وأما امرؤ القيس فقد ضرب فرسه بسوطه ، وحركه بساقه ، وزجره بصوته !

وكان النابغة تضرب له قبة بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها ، فأنشده حسان بن ثابت قصيدة له منها :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك » لأن الأسياف والجفان من جموع القلة ، ولو طلب الكثرة لقال : سيوف وجفون !

وأضاف بعضهم نقد هذا البيت الى الخنساء ، وزادوا فى روايتهم نقدها لكلمات البيت جميعا !..

***

ولما كانت دولة الاسلام كثر نقد الشعر ، أو كثر ما نقل الينا منه ، بحكم شيوع الكتابة واثبات الكلام . ومن أطرفه ما حدثوا من أنه لما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بقصيدته السينية المشهورة التى أولها :

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا ... فى آل لأى بن شماس بأكياس

لم يوجعه منها قدر ما أوجعه قوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

(البقية فى صفحة ٩٦٦)

صورة قلمية تمثل

رهين المحبسين

بقلم الاستاذ ميخائيل نعيمة

عشرة قرون . ان دقائق عشراً لفسحة من الزمان كافية لمحو عالم وخلق عالم ، فكيف بقرون عشرة ؟ وكيف برجل تمر به هذه القرون بمدها وجزرها ، فتجرف الكثير من الذين سبقوه والذين عاصروه والذين جاءوا بعده ، ولاتقوى على جرفه ، بل تحمله كمطية مطواع من فجر حول الى فجر حول ، ومن قلب جيل الى قلب جيل ؟ وهكذا يلف هذا الرجل الزمان ولايلفه الزمان ، ويطوى المكان ولا يطويه المكان ، فيصل الف عام بساعاتها بهذا العام وهذه الساعة ، ويربط معرة النعمان بالوف الدساكر والمدن فى سائر الأقطار ، ومنها بلدة جاورت حنين فى لبنان ، ويحرك بأفكاره أقلاما لا تعد ، ومنها القلم الذى يجرى بهذه السطور

هو الرجل الذى كان من أشد الناس تبرما بالزمان والمكان ، ونقمة على حياة كان يحسبها جناية واثما لأنها فى اعتقاده ، أضيق من المكان وأقصر من الزمان . لها أول فيه بعض الحلاوة ، ولها آخر كله مرارة ، ومرارة آخرها تمحو حلاوة أولها . وهذا الرجل عينه ، من بعد الف سنة مرت على إنعتاقه من حياته المرة ، يفتح لى وللكثير سواى باب منزله على مصراعيه قائلا :

« تفضلوا وادخلوا » فكأنه ما اعتزل الناس فى حياته الا لتكون عزلته حافلة بهم بعد مماته ، ولا طلب الافلات من الحياة إلا ليمسك بالحياة فلا تفلت منه ، ولا الخروج من قبضة الزمان الا ليصبح الزمان فى قبضته

ها انا اطل عليه فى نفق ضيق مظلم من منزله الوضيع . فأراه جالسا وحده الى طبق من القش عليه قصعة من العدس المطبوخ ، وأخرى من الدبس ، وبعض الخبز . وأرى يده اليمين تمتد متمهلة بكسرة من الخبز الى قصعة الدبس وكأنها تخشى ان تخطئها فتقع على العدس ، أوأن تخطىء الاثنين فتقع على فسحة فارغة من الطبق . وبعد تردد تبلغ ما تقصد اليه ، فتغمس اللقمة بالدبس وترفعها بحذر الى الفم . لكنها لا تكاد تلامسه حتى يدخل الخادم لينعى الى مولاه وفاة صديقه ابى حمزة . فتجمد اليد فى الهواء ، وتقع اللقمة من بين اصابعها مارة بجبة الرجل وتاركة عليها آثاراً من الدبس لو كان له أن يراها لأنسته فظاعتها فاجعته بصديقه . إلا أنه لا يستطيع أن يراها

إذ لا منفذ للنور من عينه الغائرة وأختها النافرة ، وقد امتص الجدرى ماءها ورد مافيهما من نور الى الداخل يوم لم يكن لصاحبهما من العمر أكثر من سنوات أربع

اما وجهه الأسمر النبيل المستطيل فتغشوه فى الحال سحابة سوداء لاتلبث أن تنقشع عن سحابة مثلها ، ثم أخرى ، ثم أخرى . فكأن ذلك الوجه النحيل الذى نخره الجدرى تحول مسرحا لخيالات سود تعدو سراعا من شعرة الى شعرة ، ومن شفة الى شفة ، ومن حاجب الى حاجب ، ومن أذن الى أذن . وكأن عينيه ، وقد خبا نورهما ، تحاولان التقاط ما قد يكون فى تلك الخيالات من أنوار خفية

دقيقة . دقيقتان . والرجل لا يتحرك من مكانه كأنه سمر بالأرض . وأخيراً تنفتح شفتاه الرقيقتان الداويتان بكل ما فيهما من صبر وأنفة وشمم فيأمر خادمه بالانصراف عنه وبألا يأذن لأحد بالدخول عليه . ومن بعدها ينهض متواكلا بقامته الطويلة النحيلة وقد تغطت بجبة من الصوف الخشن ، وتكللت بعمامة تماثل الجبة خشونة وسواداً ، والعمامة والجبة تنمان عن فقر يتعشق النظافة رغم العمى ورغم قطرات الدسم

ويمشى الرجل بغير عصا ومن غير ان يتلمس الجدران الى باب النفق الضيق الواطىء فينحنى إذ يخرج منه الى حيث عادته أن يجالس قاصديه من طلاب معرفة ، اوغواة جدل ، أو ذوى حاجة من الحاجات . لكنه لا يتوقف هناك بل يجتاز المكان الى باب مخدعه الخاص . فيفتحه ويدخل ثم يوصده وراءه ويخطو بضع خطوات الى زاوية مفروشة باللبد لا غير . وهناك يتربع واضعا يديه على ركبتيه ومصوبا عينيه الى الأرض

وينحنى رأسه قليلا فقليلا كأن به ثقلا لا يقوى عنقه الطويل على حمله . وتكاد العمامة تهوى عنه الى الارض . فيأخذها بيديه ويضغط عليها . وينحدر الثقل من رأسه الى قلبه ، فيحس فيه انقباضا وأى انقباض ، كأن يداً من حديد تعصره فتكاد تزهق أنفاسه ، فيتمنى لو يذهب الموت بأنفاسه. ثم يخيل اليه أنه فى قبر ، وهل القبر أضيق أو أشد ظلاما من هذا البيت الذى قضى فيه أبوه ثم أمه وتركاه أعزلا من كل سلاح حتى من البصر ! — بيت ما أشرقت جدرانه القاتمة ببسمة طفل ، ولا رقصت عيدانه اليابسة لقهقهة ولد منذ خمسة عقود — منذ أن كان هو طفلا رضيعا ثم فطيما صغيرا — بيت لا تهتز أرضه لخطوات زوج تلتهب محبة لزوجها ، ولاتتجاوب زواياه بعذوبة صوتها . حقا أنه لقبر هذا البيت الذى احتبس فيه عن الناس وعن كل مافى العالم الواسع خلف جدرانه وهو دفين فيه من زمان ، وما برح يحسب نفسه من الاحياء

وهذا الجسد الذى أغلقت نافذتاه الى عالم الاشكال والألوان ، أليس هو كذلك قبراً ؟ فلا السماء بكواكبها ، ولا الارض بمواكبها تجد اليه سبيلا إلا على قدر ما تتناول منه أذناه ويداه ، وأنفه ولسانه ، وهل تتناول الاذن أشباح الانفعالات التى تتمايل على وجوه الناس فتنم عما فى

صدورهم بفصاحة أين منها فصاحة اللسان ؟ أو تتناول اليد البحر والجبل ، أو الانف عجائب الفجر والمساء ، أو اللسان غرائب الزهر والثمر ؟ بل‌هاهو ، وقد أفنى حياته فى الدرس والتأليف ما تمكن يوما من قراءة ما درس وما ألف لا بيده ولا بأنفه ولا بلسانه ولا باذنه . حتى ان الحروف التى يؤلف منها ما ينظم وماينثر طلاسم عنده فى طلاسم ، يستعين على فكها بنظر يستعيره من سواه

أما لذة المؤلف فى قلمه وهو يجرى به على القرطاس فلذة لا أثر لها فى نفسه على الاطلاق . وأى خير فى التأليف من‌أى نوع كان ؟ بل أى خير فى كل مايعمله الناس — بصيرهم ومكفوفهم — ما دام الموت لهم بالمرصاد ؟

أجل . انه لميت . وهذا البيت قبر . بل الارض كلها قبر واحد يبيت فيه أجساد الناس منذ فجر الخليقة ،فما كان أديمها غير أجساد بشرية بالية . فيا لغرورمن يمشى عليها مختالا بحسب أو بنسب أو بقوة أو بسلطان ، وهو لايعلم من تراب أى جيل‌جسده ، ولا بتراب أى بشر سيمتزج ترابه بعد الموت . وقد يكون عدو له فى الحياة شريكا له فى القبر بعد الممات . وقد يمسى فوقه من هو اليوم تحته . فما أجهل الناس يتسابقون فى مضمار حياة محجتها اللحد . وما أغباهم يفرحون للولادة ويحزنون للموت ولا فرق عند الارض بين تلك وهذا . ولو انهم أراحوا انفسهم من مثل هذه التفرقة بين الامور لتخلصوا من أوجاع كثيرة . لا . لا البكاء يجدى ولا الغناء ، انما يجدى الترفع عن الاثنين

« ولد ابو حمزة » . « مات ابو حمزة » . أى فرق بين هذين الخبرين عند من يعرف أن من ولدسيموت حتما ، ومن مات كان مولودا قبل ان مات ؟ أى فرق عند الشمس بين قول قائل : «أشرقت الشمس» وقوله « غابت الشمس » ؟

ان يكن هناك فرق بين شروق الشمس وغروبها فالشمس أدرى به . اما من ليس شمسا فما عليه إلا القبول بالشروق والغروب . كذلك ان يكن فرق بين الولادة والموت فالذى يولد ويميت أدرى به . اما من ليست الولادة ولا الموت فى قدرته فما له إلا القبول بهما

من يجهل العلل حذار أن يفرق بين النتائج فيحسب بعضها خيراً وبعضها شراً ، ويفرح للاول ويبكى للثانى . والناس يجهلون العلل لذلك إن هم فرقوا بين النتائج كان تفريقهم وبالا عليهم

وينكمش وجه الرجل عند هذه النقطة ويتقطب حاجباه وما هى إلا هنيهة حتى تطمئن ملامحه وتنبسط ، ويطفو عليها نور دقيق هادىء يكاد يشع حتى فى عينيه الفارغتين من النور . فكأن البيت الذى أوشك أن يسحقه بين جدرانه وسقفه قد تلاشى فى الأثير . وكأن سحراً مشى فى دمه فأحس جسده خفيفا كالاثير ، وأحس ذاته واسعا كالارض والسماء ، عجيبا كالقدرة التى

منها الولادة والموت . واذا بلسانه يتحرك وبشفتيه تتململان ، واذا به يسمع صوته هامسا في أذنه :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

ويدور هذا البيت على لسانه دورات واذا بآخر يدور معه :

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل ناد

لكنه بيت ، اذا فهمه هو ، فلن يفهمه الناس الذين درجوا على ترتيب كل شيء في الحياة ترتيبا يجعل الاشياء متفاوتة القدر والأهمية ، وما هي متفاوتة . فهم سيقولون إن في بشارة الولادة فرحا وفي نعي الموت حزنا . فكيف يتساويان ؟ ألعلهم يقولون ذلك في هديل الحمامة وهم لايعرفون ، أبكاء هو أم نواح ؟

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على غصن دوحها المياد ؟

وهكذا ينبثق البيت من البيت ، وهكذا تتماسك أعجاز البيوت بصدورها وصدورها باعجازها ، وفي كل بيت صورة بل صور تجعل الناظر اليها يخجل من الحزن والتفجع على الأموات . صور يجلو بعضها بعضا فتبدو رائعة ببساطتها ، غير متناهية في مداها ، لاتعنت فيها ولا تكلف ، لا نغمة تؤلم الأذن ، ولا لون يجرح العين ، ولا معنى يعمر الفكر . حتى كأن هذه الصور صورت ذاتها ، وكأنها كانت في العالم منذ أن كان العالم ، لكن ستاراً كان يحجبها عن أعين الناس ، فما فعل هذا الضرير اكثر من أن أزاح عنها الستار ، فكان وحده المبصر في عالم عميان

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد

ومن بعد أن يفرغ خياله من صور الموت على الأرض يرتفع الى فوق فيرى ما في الفضاء سائراً الى الاغلال . فزحل على ميعاد مع الردى . والثريا رهينة بتشتت الشمل . كل ما في السماء وعلى الأرض زائل . اما الانسان . . .

ويتقطب حاجبا الأعمى ثانية ، ويضغط بيديه على رأسه أشد من قبل . ويغرق في لجة من التفكير ، ثم يرفع رأسه الى فوق كأنه يستنجد قوة خفية . ويمر بيمناه على لحيته واذ ينحدر بها الى صدره تلامس شيئا لزجا على جبته . فيجفل كالملسوع . ويحتقن الدم في وجهه . وتمشي قشعريرة في بدنه . ويفطن للدبس الذي اكل . فينهض من مكانه متمتما « قاتل الله النهم » ويروح يفتش عن ابريق الماء حتى اذا وجده بل منديلا واخذ يمسح به الدبس عن جبته ، متعزيا عن هذه « الكارثة » بانه تنبه لها قبل أن يراها غيره ويضحك منه في سره . فهو شديد الحذر الى حد الجنون من أن تكون بليته يبصره مدعاة لسخر الناس به . لكنه ما يكاد ينتهي من تنظيف جبته حتى يستغرب ذاته . فكأنه ليس الرجل الذي منذ دقائق كان يفكك الثريا ، ويذري غبار زحل في هاوية الزمان ، ويرفع النقاب عن وجه الأرض ليرى الناس ما تحته من قبور

كيف يخشى قطرة من الدبس على جبته ، من ليس يخشى الموت فى قلبه ، ومن يقول إن الموت والولادة سيّان ؟ أنه لعجيب هذا الانسان الذى يسطو على الاكوان بخياله وتسطو عليه قطرة من الدبس . بلى . عجيب واكثر من عجيب . أليس من الممكن أن يكون مفتاح الحياة والموت فيه ؟

يجول الرجل فى كل ناحية من نواحى فكره لعله يتمكن من الجواب بالنفى أو بالتثبيت ، فلا يتمكن ، فيكتفى باعلان حيرته فى ذاته وفى كل انسان :

والذى حارت البرية فيــه حيوان مستحدث من جماد

لكنها حيرة تتمخض عن معرفة . ولكنها معرفة فى قلبها ايمان

* * *

بعد أعوام يغيب أبو العلاء فى رمسه . اما « غير مجد » فتشرق أبياتها بنور ما يزال يتهادى على أسنمة السنين ، واصلا قطراً بقطر وجيلا بجيل . ولن يخبو هذا النور حتى تخلو الأرض من القبور

لعل من اختارته الحياة اناء لمثل هذا النور ما يزال — من بعد الف سنة — ناقما على الحياة ، وفى ريبة من أن الانسان أبقى من الزمان وأوسع من المكان ؟

ميخائيل نعيمه

جناية الأبناء

صحبتك فاستفدت بهن ولدا أصابك من أذاتك بالسمات

ومن رزق البنين فغير ناء بذلك عن نوائب مسنمات

فمن ثكل يهاب ومن عقوق وارزاء يجئن مصممات

وان تعط البنات فأى بؤس تبين فى وجوه مقسمات

يردن بعولة ويردن حليا ويلقين الخطوب ملومات

ولسن بدافعات يوم حرب ولا من غارة متفشمات

ودفن والحوادث فاجعات لاحداهن احدى المكرمات

وقد يفقدن أزواجا كراما فيا للنسوة المتأيمات

المعرى

المعرى النباتى

كان رحيماً متقشفاً لا زنديقاً ملحداً

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد
وكيل القومسيون الطبي العام

النباتى لغة العارف بالنباتات . أما النباتى فى عرف الطب فهو من اقتصر فى غذائه على المواد النباتية ممتنعا عن تناول شىء من المواد الحيوانية . ومن النباتيين من يتنطع فى مذهبه فلا يتناول البيض واللبن والجبن والسمك لأنها من أصل حيوانى ، ومنهم من يعف عن اللحوم المختلفة لكنه لا يأبى أن يتناول البيض واللبن والجبن والسمك

حجج النباتيين

ويرتكن النباتيون فى مذهبهم على أسباب مختلفة . فهم يدعون من الناحيه الفسيولوجية أن الانسان قريب المشابهة بالقرد آكل الفواكه والاثمار ، بعيد كل البعد عن أكلة اللحوم وأكلة الأعشاب وأكلة اللحوم والأعشاب معا . فيرد بعضهم على ذلك بأن الانسان من الناحية الفسيولوجية يعتبر حيوانيا نباتيا ، ذلك لأن له أنيابا ولأن امعاءه متوسطة الطول بين أكلة اللحوم وأكلة الأعشاب . فيعترض عليهم النباتيون بأن للقرد آكل الفواكه والاثمار أنيابا ، أما امعاء الانسان فلا تجعله صالحا لتناول الأعشاب التى تستلزم امعاء طويلة ، ولا تجعله صالحا لتناول اللحوم التى تستلزم امعاء قصيرة لكى لا يطول مكثها فيها فتتعفن ويصيبه أذى من تعفنها

ويقول النباتيون من الناحية الكيميائية إن العناصر الغذائية الضرورية متوفرة فى المواد النباتية فيرد عليهم المعترضون بأن الجسم لا بد من استيعابه مقادير كبيرة منها للحصول على العناصر الغذائية الضرورية له وأن الجسم لا يعانى عناء كبيراً فى هضم المواد الحيوانية وتمثيلها

ويعتقد النباتيون أنهم باقتصارهم على تناول المواد النباتية يتجنبون الامراض التى قد تنتقل اليهم عن طريق المواد الحيوانية ، وانهم أرحم من أن يقتلوا الحيوان أو يذبحوه ليأكلوه . فيرد عليهم المعترضون بأن تلك الامراض يمكن اتقاؤها بالمراقبة الصحية الشديدة ، وان الرحمة بالحيوان تتم باحسان الذبح على نحو ما يحتم الشرع الاسلامى مما يطول بى الكلام لو أردت بيانه ، واننا اذا

تركنا أنواع الحيوان ترعى وترتع وتلعب ولم نذبح الصالح منها لغذائنا تكاثرت تكاثراً كان من شأنه أن يعتدى بعضها على بعض ويفترس قويها ضعيفها

ومن الأسباب التى يعتمد عليها النباتيون أن المواد النباتية أفضل من الناحية الاقتصادية لرخصها عن المواد الحيوانية ، وانهم باقتصارهم على المواد النباتية تكون صحتهم قوية وقوتهم عظيمة . فيرد الخصوم عليهم انهم لو أضافوا الى غذائهم شيئا من المواد الحيوانية لازدادوا صحة على صحتهم وقوة على قوتهم . وكذلك يقول النباتيون : هبك جنبت عدداً معينا من الأفدنة لتربية المواشى لذبحها فلحومها لا تكفى إلا عدداً صغيراً من الناس ، على غير ماهى الحال اذا زرعتها بقولا وحبوبا ونباتا فهى وقتئذ تكفى عدداً أكبر . فيعترض عليهم أن من الارض ما لا يصلح إلا لانبات الكلأ والحشائش التى ترعاها المواشى

وكذلك يقول النباتيون إن إنبات البقول والحبوب والفواكه والخضر يحتاج الى استخدام عدد كبير من الفلاحين أو المزارعين وبذلك تكثر الأيدى العاملة وتقل البطالة على غير ماهى الحال اذا جنبت الارض للمرعى

نباتية المعرى

ودعك من النباتية أو الحيوانية أو الجمع بينهما يتخذها الانسان سبيلا لغذائه المستمر طوعا لارادته وهواه . فهناك امراض معينة تقتضى أن يمتنع الانسان عن اللحوم وأن يقتصر على الخضر والفواكه ، وهى أحوال يطول بى الكلام لو أردت شرحها تفصيلا ، فلنتركها لنتكلم عن أبى العلاء المعرى الذى عاش نيفا وثمانين سنة لم يأكل اللحم منها خمسا واربعين سنة . فقد روى بعضهم « أنه مرض مرة فوصف الطبيب له الفروج فلما جىء به لمسه بيده وقال : استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الاسد ؟ »

وكذلك روى بعضهم : « أنه بقى خمسا واربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض ويحرم إيلام الحيوان ويقتصر على ماتنبت الارض ويلبس خشن الثياب ويظهر دوام الصوم »

وكذلك روى : « أن رجلا لقيه فقال له : لم لا تأكل اللحم ؟ قال : أرحم الحيوان » ، قال : « فما تقول فى السباع التى لا طعام لها إلا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق ، فما انت بأرأف منه ، وان كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت باحذق منها ولا اتقن عملا . فسكت »

ويستدل القوم على ان المعرى كان معتنقا المذهب النباتى من قوله فى لزومياته :

غدوت مريض العقل والدين فالقنى　　لتسمع أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما اخرج الماء ظالما　　ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
وابيض أمات أرادت صريحه　　لاطفالها دون الغوانى الصرائح

ولا تفجعن الطير وهى غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذى بكرت له كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كى يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائح
مسحت يدى من كل هذا فليتنى أبهت لشأنى قبل شيب المسائح

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة حسبنا منها ماذكرت مما معناه: أنه يدعو عليل العقل والدين ليخبره بالصحيح من الأمور، وينصح بعدم أكل ما يخرج الماء لأنه يعتقد أن السمك لا يخرج من الماء الا وهوكاره. وكذلك ينصح بعدم أكل غريض الذبائح احتنابا لايلامها فى أثناء ذبحها. وينصح بعدم شرب اللبن لأنه يرى أنه لأطفال البهائم التى تشرب لبنها. وفى ذلك يقول: « ومشهور أن الأم اذا ذبح ولدها وجدت عليه وجدا عظيما وسهرت لذلك الليالى، وقد أخذ لحمه وتوفر عليه أصحاب أمه ما كان يرضع من لبنها. وأى ذنب لمن تحرج عن دم السليل ولم يرغب فى استعمال اللبن ولا يزعم أنه محرم، وانما تركه اجتهاداً فى التعبد ورحمة للمذبوح رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السموات والارض. واذا قيل ان الله سبحانه يساوى بين عباده فى الاقسام فأى شىء اسلفته الذبائح من الخطأ حتى تمنع حظها من الرأفة والرفق؟» ثم استأنف ناصحا بعدم أكل الطير بقوله:

ولا تفجعن الطير وهى غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح

وفى ذلك يشرح المعرى رأيه بقوله:

« ان النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن صيد الليل وذلك أحد القولين فى قوله عليه الصلاة والسلام: « أقروا الطير فى وكناتها » وفى الكتاب العزيز: « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم » الى غيرها من الآى فى هذا المعنى. فاذا سمع من له أدنى حس هذا القول فلا لوم عليه إذا طلب التقرب الى رب السموات والارضين بأن يجعل صيد الحل كصيد الحرم وإن كان ذلك ليس بمحظور »

ثم تمادى فى النصح بعدم تناول العسل الابيض الغليظ لأن النحل لم تحرزه لكى يكون لغيرها ولا جمعته لتجود به أو لتعطيه الغير كما تعطى الناقة أو الشاة لبنها غيرها بقوله:

« لما كانت النحل تحارب الشائر عن العسل بما تقدر عليه وتجتهد أن ترده عن ذلك فلا غرو ان أعرض عن استعماله رغبة فى أن تجعل النحل كغيرها مما يكره فيه دم الآكيل وأخذ ما كان يعيش به لتشربه النساء كى يبدن وغيرها من بنى آدم »

واستأنف المعرى قائلا: « انه روى عن على عليه السلام حكاية معناها أنه كان له دقيق شعير فى وعاء يختم عليه فاذا كان صائما لم يختم على شىء من ذلك الدقيق. وقد كان عليه السلام يصل الى

غلة كثيرة ولكنه كان يتصدق بها ويقتنع اشد اقتناع . وروى عن بعض اهل العلم انه قال فى بعض خطبه ان غلته تبلغ فى السنة خمسين الف دينار وهذا يدل على أن الانبياء والمجتهدين من الأئمة يقصرون نفوسهم ـ أي يحبسونها عن الشهوات ـ ويؤثرون بما يفضل منهم أهل الحاجة »

ومن الغريب انى طالعت كثيراً عن المذهب النباتى في المطولات الطبية والموسوعات الانكليزية فلم أجد من ذكر العسل الابيض وأشار بالامتناع عن تناوله كما فعل المعرى . فاذا افتخر بقوله المشهور : وانى وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

أقول فاذا افتخر المعرى بقوله هذا فما كان أحراه أن يفتخر بما لم تدركه الأواخر مع تقدم العلوم تقدما عظيما عن العصر الذى عاش فيه

هل كان المعرى ضالا ؟

ولا ريب فى ضلال من حرم ما احل الله لنا . فقد احل لنا السمك بقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة » وبقوله أيضا « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » وقد أحل لنا العسل بقوله تعالى : « يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس »

وقد أحل لنا لحوم الانعام بقوله تعالى : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » وكذلك أحل لنا اللبن بقوله تعالى : « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » بل لقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على ان المواد الحيوانية قد تكون فى غذاء الانسان أفضل من المواد النباتية وهو ما يلتئم والاراء الحديثة فى الطب فقد جاء فى الكتاب العزيز : « واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم » والطعام الواحد الذى قالوا عنه أنهم لن يصبروا عليه هو المن والسلوى فقد جاء ذكره فى قوله تعالى : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى . كلوا من طيبات ما رزقناكم . وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وقد عبر عنه بطعام واحد وان كان مركبا من المن والسلوى لانه كان مأكلا واحداً لا يتبدل ولا يتغير . والسلوى الطير المعروف بالسمانى

أقول لا ريب فى ضلال من حرم ما أحل الله لنا من هذه الطيبات متعمداً مستهتراً ولكن هل كان أبو العلاء المعرى من هذا النوع ؟

لقد اختلف المؤرخون فى ذلك . فمنهم من اتهمه بالزندقة والالحاد ومنهم من دافع عنه وبرأه من هذه التهمة

ويخيل لى انه رحمه الله لم يتخذ المذهب النباتى لأنه يرى تحريم ما أحل الله ولكنه كان مدفوعا اليه اجتنابا لايلام الحيوان رأفة به ورحمة له ورغبة فى أن يجازى عن ذلك بالغفران . ولعل أكبر دليل على ذلك ماجاء فى لزومياته :

تسريح كفى برغوثا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا
لا فرق بين الأسك الجون اطلقه وجون كندة أمسى يعقد التاجا
كلاهما يتوقى والحياة له حبيبة ويروم العيش مهتاجا

فهو فى هذه الأبيات يرى تسريح البرغوث واطلاقه خيراً من التصدق بدرهم على محتاج . ألا يدل ذلك على أنه كان رقيق القلب عطوفا رءوفا ؟

ومن الأدلة على رفقه بالحيوان رفقا شديداً قوله فى اللزوميات أيضا :

يكفيك أدما سليط ما اريق له دم ولامس روحا إذ جرى ألم

وعندى أن اقتصاره على المواد النباتية أو امتناعه عن تناول المواد الحيوانية هو من باب ايثار الحيوان على نفسه توغلا فى الزهد والتقشف . فقد رد على من ادعى أن ترك أكل اللحم ذميم بقوله : « ولو أخذ بهذا المذهب ، لوجب على الانسان ألا يصلى صلاة إلا ما افترض عليه لأن ما زاد على ذلك أداه الى كلفة والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك ، ولوجب أن الذى له مال كثير اذا اخرج عن الذهب ربع العشر لايحسن به أن يزيد على ذلك ، وقد حث الناس على النفقات فى غير موضع من الكتاب الاشرف »

وقد يكون من التعسف أن نحكم حكما قاسيا على كل من امتنع عن شىء أحله الله لنا وهو لا يقول بتحريمه

ولنا فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له أحرام هو ؟ - والكلام على الضب - قال لا ، ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى اعافه

فالمعرى ، على ما اعتقد استنباطا من اشعاره وأقواله ، زاهد غاية فى الزهد ، عابد متنطع فى عبادته ، متقلل يأخذ نفسه بالخشونة قانع باليسير ، معرض عن الدنيا وزخرفها . وهذا مما يجعلني أميل الى الاعتقاد بأن نباتيته ناشئة عن شفقته وزهده وتقشفه لا عن زندقته والحاده

أما ما ورد فى أشعاره مما يصح أن يؤخذ عليه فلا يبعد أن يكون مدسوسا عليه للنيل منه فقد جاء عنه « أنه كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وايثاراً لاتلاف نفسه »

ومما يدل على ذلك قوله :

حاول اهوانى قوم فما واجهتهم الا باهوان

يحرشـــونى بســـعاياتهم فغيروا نيـة اخـوانى
لو استطاعوا لوشوا بى الى الـ مريخ فى الشهب وكيوان

وكذلك قوله :

غريت بذمى أمة وبحمد خالقها غريت
وعبدت ربى ما استطعـ ت ومن بريته بريت
وفرتنى الجهال حا سدة على وما فريت
سعروا على فلم أحـ س وعندهم انى هريت

ولست أدرى أيصح ان أقول عن المعرى ما قاله المعرى عن المتنبى ، فقد كان يتعصب له ويفضله وكان المرتضى يتعصب عليه فجرى ذكره يوما فتنقصه المرتضى فقال المعرى لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قوله : « لك يامنازل فى القلوب منازل » لـكفاه فضلا فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج وقال : أتدرون ما قصد بهذه القصيدة فان للمتنبى ما هو أجود منها ، فقالوا : لا ، قال : أراد قوله فيها

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل

واستأنف الراوى على ماجاء فى بغية الوعاه قائلا :

« ولما رجع ابو العلاء الى المعرة لزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين ، يعنى حبس نفسه فى المنزل وحبس بصره بالعمى »

ولعل رفقه بالانسان لا يقل إن لم يزد عن رفقه بالحيوان مما يدل على قوله :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا خوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحا ونفضك الصدر من غل ومن حسد
ما دامت الوحش والانعام خائفة فرسا فما صح أمر النسك للاسد

بل ليس أدل على رفقه بالانسان مما أوصي أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

الدكتور محمد عبد الحميد

ان مسافة الخلف بين المعري والخيام واسعة . فالاول رواق المذهب والثاني ايقوري النزعة . ولكنهما في التشاؤم بالحياة والزراية بها والرثاء لحال الانسانية سواء

بين أبي العلاء والخيام

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

— ١ —

عظيمان من علماء الاسلام وأدبائه ، عاش أولهما بين سنتي ٣٦٣ و ٤٤٩ من الهجرة ، وعاش الثاني في القرن الخامس وأوائل السادس لا يعرف يقينا تاريخ مولده ووفاته ، وان يكن أدرك زمان المعري فما أدرك منه إلا سنين قلائل

بعض الأدباء يذكرون الخيام مع المعري ، ويكثرون من تشبيه أحد الرجلين بالآخر فهل هم في ذلك على هدى ؟ . ماذا عسى أن يتبين الباحث من تشابه بين عالم فارسي غلبت عليه الفلسفة النظرية ، والرياضة والفلك ، وأديب عربي غلبت عليه الفلسفة العملية والشعر وعلوم الادب ؟

ماذا يجد من قرب بين بصير رأى الوان الحياة ، وسرح طرفه في ارجائها وأمتع نفسه بمشاهدها ، وسرى همومه بمرائيها ورأى فيها مضطربا واسعا ، وبين آخر كفيف لا تنطلق نفسه في نظراته ، ولا يهتدي السبل في مناكب الارض ، لزم داره وتسمى رهين المحبسين : العمى والدار ، بل رأى الحياة محبسا ثالثا فقال :

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسد الخبيث

بل ماذا تجد من شبه بين هذا الفلكي البصير الذي يأخذ حظه من متاع الحياة ولذة العيش ويدعو الناس الى انتهاز الفرص ، وبين هذا الأديب الضرير الذي غلب عليه الحزن والانقباض وزهد في الدنيا ودعا جاهدا الى الزهد فيها ؟ هذا بين كأسه ومزهره ونديمه في المروج الخضراء على مجاري الماء ، وهذا في ظلمته يملي على الناس ما أدرك عقله من مساوىء هذا العالم ، وما أحس قلبه من هموم هذه الحياة ، ويعتم لما لم يدرك من أسرار الكون ومعمياته . كأن هذين الاديبين كما قال ابو العلاء :

زحلي داجم يصحبه ... زهري الطبع غني وزمر

ان قارىء اللزوميات كثيرا ما يمر بمثل هذه الأبيات :

يحل بمهر رحيق الرضـاب وليس يحل رحيق العنب
يعيد الفتى كالذى نابه جنون ، على أنه لم ينب
توخ بهجر أم ليلى فانها عجوز أضلت حى طسم ومارب
دبيب نمال عن عقار تخالها بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لأوجبت قلاها أصيلات النهى والتجارب

وكذلك يمر قارىء اللزوميات بأبيات كثيرة تنهى عن اللهو واللعب . وأما الزهد فلا تكاد تخلو من الدعوة اليه صفحة من الكتاب . وأما قارىء الرباعيات ، رباعيات الخيام ، فهو فى دعوة الى الشراب واللهو تلقاه بها كل صفحة

شرب الخمر والطرب مذهبي
والفراغ من الدين والكفر دينى
قلت لعروس الدهر ما مهرك ؟
قالت مهرى القلب الطروب
تقلب الدهر بالصيف والشتاء
يطوى أعمارنا طى السجل

فتجرع الخمر ولا تتجرع الهم فقد قال الحكيم : هموم الدنيا كالسم وترياقها الخمر

وعلى هذا القطب يدور شعر الخيام فى رباعياته

فهذان شاعران دعوة أحدهما : اشرب واطرب ولا تبال شيئا ، ولا تفكر فى الأمس ولا الغد

* أيأتى نبى يجعل الخمر طلقة لتحمل ثقلا من همومى واحزانى
وهيهات لو حلت لما كنت شاربا مخففة فى الحلم كفة ميزانى
* مافات مات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

والثانى دعوته : أزهد واهجر الخمر واللهو وفكر فى أمسك وغدك . ذانك مذهبان فى العيش مختلفان كل الاختلاف تترادف عليهما الأدلة من شعر الشاعرين

— ٢ —

ان الذى يقنع بالنظرات العاجلات لا يرى بين شاعر المعرة وشاعر نيسابور تشابها ، بل يرى بينهما تباعدا وتنافرا وتناقضا . وله العذر فى هذا الرأى فالاختلاف بين الرجلين عظيم ، والذى يقرأ اللزوميات والرباعيات قراءة مستوعب متأمل يرى مسافة الخلف بين الاديبين تزداد اتساعا ، ولكنه ، ولا ريب ، يدرك مع هذا الاختلاف البين شبها بينا

يرى المعرى قد أجال فكره فى العالم كله جملته وتفصيله ، ونظره فى الحياة أصلها وفروعها ،

فهو يروع القارىء بسعة الفكر ، وعمقه ، وتنوعه ، ويرى الشاعر جائل الفكر بين السماء والارض والحياة والموت ، والدين والكفر ، والعدل والجور ، والشفقة والقسوة ، أمور كثيرة ترجع الى أخلاق الناس وسياسة الامم . يقول فى اللزوميات :

* فكرى أنت ربما هدى الانسان للمشكلات بالتفكير
ما الذى نستفيد فى هذه الدنيا بطول الرواح والتبكير ؟

* حياة وموت وانتظار قيامة ثلاث أفادتنا الوف معان

فذلك الأصل الذى يبدأ منه تفكيره ثم يمده ويفصله حتى يتناول كل ما يهم الفكر فى هذه الحياة

ويظهر المعرى فى شعره مفكراً ملحا فى التفكير ، مهموما حزينا ، حائراً ومهتديا، شاكا ومؤمنا، باختلاف الامور التى ينظر فيها والأحوال التى تتداول نفسه ، حتى يكاد يكون شعره فلسفة وتفكيراً. وكذلك يدرك القارىء هذا المسلك الوعر الذى حمل الشاعر نفسه عليه فى حياته ظاهرا فى أسلوبه اللفظى كذلك ، فهو يلتزم فى القافية ما لا يلزم ، ويكلف نفسه أن ينظم قوافيه على الحروف كلها المألوف منها وغير المألوف ويقيد نفسه بكثير من الجناس وضروب الصناعة اللفظية والمعنوية

وأما الخيام فتمثله رباعياته رجلا لاهيا قد انتبذ مكانا فى مرج تحت شجرة على مجرى ماء ، ومعه كأسه ومزهره ونديمه وهو يقول : نحن لاندرى ـ لا ندرى من أين جئنا الى هذا العالم ، ولماذا جئنا ، والى أين ننتهى ، اننا الى فناء سريع فى تطور هذا العالم . فخذ حظك من متاع الحياة ، ولا تبتئس ، ولا تبال بشىء ولا تضيع فرصة تلوح لك . حياتك كالربيع يزدهر ثم يذبل وشيكا ، فاذا زين الربيع وجه الارض وغنى البلبل للورد فخذ مزهرك وكأسك وشارك الورد فى بهجته والبلبل فى غنائه الخ الخ

معان قليلة يصورها الخيام صوراً شتى ، ويعرضها فى ألوان كثيرة . كالزهر تختلف أشكاله وتفترق ألوانه ، ولكنه زهر تعدده الصور ويوحده المعنى. وأين ذلك من لزوميات أبى العلاء التى تشبه البرية المنبتة تخرج من الشجر والنجم والعشب والشوك والريحان كل ما فى طبيعة الارض

— ٣ —

ما الشبه الذى نجده بين الخيام والمعرى بعد الفروق التى قدمنا ؟ كلاهما متفلسف قرأ الفلسفة وفكر تفكيراً عميقا فلسفيا وكان له فلسفة عملية انتهت اليها آراؤه على بعد ما بين النهايتين . لست أزعم أن الخيام والمعرى درسا الفلسفة بمقدار واحد ، وليس يعنينى هنا ان اقيس الخيام بالمعرى من هذه الوجهة لتبين أن الخيام من الذين درسوا الفلسفة درسا واسعا وألفوا فيها ، والمعرى أديب لا نعرف كيف درس الفلسفة والى أى مدى بلغ فيها ، ولكن الذى يعنينا أن الرجلين كليهما فكرا فى

العالم والانسان فتحيرا وتشاءما ، وحزنا وصورا للناس ما أدركا وما أحسا من ذلك . يقول الخيام(١)

« ان الذين أحاطوا بالآداب والعلوم ، وأضاءوا لاصحابهم حينا ، لم يجدوا مخرجا من هذا الليل المظلم فقصوا أساطير ثم اخذهم النوم »

« تفكر قوم فى الأديان والمذاهب ، وتحير آخرون بين اليقين والشك ، واذا بمناد يناديهم أيها الجاهلون ! ان الطريق ليست هذه ولا تلك »

« جاء بي الى الوجود مضطراً ، فما ظفرت من الحياة بغير الحيرة ، ونذهب مكرهين لا ندرى ما المقصود من هذا المجيء والاقامة والذهاب »

وهكذا نجد الخيام حائراً معترفا بالجهل والعجز عن الادراك ، ونجد المعرى يقول :

* سألتمونى فأعيتنى اجابتكم من ادعى أنه دار فقد كذبا

* وبصير الأقوام مثلى أعمى فهلموا فى حندس نتصادم

* انما نحن فى ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فهاته

* أيكنى الى من له حكمة أيكنى اليه ، أيكنى ألك .(٢)

وكذلك اتفق الأديبان على تقبيح هذه الحياة ، وذمها والابانة عن مصائبها والفناء السريع الذى قدر للاحياء . وأن الانسان تقلب فى أطوار العالم فهو اليوم انسان ، وغدا تراب يصنع منه الآنية ، وتبنى به الدور وهلم جرا . وكلامهما فى شرور الحياة وسرعة الفناء لا يحتاج الى دليل . فحسبنا هذه الأمثلة من كلامهما فى تقلب طينة الانسان فى أطوار مختلفة :

* صاح هذى قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض الا من هذه الأجساد

* لعل مفاصل البناء تضحى طلاء للسقيفة والجدار

* فلا يمس فخارا من الفخر عائد الى عنصر الفخار للنفع يضرب
لعل أناء منه يصنع مرة فيأكل فيه من أراد ويشرب
وينقل من أرض لأخرى ومادرى فواها له ! بعد البلى يتغرب

ويقول الخيام : « مررت بمصنع خزاف فرأيته قائما أمام دولابه ، يصنع صحافا وأباريق من هامة ملك وذراع سائل . ويلك أيها الصانع ! تلبث أن كنت عاقلا . حتام تهين طينة الانسان ؟ ماذا تظن ؟ ان الذي وضعت على الدولاب أصبع أفريدون وكف كيخسرو »

ذلكم بعض ما يتشابه فيه شيخ المعرة ، وحكيم نيسابور من الجهة النظرية . وأما العمل فقد افترقت فيه مذاهبهما ، واختلفت دعوتاهما ، ولكنهما افترقا بعد ان جمعهما رأى واحد كالمسافرين يبدءان سفرهما من موضع واحد فيشرق أحدهما ويغرب الثانى . اجتمع الرجلان على التشاؤم بهذه

(١) لم يتسع الوقت لان أترجم نظما ما استشهد به من الرباعيات (٢) ألك يألك : أرسل يرسل

الحياة والاشفاق من شرها ، والزراية عليها ، والرثاء لحال الانسان فيها ثم قال المعرى كما قال الرواقيون من قبل : هون على نفسك هذه الحياة لذاتها وآلامها ، حرر نفسك من همومها ، واطلق قلبك من قيودها ، ازهد فيها ، ولا تحرص عليها وتجنب لذاتها . اسم فوق حروفها واستكبر على نميرها واعبد الله حتى يأتيك الموت ، ومرحبا بالموت :

لا أخطب الدنيا الى مالك الله نيـا وانما خطبتى أختها
النفس فيها وهى محسودة ذات شقاء عدمت بختها
ما أم دفر ام طيب ولو أنك بالعنبر ضمختها

وبعد ، فهذا تمثيل يخطر لى كلما تذكرت المعرى والخيام ، اتمثل المعرى أسدا أسيراً قد أحيط محبسه الضيق بقضبان الحديد الغليظة . وطويت قوته وحريتـه وزئيره ومرحه وافتراسه وكبرياؤه فى هذا المحبس . فهو يطوى نفسه على غم قاتل ، وحزن محرق ،ولـكنه ينظر الى الفضاء من خلال القضبان ساكتا ساهما ثائر الروح ساكن الجسد

وأتمثل الخيام عصفورا فى قفص قد حرم مروج الارض وآفاق السماء ، وحبست ارادته التى تنطلق فى الجو انطلاق الفكر في العالم فى شبرين من الضيق ، كلما احس ضيق القفص ملأه حركات ونزوات ، ورقزقة وصفيراً كأنه فرح مرح ، وكأنه يتسلى بنزواته ، ونغماته عما يجد فى هذا السجن الاليم ، وما يفقد من هذا الفضاء الفسيح

هذه نظرات فى شعر المعرى والخيام لا تكفى الباحث المتطلع ولـكنها تصلح أن تكون عنوانا لما وراءها من فلسفة الرجلين

وأما الخيام فقد قال كما قال الابيقوريون من قبل ، هذه الحياة مليئة بالشر والغم ، والآلام والاسقام فاله عنها بملذاتك ، واستعن عليها بلهوك ، ولا تتركن وسيلة الى اللذة الا توسلت بها ، ولا فرصة للسرور الا انتهزتها ، ولا تغفل عن الخمر صبوحها وغبوقها

« الى كم تمضى عمرك فى الهموم ، أو التفكير فى الموجود والمعدوم . اشرب الخمر فهذا العمر الذى يحالفه الغم ينبغى أن يمضى بالنوم أو السكر »

« قد مضى يوم آخر من عمرى وعمرك كما يمر الماء فى النهر ، والريح فى الصحراء ، لست أبالى ما عشت ، ذينك اليومين : اليوم الذى مضى واليوم الذى لم يأت »

« موسم الورد ، وحافة المرج ، وشاطىء النهر ، وفاتنات كالحور العين . هات القدح فان شراب الصبوح قد استراحوا من المساجد ، وفرغوا من الـكنائس »

« هذا وقت السحر فافق أيها الغلام ، وصب الخمر القانية فى أقداح البلور ، فان هذه الساعة من العافية ، فى هذه الدنيا الفانية ، ستمر ثم تتفقدها فلا تظفر بها »

عبد الوهاب عزام

أبو العلاء : بقلم جبران خليل جبران


المعرى كما تخيله جبران

كان أعمى بين مبصرين ، ومبصراً بين عميـان . وقد قادته هذه الحالة الى الوحدة ، فالتشويش، فالـكآبة ، فالشك ، فالتمرد

نظر الى الحياة بعينه المعنوية ، فرأى الخرافات فتوهمها دينـا ، وأبصر الموت فظنه فناء ، وحدق بالقضاء فتخيـله ربا ، فانتصب بين أشباح أفكاره يجدف على اسم الحياة فى جيـل مستسلم الى مشيئة الايام والليالى ، استسلام العناصر غـير العاقلة الى قوة الاستمرار

كان شاعراً متمرداً ولم يكن فيلسوفا . فالفيلسوف يجرد الوجود من ظواهره فيبدو له عاريا مطلقا ، أما الشاعر فيراه سائراً فى حقل من الأوزان الرنانة والمعانى المبتكرة . فالمعرى لم يوجـد فلسفة مطلقة ، ولـكنه أوجد شعراً مطلقا

ولـكن أى بشرى تمـكن من إيجاد فلسفة مطلقة ؟ . أوليست الفلسفة كالأزياء تتبدل مع العصور وتتقلب مع الأميال ؟

إنما الحيـاة موكب يسير أبداً الى الأمام ، فالفيلسوف يستطيع أن يوقفها دقيقة بفكرة مبتكرة ، أو بتعليم جديد ، ولـكنه لا يقدر أن يصدها عن متابعة السير الى حيث لا تدرى

أما الشاعر فيسير معها مترنما ، متشببا راثيا ، واصفا مفـاخراً ، فاذا ما تنحى عن سبيلها ضحكت منه ، وان ظل متبعا آثار قدميها قادته الى هيكلها الأقدس وكللته بالغار

ولقد كللت الحياة أبا العلاء بأوراق الغار ، ولـكنها لم تلتفت اليه كفيلسوف ان الحياة تتمرد حتى على المتمردين . . .

جبران خليل جبران

في هذا المقال سخرية من المعرى وعطف عليه ، فا موجب تلك السخرية ؟ وما موجب ذلك العطف ؟

هل كان المعرّى يكره الدّنيا

بقلم الدكتور زكي مبارك

الاستاذ بدار المعلمين العليا ببغداد

أكتب هذا المقال في لحظات حزينة اكتوى بنارها أبو العلاء ، أكتب هذا المقال وأنا أحزم أمتعتي للرحيل عن بغداد ، وهو رحمه الله قد بكى يوم فارق بغداد ، ولعله لم يعرف موجعات الحزن الا يوم قهره الوجد على أن يقول :

أودعكم يا أهل بغداد والحشا على زفرات ما ينين من اللذع
وداع ضنا لم يستقل وانما تحامل من بعد العثار على ظلع
فبئس البديل الشام منكم وأهله على أنهم قومي وبينهم ربعي
الا زودوني شربة ولو أنني قدرت اذا أفنيت دجلة بالكرع

أما بعد فاني أرى أن أبا العلاء لم يكره الدنيا أبداً ، ولم يكن يوم اعتزل دنياه إلا حيوانا مفترسا نزع الدهر ما كان يملك من أظافر وأنياب . ولو كان أبو العلاء كره دنياه لاكتفى منها بأيسر العيش ، ولكنه عاش عمراً طويلا جداً ، وطول العمر يشهد بقوة الأواصر بين المحب والمحبوب . فالقتال بين ابى العلاء وبين دنياه كان قتالا بين عاشقين يظهران البغض والحقد ، ويضمران العطف والحنان

والناس متفقون على أن أبا العلاء كان طلق دنياه فلم يظفر بما في حواشيها من نعيم ومتاع ، ولكني بعد التأمل عرفت أنه زهد في جميع الاشياء إلا المجد ، والمجد هو أشهى الاطايب في دنيا الرجال . فان لم يكن هذا صحيحا فكيف نفسر خضوعه لما شاع في زمانه من التقاليد الأدبية ، والخضوع للتقاليد الأدبية دليل الحرص على انتهاب ما يملك الناس . وأحب ان أشرح هذه النظرية فأقول :

ينقسم شعر أبي العلاء الى قسمين : أولهما ممثل في سقط الزند ، وثانيهما ممثل في اللزوميات . أما سقط الزند فمجموعة شعرية تشهد بأن الرجل كان يعجبه ويرضيه أن يكون من أقطاب اللغويين ، وهو قد أفصح عن ذلك حين خاطب الشريف الرضى والشريف المرتضى في القصيدة التي رثى بها ابا احمد الموسوى فقال :

يا مالكي سرح القريض اتتكما مني حمولة مسنتين عجاف

لا تعرف الورق اللجين وان تسل تخبر عن القلام والخذراف

وهى شهادة صريحة بأنه كان يحب ان يملك قلوب البغداديين ، وكان البغداديون ألفوا حب البادية ، وهو مرض فظيع ترك فى اللغـة العربية أسقاما وعقابيل . وأما اللزوميات فمجموعة شعرية تشهد بأن الرجل خضع لأمراض زمانه أبشع الخضوع ، فقـد كان الأدباء فى صدر القرن الخامس قد ابتلاهم الجهل ببلية سخيفة هى الهيام بالزخرف ، والفناء فى التزويق والتهويل

والفرق بين مجموعة سقط الزند ومجموعة اللزوميات فرق عظيم جداً عند من لا يعرف . أما أنا ـ وأنا باحث زعم أنه يعرف ـ فأحكم بان المعرى انتقل من بلاء الى بلاء ، وأراه فى سقط الزند مولعا بالاغراب ، أعنى تصيد الغريب من الأخيلة والالفاظ والتعابير ، وأراه فى اللزوميات مريضا بعلتين : الاغراب والبديعيات

هل كان المعرى يجهل أنه يجنى على اللغة العربية بما صنع ؟ هل كان يجهل أنه فى أغلب أحواله يخاطب أهل العراق وأهل الشام بما لا يفهمون ؟ هل كان يجهل أن فى سقط الزند واللزوميات ورسالة الغفران شطرات وفقرات لا يفهمها المتفهم الا بعـد التأمل العميق ؟ هل كان يجهل أن البيان الحق هو الذى يروعك لأول نظرة كما يروعك الجمال الفصيح ؟

ما كان أبو العلاء يجهل ذلك او بعض ذلك ، وانما كان رجلا لبقا يعرف مواضع الضعف فيمن عاصروه فغزاهم بلا رحمة ولا اشفاق

قد يقول القارىء وما محصول هذا الـكلام ؟

وأجيب بأن هذه النزعة هى الشاهد على أنه لم يكن فى دنياه من الزاهدين ، ولو أنه كان زاهداً لانصرف عن حيازة ما يملك معاصروه من زخرف وبريق ، وهو قد انتهب ثروتهم فاعتز بها واستطال

كان المعرى سياسيا فى حياته الأدبية ، والسياسى لا يكون صحيحا سليما إلا ان استراح الى أوهام الناس فتملق أهواءهم بلا تهيب ولا استحياء ، وكذلك صنع المعرى فتكلف الغريب من الأخيلة والالفاظ والتعابير ، لأن الغريب كان فى ذلك العهد رائج السوق فى مصر والشام والعراق

ولو كان الرجل زاهداً فى المجد الأدبى لظهرت الحـكمة على لسانه سمحة سهلة لا يشوبها تكلف ولا افتعال . ولـكن القارىء لن يسكت ، فقد يكون ألأم منى ، فيسأل : وأين أنت من الزاهد الذى حرم على نفسه لحم الحيوان ؟

ان قال ذلك فانى سأقنعه بأيسر جهد ، فقد اتفق لى أن اعيش نباتيا فى باريس زمنا غير قليل ، وما كنت مخلصا كل الاخلاص فى ايثار الحياة النباتية ، وانما أردت ان أعرف سر المذهب النباتى لأكتب عنه بحثا أو بحثين ، وحالى فى هذا أقرب الى النزاهة من حال ابى العلاء ، فقد حرم على نفسه لحم الحيوان ليوهم الغافلين أنه تفرد بالرحمة والشفقة والعطف ، وما كان فى حقيقة أمره إلا

آكل لحوم ، وستعرفون صدق هذا الحكم بعد لحظة أو لحظتين

هل يذكر القارىء ما وقع لأبي العلاء يوم مرض ؟

مرض أبو العلاء ـ عفا الله عنه وعنى ـ فنصحه الطبيب بالحمية ، وحين اطمأن الطبيب الى نجاته من المرض وصف له فروجا ، والفروج فرخ الدجاج ، ودارت يد أبى العلاء حول جسم الفروج فى ترفق مصطنع ، ثم هتف : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الأسد ؟ !

الله أكبر ! ذلك هو منطق شيخنا أبى العلاء

فهل كان يظن هذا الشيخ ان الطبيب يستطيع ان يصف له شبل الاسد ؟ ان نثيرة واحدة من شبل الاسد كانت تكفى لنقل أبى العلاء الى حظيرة الاموات ، ولكن الرجل استطاب الضحك على المغفلين من أبناء ذلك الزمان

هل زهد أبو العلاء فى أكل اللحم ؟ هذا تمويه وتضليل . كان الرجل يتحرج من لحم الطير والحيوان ، ولكنه كان مولعا بأكل اللحم المحرم ، لحم الانسان ، فما ترك فئة ولا جماعة الا انتاش لحمها بأنياب حداد

لقد انسحب المعرى من المجتمع ، وما كان ذلك بابا من الزهد ، وانما كان فرار المناضل الذى تعب من النضال . وماذا صنع المعرى حين انسحب من المجتمع ؟ أترونه نظر اليه نظر الرفق والعطف ، وذلك واجب الفيلسوف ؟

ما صنع شيئا من ذلك ، وانما قضى دهره فى أكل لحوم المجتمع ، ولو كان قلبه أحس النور لعرف أن المجتمع قد يفسد من حيث لا يريد ، لو كان قلبه أحس النور لعرف أن المجتمع غير مسئول عما يعانى من أوهام وأضاليل ، فتلك مواريث القرون الطوال ، لو كان المعرى على شىء من الصفاء لأدرك أن المجرم قد يجرم وهو غير مسئول

ولو كنت أستبيح لحم المعرى كما استباح لحوم الناس لقلت إن ثورته على المجتمع كانت ضربا من الانتقام الأثيم ، فالرجل كان يعرف أن أهل زمانه يتهمونه بالمروق من الدين ، فشاء له هواه أن يسجل مخازيهم ومآثمهم وأن يفضحهم فى العالمين

قد يقول القارىء مرة ثانية : وما محصول هذا الكلام ؟

وأجيب بأن هذا النزق هو دليل الحيوية ، فالمعرى كان يناضل نضال الاحياء

وما أعيب عليه غير التناقض فى فهم الرحمة . فهو كان يعطف على جميع المخلوقات إلا الانسان ولو أنه دخل فى معركة مع الطير أو الحيوان لنظم فى ثلبها مجموعة أعنف من اللزوميات

كانت نظرات أبى العلاء الى المجتمع نظرات عوام لا خواص ، وأنا أرتاب كل الارتياب فى أن يكون هذا الرجل حاول التوفيق بين سيطرة المقادير وضعف الناس ، وأكاد أجزم بأنه لم يدرك خطر العسف ، عسف الحاكم الذى يبيح فتح الحانات ثم يعاقب الناس على الشراب

أما آراؤه فى الزهد والزهاد فهى أضاحيك . وهى تشهد بأنه لم يعرف الزهد ، لأنه كان فى سريرة نفسه يؤمن بأن الناس لايزهدون إلا مخادعين أو مرائين ، ولعله لم يزهد إلا خداعا ، أو رياء . بل لعله جهل كيف لطف الله به حين حجب بصره عن أسباب الشهوات . فلو أن الله كان حفظ عليه نور العيون لعرف أن الفضائل لا تشق ولا تصعب إلا على من يقارعون فتن الوجود . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لرحم الناس . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف صدق الحكمة التى تقول «القابض على دينه كالقابض على الجمر» . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف ان الرجل لا يستطيع البعد عن مواطن الشبهات إلا حين تكون عزيمته أرزن من الجبال

لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف أن الناس لاينخدعون لمظاهر الفتون لاهين أو لاعبين

من أنت والانسانية يا أبا العلاء ؟ من أنت والانسانية حتى تفضحها بذلك الكتاب الذى اسمه اللزوميات ؟ أيها الرجل العظيم ! انى أرثى لك واعطف عليك ، فقد حرمتك الأقدار من نعمة الجهاد فى سبيل الفضيلة ، حرمتك الأقدار من أسباب الشهوات فلم تكتب لك صفحة واحدة فى كتاب الجهاد

وكيف يحتاج الى جهاد النفس من يحبس نفسه فى بيته ولا يأكل غير البقول ؟

كيف يحتاج الى جهاد النفس من يقضى الدهر ولا تقع عينه على وجه جميل ؟

كيف يحتاج الى جهاد النفس من لا تذوق روحه صهباء الوجود ؟

أغلقت أبواب الجهاد الأكبر — جهادالنفس — فى وجه أبى العلاء ، منذأصبح رهين المحبسين ومنذ اكتفى بالطعام الذى لايوقظ شهوات الحواس . ولكن بقى أمامه باب واحد من أبواب الجهاد : هو نزاهة الأذن ونزاهة اللسان ، فماذا صنع ؟

لقد أصبح أبو العلاء فى ذمة التاريخ ، وما يضره أن نتجنى عليه ، ولو كنت أعتقد انه يتأذى لحبست عنه قلمى ، وفى حدود هذا التحفظ اقول ان الرجل أقام اذنيه مقام عينيه فعرف من صور المجتمع كل شىء ، وكان له فيما افترض اصحاب ينقلون اليه سوءات الناس فيمضى فى ثلبهم وذمهم وتجريحهم بلا ترفق ، وكذلك حرم من روح التصوف فلم يعرف معنى العطف على مصائب الناس

قلت ان ابا العلاء كان ينتقم من المجتمع . واقول مرة ثانية ان ذلك دليل الحيوية . فمن الذى يحرم على هذا الرجل أن ينتقم من أهل عصره وقد آذوه أشنع ايذاء ؟

ومن الذى يملك من الصبر ما يكف به لسانه عن عورات الناس فى بعض الأحيان ؟

ان ابا العلاء هجم على المنافقين ، والقرآن استباح الهجوم على المنافقين ، وما يمكن أن نعيب على أبى العلاء ما استباحه القرآن . ان أبا العلاء هجم على رجال الدين ، ولا غرابة فى ذلك ، فرجال الدين أنفسهم يهجم بعضهم على بعض . ان أبا العلاء اعلن يأسه من الانسانية ، فهل استطاعت

الانسانية أن تحمى أهل الصدق والوفاء ؟ . ان أبا العلاء سخر من تعدد الديانات والمذاهب ، فهل استطاع المصلحون أن يمحوا أسباب الخلاف بين الديانات والمذاهب ؟

ان أبا العلاء جزم بأن بنى آدم : ما فيهم بر ولا صالح الا الى نفع له يجلب

فهل استطاع بنو آدم أن يقيموا الدليل على خطأ هذا الظن الاثيم ؟

ان أبا العلاء حكم بأن المرأة اذا شربت الكأس فقد تعرت ، فهل اكتسى من بعده النساء ؟ .

ان ابا العلاء حدثنا بأن ناسا ينهون عن الخمر فى الصباح ويشربونها فى المساء ، فهل انقرض هـذا النوع من النفاق البغيض ؟

أسرف أبو العلاء فى تجريح الانسانية ، وقد انصف ، فهذه الانسانية الباغية تحتاج الى من يفضح بغيها من حين الى حين . ومن هم بنو آدم حتى يعطف عليهم ابو العلاء ؟

هل عاش فيهم مصلح إلا بغصة أليمة لا يزحزحها فى حلقه غير الموت ؟

وهل كانت تواريخ الانبياء إلا سلسلة من الرزايا والنكبات ؟

وما الذى كان يصنع ابو العلاء والدنيا من حوله تضج بالظلم والعسف والزور والبهتان ؟

ان أشعار أبى العلاء سجل صحيح لأوهام الانسانية ، فلتكذبه الانسانية الباغية ان استطاعت

لم يعرف الناس أن أبا العلاء رجل ضرير ، وأن من كان فى مثل حاله خليق بالشفقة والعطف ، وهم تعقبوه بقالة السوء من أرض الى أرض ، فلتكن قالته فيهم وصمة باقية على الزمان . ولكن ما هذا الذى صنعت بالناس يا ابا العلاء ؟ ان عماك اخف من عماهم ، هم جميعا مساكين صحت فيهم كلمة من يقول : القاه فى اليم مكتوما وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء

أنت عبت النفاق على رجال الدين ، فكيف عاب عنك ان رجال الدين لم يعش بينهم رجل صريح ؟ انت عبت الظلم على الحكام ـ فكيف غاب عنك أن الحاكم العادل جزاؤه الخسران ؟

أنت أنكرت تعدد الديانات والمذاهب ! فكيف غاب عنك أن لله حكمة فى هذا التعدد ؟

أنت رجوت أن يكون الناس حكماء ، وما استطعت أن تكون حكيما

أنت رجوت أن يضبط الناس ألسنتهم ثم عجزت عن ضبط لسانك

أنت عشت فى قرية صغيرة ولم يسلم عقلك من الفتون ، فكيف رجوت السلامة لمن عاشوا فى كبريات المدائن ، وصارعوا فوانك الاهواء

أما بعد فانا اشهد أن المعرى كان رجلا عظيما ، بدليل أنه عاش نحو الف سنة على السنة الناس فى المشرقين والمغربين ، ولو كان حقيراً لمات يوم مات !

والمعرى له أخطاء لا تحتملها الملائكة ولا الشياطين . وله عندى عذر مقبول . فقد كان على عظمته شخصا من بنى آدم ، آدم المسكين الذى أغوته امرأة حمقاء فنزل الى الارض بعد أن كان يسكن فراديس الجنان . عفا الله عنك يا أبا العلاء وعفا عنى !

زكى مبارك

قرية المعري وقبره

للأستاذ سامي الكيالي

محرر مجلة الحديث بحلب

يا ماء دجلة ما أراك تلذ لى   شوقا كماء معرة النعمان

* * *

فيابرق ليس الكرخ داري وانما   رماني اليها الدهر منذ ليال

فهل فيك من ماء المعرة قطرة   تغيث بهـا ظمآن ليس بسال

من حنين ابي العلاء لوطنه

كثيراً ماتتميز المدن باسماء الموهوبين من الرجال ، شعراء كانوا أو قواداً أو أدباء أوفلاسفة . فلولا نابليون لما ذكرت جزيرة سنت هيلين مثلا ، تلك الصخرة الناتئة ، الجاثمة وسط الاوقيانوس والتى تبعد ستة آلاف ميل عن اوربا ، ولولا أبو العلاء لما ذكرت المعرة هذا الذكر الضخم الذى استفاض على اقلام الأدباء والشعراء والمؤرخين ، وهى ـ كقرية كبيرة ـ لا تختلف عن الكثير من تلك المعرات الضاربة فى هذه البادية بين حلب وحماه وما اليها ، لا يميزها عن غيرها الا أنها مدينة هذا الفيلسوف الشاعر الذى خلد اسمه خلود الأجيال . وأذهب الى أبعد من هذا فأقول ان التصاق اسمه بها هو الذى جعل لها شهرة المدن الكبيرة سيما عند خاصة الأدباء والشعراء ، فما من رجل ، فى الشرق وفى الغرب ، له مشاركة فى الأدب ، ويعلم طرفا عن هذا المفكر الفذ الا وتشوقه هذه البلدة ـ أو القرية على حد تسمية الكثيرين ـ ويود زيارتها حين تطأ قدماه بلاد الشام . فقد زارها كثيرون من أعلام الفكر وود طه حسين منذ عشرين سنة ونيفا ـ اى حين كتب رسالته « ذكرى أبى العلاء » ـ لو أتيحت له زيارة المعرة ليكتب عن هذه القرية عالما بها ، مستقصيا أمرها ، متأثراً بما توحى اليه من ذكرى أبى العلاء وأزهار علمه وفلسفته (١) . وردد لى هذه الأمنية سنة ١٩٢٦ حين زار مدينه حلب ممثلا « الجامعة المصرية » فى مؤتمر الآثار الذى عقد فى بيروت . ولكن اضطراب الامن فى تلك المنطقة آنئذ ، حال دون تحقيق أمنيته ، ولم تكن أمنيته أن يمر بها مروراً سريعا بل أن يمكث فيهـا سنة أو اكثر من سنة لدراسة أبى العلاء من جديد ، لأنه يرى ان كثيرا من آرائه التى دونها فى كتاب « الذكرى » تحتاج الى تغيير وتحوير .

وقد تفضلت مجلة « الهلال » فخصتنى بالكتابة عن قرية ابى العلاء وقبره . أما القبر فقد سبق أن

---

(١) تجديد ذكرى ابى العلاء ص ١٠٧

دعوت فى الصحف وفى مجلتى الى ضرورة العناية به عناية تتساوق ومجد أبى العلاء . ويسرنى أن أقول إن هذه الصيحات التى رددها الكثير من الأدباء قد اثمرت بعض الثمر أو كله . وها هى « الجمهورية السورية » تشارك الأدباء والشعراء هذه الامنية الغالية . وسأعود الى تفصيل ذلك بعد أن أستوفى الكلام عن قرية الشاعر الحكيم

المعرة بلدة بنيت على نشز يتصل فى الغرب بالتلعات الصاعدة نحو جبل الزاوية ، وتحيط بها من بقية جهاتها أودية وسهول كانت فيما مضى مغارس للتين والزيتون والفستق واللوز ولم يبق من ذلك الا أثر ضئيل (١) . وقد وصفها المؤرخون وصفا دقيقا . ولم يهملها الرحالون الذين مروا بها . فهذا ناصر خسرو الرحالة الفارسى الذى مر بها عام ٤٣٨ هـ قد وصفها بقوله

« هى مدينة آهلة بالسكان كثيراً . ويحيط بها سور من حجر . وشاهدت بالقرب من هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست بعربية ، فسألت أحدهم عن ذلك فأجابنى ان هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها » ثم قال « وأسواق المعرة طافحة بالارزاق والخيرات . وجامعها الاعظم مبنى على اكمة قامت وسط المدينة . ولا يزرع فى هذه الجهات الا الحنطة وتغل غلة حسنة . ويكثر فى قراها اشجار الزيتون والتين والفستق واللوز والكرمة . ومياه المعرة تجمع من المطر أو تمتاح من الآبار »

وذكرها ابن جبير فى القرن السادس فقال :

« وهى سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه . ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهى من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقا »

وقال ياقوت فى معجم البلدان بعد أن عرض الى ذكر كلمة المعرة واشتقاقها ودلالة هذا اللفظ على شتى المعانى ، وبعد أن أورد عدة روايات عن سبب تسميتها بمعرة النعمان وصفها بقوله :

« معرة النعمان مدينة كبيرة قديمة مشهورة ، من اعمال حمص ، بين حلب وحماه . . . ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين »

وقال ابن بطوطة فى القرن الثامن سنة ٧٢٥ هـ « المعرة مدينة صغيرة ، أكثر شجرها الزيتون والفستق ، ومنها يحمل الى مصر والشام » ولا عجب أن يراها ابن بطوطة مدينة صغيرة وهو لم يترك بقعة من بقاع الأرض إلا درعها وكتب عنها . ولم يخرج شيخ الربوة والعزيزى وغيرهما من المؤرخين وكتاب السير عما قدمناه فكيف وصفها المحدثون الذين عرضوا لدراسة فيلسوفها ؟ »

لقد أورد الدكتور طه فى كتابه « ذكرى أبى العلاء » بعض نتف مما قاله ناصر خسرو وياقوت ثم اعتمد على المستشرق الفرنسى سلمون . ويظهر من نصوص كلامه انه زارها فى رحلة

(١) جولة أثرية فى بعض البلاد الشامية للمهندس الزراعى احمد وصفى زكريا ص ١٨٤

لا نعلم متى كانت . فقد وصف سفره من حماه ، محاذيا نهر العاصى ، عابراً الجسر الذى أقامه بنو منقذ ، فمدينة أفاميه الأثرية ، فجبل الأربعين الذى تطل هضباته على المعرة « تلك المدينة الجميلة القائمة فى منخفض هذا السهل الفسيح » . وينتهى عند هذه الجملة « ولقد تدل الاطلال المنتشرة فى السهل حول هذه القرية على أنها كانت مدينة كبيرة فى عصرها القديم ، بذلك يشهد مسجدها الذى تظلله قبة ضخمة على ثمانى أساطين » (١)

ويطول بنا المجال لو أخذنا نستعرض أقوال الثقات والمؤرخين الذين ذكروها ، قديما وحديثا ، فحسبنا ما قدمناه على أن نحقق هذا الذى ذكروه بزيارة نقوم بها الى المعرة ـ وليست هى الأولى ، فقد زرناها قبل هذه المرة مرات

على بعد ثمانين كيلو مترا من حلب الى الغرب فالجنوب ، وفى طريق جميل معبد بالزفت تجتازه السيارة بكثير من الراحة ، وبعد ان تمر بعدة دساكر وقرى انتثرت هنا وهناك ، وسهول فاتنة زهت بمفاتن الطبيعة وخضرة الربيع ، تطل عليك المعرة بمنارتها الشامخة ، وأبنيتها القديمة ، وكرومها الهادئة ، وبساتينها الباسمة الغناء . ويشعر زائر المعرة حين يهبطها بنشوة الفرح للحفاوة التى يلقاه بها أهلوها الذين يفاخرون غيرهم بأن أرضها كانت ولا تزال مثوى لأكبر مفكرى العرب قاطبة . ويلاحظ أولا ان المعرة منذ مر بها ناصر خسرو حتى يومنا هذا هى هى ، الا فى تفاريق من الوصف غاية فى الايجاز ، فلا تزال أرضها من أخصب الأراضى لزراعة القمح وشتى أنواع الحبوب ، ولا يزال ماؤها يجمع من المطر أو يمتاح من الآبار ، ولا يزال سوقها الطافح بالأرزاق والخيرات صباحاً حتى إذا قارب الظهر نفد كل شىء وجمدت حركة الأخذ والعطاء (٢) ، وجامعها الكبير هو هو ، قد انبسط فى قلب البلد تنحدر اليه فى عشر درجات فاذا أنت فى ساحة واسعة أو ما يعرف بـ « صحن الجامع » توسطه حوض ماء بسقفه وأعمدته البيزنطية ، فمأذنة قائمة فى مدخل الجامع من اليسار ، يبلغ ارتفاعها ثلاثين مترا تقريبا ، مربعة الاضلاع ، نقشت عليها كتابات مختلفة

والمعرة ، ككل البلدان الصغيرة ، قد احتوت الجوامع والحمامات والخانات والمطاحن والمعاصر وهى ، على حد تشبيه البعض « صورة مصغرة من مدينة حلب » (٣) ووقوع المعرة على محاذاة طريق حلب ـ دمشق ـ بيروت ، يجعلها دائما محط الكثير من المسافرين يقصدونها إما للراحة من وعثاء السفر أو لزيارة ضريح أبى العلاء ، أو للأمرين معا . والسيارة التى قربت المسافات البعيدة قد جعلت حتى المدن الصغيرة تعمل جهدها على أخذ طابع المدن الكبيرة . وهذا ما تحاوله

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ص ١٠٧ (٢) من الامثال العامية التى يرددها القرويون حين لا يجدون حاجتهم فى سوق ما ، قولهم « كسوق المعرة لا بياع ولا شرى » (٣) جولة أثرية ص ١٨٤

المعرة التى افتتح فيها شارع كبير يخترق المدينة من مدخلها محاذيا السراى الجديدة حتى ضريح أبى العلاء . وقد سمى هـذا الشارع الذى تقام على جانبيه بعض الابنية الحديثة باسمه ، ويزيد فى جمال المدينة ـ رغم قدمها ـ أنها واقعة فى مرتفع من الارض المحاطة بالسهول والـكروم وبعض البساتين . وهى لا تزال غنية بكروم التين والعنب كما كانت منذ الف عام . وثمة بساتين أنشأت حديثا تضم أشجار التوت والجوز والمشمش ، فأغراس من الخوخ والدراق . وأما الفستق الذى تحدث عنه ناصر خسرو وابن جبير وابن بطوطة فلا أثر له فيها . وان كان بعض المزارعين يحاول الآن غرسه فى بعض المناطق الحوارية التى تشابه تربتها تربة حلب تقريبا

وقد حرصت ، وأنا فى المعرة ، على أن أحقق هذا الذى ذكره المؤرخون القدماء عن السور الصخرى الذى كان يحيط البلد ، وعن السارية التى نقشت عليها الـكتابة العربية والتى تذود العقارب عن المدينة فلم أجد لهما أى أثر . ولا وجدت من شيوخها القدماء من يحفظ أسطورة السارية . وأما السور فلا يبعد أن يكون على عهد ناصر خسرو أو بعده وأن يكون قد تهدم بعد غارة الصليبيين على المعرة ـ تلك الغارة التى انتهت سنة ١٠٩٩ م بفتح المدينة وتدميرها . ومما لا ريب فيه أن المدينة كانت مسورة ، وكانت لها أبوابها السبعة لتتقى بها هجمات الغازين الذين اجتاحوها أكثر من مرة . واحاطة المدن بالاسوار والأبواب هو طابع كافة المدن فى العصور القديمة . ولـكن هل حماها سورها الصخرى وأبوابها السبعة من صولات الغزاة والمغيرين ؟ اللهم لا . فمنذ حطم عبد الله بن طاهر أسوار المعرة حين أرسله المأمون لتأديب نصر بن شيث العقيلى الذى غضب لقتل الأمين ، الى الغزوة الرومانية الـكبرى التى أثارها القائد البيزنطى نيسفور فوكاس الذى اشتبك بحروب طاحنة مع سيف الدولة ، الى غارات السلجوقيين ، الى هجمات الصليبيين ، عدا الغزوات والفتن الداخلية التى أثارها القرامطة وبنو كلاب ـ ان جميع هذه الغارات والحروب التى استهدفت لها سورية قد اجتاحت فى طريقها مدينة أبى العلاء فتعرضت أكثر من مرة للنهب والسلب ، وللتخريب والتهديم ، وللحرق أحيانا . ولا عجب بعد ما مر بها كل ذلك أن يذهب الـكثير من المعالم التي تحيط بها من الخارج كالابواب والأسوار

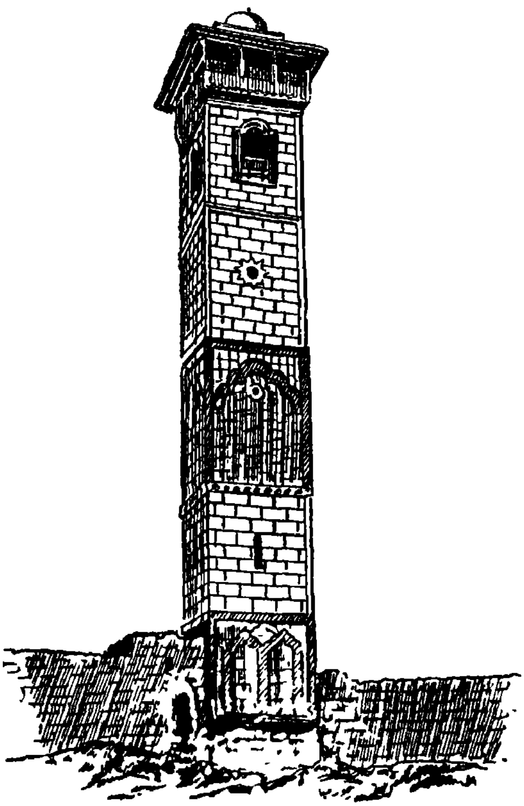
وقد آد هذه المدينة ما نزل بها على مر العصور فوصف هذه النكبات الـكثير من الشعراء ومنهم شاعر مغمور الاسم لعله من شعراء المعرة قال :

هذه صاح بلدة قد قضى الله عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفة وابك من كان من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوماً اليها فهى كانت منازل الاحباب

هذا الماع سريع عن ماضى المعرة وحاضرها ـ هذه البلدة التى تصطبغ بصبغة المدن والتى يتكاثر عدد نفوسها يوما عن يوم . فقد قدر نفوسها بعض المؤرخين المعاصرين بستة آلاف نسمة

وهى اليوم تسعة آلاف ، وهى آخذة فى الازدياد . ولا أعلم كيف أفسر رواية صاحب « النجوم الزاهرة » ـ وهو من ثقاة المؤرخين ـ حين عرض الى تاريخ الحروب الصليبية وتوغل الافرنج فى المدن الشامية سنة ٤٩٠ ـ ٤٩١ هـ فقد ذكر ان الافرنج لما اجتاحوا المعرة كانت ١٠٠ الف نسمة ، قال : « وجاءوا الى المعرة فنصبوا عليها السلالم ـ وهذا يدل على أنها كانت الى ذلك العهد مسورة ـ فنزلوا اليها ـ فقتلوا من أهلها مائة الف انسان » (١) فما سبب هذا التقلص ؟ أهو ثمرة الويلات التى اجتاحتها فى الماضى ؟ . . أم ان التقدير لم يكن صحيحا ، وهذا ما نميل اليه . . ام أن العربان التى كانت محيطة بجهات المعرة قد احتمت بالمدينة ؟ وهذا أقرب شىء لانقاذ رواية صاحب النجوم الزاهرة من التجريح !..

ونقف عند هذا الحد لنتحدث قليلا عن المسجد الذي يحوى الضريح . وفى رواية أنه ليس مسجدا بل بيتا . ومهما كان فقد أصبح هـذا البيت من الأمكنة الاثرية التى نحرص على عدم مس معالمه مهما عملنا على اقامة ضريح فخم يليق بمكانة صاحبه



منارة ضريح المعرى

دخلنا الدار ، وهى دار صغيرة ذات ثلاث غرف ، احداها قـد اتخذها شيخ ضرير لتعليم أولاد القرية القرآن الـكريم على طريقة الـكتاتيب . لم نكد نقرئه التحيه ونعلمه رغبتنا بزيارة الضريح حتى فتح لنا الغرفة التى تحتـوى جثمان شيخ المعرة وفيلسوفها الفذ . وهى غرفة معتمة ضيقة لا يزيد طولها على ثلاثة أمتار وعرضها على مترين . قـد خلت من كل زينـة وزخرف اللهم إلا من هذه الـكلمات التى خطها الزائرون على جدرانها . نثراً وشعراً ـ وكلها إجلال لصاحب الضريح ـ ومن قبر وشاهدتين مكسورتين قد استندت احداهما على حافة فرشة القبر والاخرى على الجدار . وأما الضريح فقد استوى على فرشة حجرية مخرومة من النصف . فشاهدة واحـدة نقش عليها بالـكوفية

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٦



ضريح أبي العلاء

هذه الكلمات « ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان » وتتحدث هذه الشاهدة بقدمها عن خاليات العصور ، وقد تساءلت أين هي وصيته التي حرص على ان تنقش على قبره :

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد ؟

أترى كان هذا البيت من الشعر على الشاهدة الثانية فاقتلعها خصومه الذين حكموا عليه بالكفر والزندقة ؟ على ان بعض المؤرخين المعاصرين يذهب الى ان الشاهدة الثانية تضم هذين البيتين :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

ولا اميل الى هذا الرأي . والبيتان المذكوران مكتوبان على قطعة من الورق معلقة على الجدار

اما الغرفة الثالثه فهي مهجورة لم تنل من اهتمامنا ، وفي رواية انها تضم جسد خادمه

زائر هذا البيت لا بد له من ذكر « البانتيون » والمقارنة بين قبور عظمائهم وقبور عظمائنا وان كانت المقارنة مفقودة بين قبر أبي العلاء وقبر فولتير مثلا . فهناك الجلال والروعة والفن والزخرف ، وهنا الزراية والبساطة والزهد والتقشف . . وتجرنا هذه الحالة الى الحديث عن العناية بالقبر ، وها انا ذا أحدث قراء « الهلال » عن الادوار التي مرت بهذه القضية

فكرة إشادة ضريح لأبي العلاء نبتت قبل الحرب العامة . قام بها بعض الغيورين على مثل هذه

الامور ، وقد جمع قسم من المال ثم طويت الفكرة . ولا أحد يعرف ما تم بالمال ؟ ولا شك ان الذى اؤتمن عليه أراد ان لا يخيب نظرية أبى العلاء فى البشر !

ثم أعيد البحث فى هذه القضية سنة ١٩٢٥ وأخذت الحكومة السورية المشروع على عاتقها . وبالفعل أدرج المال اللازم فى موازنة الدولة ، ثم نشبت الثورة السورية وأصبح البحث فى مثل هذه المشاريع كتفريط في حق من حقوق الوطن ! . .

وحينما استقرت الأمور السياسية أثار المشروع مجدداً أحد النواب فى دورة سنة ١٩٣٣ ، واقترح طبع مجموعة من الطوابع باسم أبى العلاء المعرى فى عهد أول جمهورية سورية ، على ان الاقتراح لم يقبل وهلة واحدة . فقد وجد من عززه ووجد من حاول قذفه ،وعملت الحكومة كل الوسائل لتسويفه وتأجيل البت فيه فلم يتراجع النواب وهاجموها مهاجمة عنيفة مما جعلها أن تتراجع وتقول بلسان وزير المعارف « ان الحكومة لا تقول بعدم لتشييد ضريح لأبى العلاء ، بل انها ساعية لتشييده بما يمكن من السرعة » فوقف نائب المعرة وجابه الوزير بهذه الكلمات : « وقول الحكومة انها تفكر في الامر معناه انها لا تريد أن تعمل شيئاً ». ثم وقف مقدم الاقتراح وجرت بينه وبين مقرر اللجنة المالية مناقشات طويلة ، وكانت بينهما خصومة سياسية عنيفة ـ وخاطبه أو خاطب الحكومة بهذه اللهجة الحادة : « ما هى قيمة جمهوريتكم أمام أبى العلاء ؟ ان ذكرى أبى العلاء أعظم من كل جمهورية تنشئونها » . وانتهت المناقشة بتراجع الحكومة وباقرار الاقتراح ، وفتح اعتماد بثمانية آلاف ليرة سورية لتشييد الضريح . وصدرت الطوابع سنة ١٩٣٤ . وبيعت فى شهور معدودة . ولا يزال المبلغ مرصوداً فى خزانة الدولة لهذه الغاية

وشاءت الاقدار أنلا يتم المشروع أيضا ! فقد عصفت بسورية الأحداث وصرفتها عن التفكير بمثل هـذه المشاريع . وها هى بعد خمس سنوات ، أى بعد أن استقرت الامور ودخلت الجمهورية السورية فى دورها الانشائي الجديد تعاود الحكومة بحث الفكرة بكثير من الاهتمام . فقد ناطت وزارة المعارف بأحد كبار رجال الفن الافرنسيين عمل تصميم القبر وهو يشتغل به منذ سنة وصدر مرسوم جمهورى بشراء بعض الدور التى تحجب موقع الضريح عن الطريق العام . وقد لا ينقضي هذا العام إلا ويوضع الحجر الاساسى لاشادة البناء ، ثم يقام فى المعرة وفى كافة المدن السورية مهرجانات أدبية كبرى للحفاوة بذكراه الألفية، أى بذكرى أكبر أديب عربى لم تحل عزلته فى قريته الوادعة دون أن يكتب أخلد الآراء وأدق التأملات الفلسفية فى أكثر من ستين كتابا لم يصلنا منها غير كتب معدودة تدل بنزعتها التحررية الجريئة على انه أكبر فيلسوف عرض النفس البشرية والطباع الانسانية فى بوتقة صافية من التحليل المزوج بالرفق والقسوة مما لا يستطيع أن يجاريه فيه أحد . وحق له أن يخلد على الأزمان ، وأن تعتبره العربية من أكبر أدبائها العالميين

سامى الكيالى

حول احياء ذكرى أبى العلاء

بقلم الاستاذ محمد أمين حسونة

فى صيف سنة ١٩٢٥ سافر الدكتور طه حسين بك مندوبا عن الجامعة المصرية لتمثيلها فى فى مؤتمر الآثار الذى عقد فى بيروت ، وانتهز هذه الفرصة فزار حلب ومنها قصد الى معرة النعمان ليحج الى ضريح الفيلسوف الذى خلد اسمه فى رسالته « ذكرى أبى العلاء »

وما انتهى المؤتمر وعاد الدكتور طه الى مصر حتى أخذت هذه الفكرة تطوف بذهنه ، وسعى من ناحية أخرى الى تأليف جماعة أطلق عليها اسم « جماعة أصدقاء أبى العلاء » تضم صفوة من رجال الفكر والأدب وتباشر الاكتتاب لاعادة بناء ضريح أبى العلاء ، وقبل معالى الاستاذ لطفى باشا السيد أن يرأس الجماعة ، واقترح أن تشترك الجامعة المصرية فى إحياء ذكرى أبى العلاء ، وذكر الدكتور طه أن الجماعة اذا لم توفق الى تشييد الضريح فانها سوف تعمل جهد الطاقة على نشر مؤلفاته نشراً دقيقا ، خصوصا فلسفته فى « اللزوميات » وفنه فى « سقط الزند » و « رسالة الغفران » وموضوعات رسائله التى لاتزال غامضة أشد الغموض

وزار الضريح فريق من المفكرين وعلماء الشرقيات وفى مقدمتهم المستشرق ماسينيون الذى أسف للحالة المزرية التى وجده عليها وود لو كان فى وسعه أن ينقل رفاته الى « البانتيون » فى باريس ليرقد الى جوار زملائه من جبابرة الفكر الانسانى ، وما أن عاد الى باريس فى شتاء عام ١٩٢٨ حتى ألقى محاضرة نفيسة عن أبى العلاء وقرره فى جمعية نشر الثقافة العربية وأهاب بالمستمعين — وجلهم من أهل العلم والأدب — أن يبادروا بانقاذ ضريح أبى العلاء من يد الدهر والاهمال

وكان الاستاذ الجليل احمد امين أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر قد زار حلب فى صيف سنة ١٩٣٠ فى رحلة علمية قوامها بعض أساتذة الجامعة وطلابها ، وانتهزوا فرصة تجوالهم فى الشام فعرجوا على معرة النعمان لزيارة ضريح المعرى ، وقد أخذت الدهشة مأخذها منهم حينما ألفوا انفسهم أمام هذا الضريح المتهالك المتهدم الذى يضم رفات أكبر مفكر عربى

ووجه الصحفى المصرى الاستاذ محمود عزمى نداء على صفحات السياسة الأسبوعية دعا فيها أدباء العربية الى العناية بآثار المعرى ، ثم كتب سلسلة مقالات ضافية عن ضريحه وأهاب بالعالم العربى أن يعمل على انقاذ قبر أبى العلاء ، مثوى عظمة الفكر العربى وجلال الادب العربى

وكانت لمقالات الاستاذ محمود عزمى صدى تجاوبته انحاء العالم العربى وردد بعض الصحفيين السوريين دعوته على صفحات صحفهم وفى مقدمتهم الاستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة الحديث

الغراء التي تصدر بحلب . وتولت جماعة الرابطة الشرقية الاهتمام بتنظيم حركة ترمي الى العناية بالضريح ، وقرر مجلس ادارتها فى نوفمبر سنة ١٩٢٨ تأليف لجنة تعنى بصيانة قبر أبي العلاء وعلى رأسها معالى الاستاذ احمد باشا لطفى السيد ومن أركانها الشعراء الثلاثة شوقي وحافظ ومطران ثم الاستاذ مصطفى بك عبد الرازق

ولم تذهب صيحات الاستاذ محمود عزمى مع الرياح فقد هزت الأريحية تاجر أديب أصله من حلب ، فوجه كتابا فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣١ الى استاذه الشيخ كامل الغزى رئيس لجنة الآثار العربية فى حلب ورئيس تحرير مجلة العاديات ، يعرض عليه ضرورة تجديد ما تهدم من ضريح أبى العلاء ، أو اعادة بنائه بما يتفق مع عصر المعرى ومكانته فى العالم العربى ، ويعلن رغبته فى دفع نفقات البناء من ماله الخاص مهما بلغت ، على أن يعهد الى من فيه الكفاءة من المهندسين لوضع تصميم الضريح وبيان النفقات . ومما يؤسف له غاية الأسف أن كتاب هذا الثرى ظل محفوظا نحو خمسة شهور بدون جواب الى أن عرض الموضوع على لجنة الآثار فحبذ أعضاؤه الفكرة ، ثم نامت الى أجل غير مسمى

والآن بعد مضى نحو عشر سنوات على الموضوع أراد صفوة من أدباء الشباب فى المعرة أن يحققوا الفكرة عمليا وأن يربطوا بين بناء الضريح الذى تبرع البرلمان السورى بعشرة آلاف ليرة لاعادة بنائه ، وبين إقامة مهرجان الفى للشاعر الفيلسوف فى جميع مدن سوريا ، ورأت هذه الصفوة المفكرة أن تدعو نخبة من الادباء الى عقد مؤتمر تمهيدى فى بلدة أبى العلاء

بيد أن أشد ما نخشى منه أن تطوى هذه الفكرة كما طويت مشروعات سبقتها فيحرم ضريح هذا الفيلسوف من أن يحاط بكل مظاهر التجلة والاحترام ويندثر ما تبقى منه مع الايام

محمد امين حسونة

ابو العلاء المعرى

من قصيدة للاستاذ احمد محرم

ثقة الدهور وحجة الازمان خذ من بيانك ذمة لبيانى
أعي القريض فان بلغتك خانني قلبى ، وعي عن المقال لساني
تبنى العقول، وترفع الايدى، وما يسطيع شأوك رافع أو بان
اكبرت رزء العقل حين رأيته رهن العمى ، وغضبت للانسان
تجرى الامور وليس يعلم كنهها وهو المراد بهذه الاكوان
ويقاد أعمى فى الحياة وبعدها . والدين والدنيا له عينان
كل له ذكرى ، وكل عبرة تجلو اليقين وصادق الايمان
فلئن حجبت عن الغيوب فانها لله ذى الجبروت والسلطان
أعلى لك الغرفات يوم لقيته وحباك ما تبغى من الرضوان
فرأيت منزلة العليم وأجره وحمدت عقبى العلم والعرفان
شغفت بك الدنيا تريدك وامقا وشغفت بالأعراض والهجران
تجلو زخارفها فتغمض دونها عين الحكيم ، وتنثنى بأمان
فتنت محاسنها العقول ، ولم تزل فى حيرة من عقلك الفتان
صارمتها وكشفت عن سوآتها ليفيق مختبل ويقصر عان
وصددت عن صلف الملوك وكبرهم متعاليا عن ذلة وهوان
أغناك عن آلائهم وهباتهم أنف الشريف وعفة المتغانى
أوتيت من أخلاق ربك رحمة لم يؤتها بشر ، وفرط حنان
أشفقت من وطء التراب على الألى غال التراب ، وكل حى فان
يمشى الفتى يختال فوق رفاتهم جذلان فعل الشارب النشوان
الجو أرواح تفيض وأنفس والارض من رمم ومن اكفان
عفت الاذى ونهيت عن مكروهه وأمرت بالمعروف والاحسان
ورحمت حتى الوحش فى فلواتها وحميت حتى الطير فى الاوكان
ورثيت للشاكين من بلوائهم فحملت ما حملوا من الاحزان
ومسحت دمع النائحات معزيا فكففن عن نوح وعن إرنان
ونسين من هول الفجائع مامضى وسلون بعد تعذر السلوان
شرع بعثت به ، ودين لم تقم فيه لغير الواحد الديان
بوركت فى دين المسيح وأحمد ومدحت فى الانجيل والقرآن

احمد محرم

مكانة المعرى فى الشعر العالمى

بقلم الاستاذ خليل مطران

أخرج المعرى للناس من وحى فكره الحر آيات بينات ، ولكن لاسبيل الى المقارنة بينه وبين شعراء العرب ، فهم قد ألفوا فى قصائدهم وحدة الغرض وهو لم يألفها ، على أن مراميه المورعة فى أبياته تنم عن تفوق فى الفكر وان كان دونه قليلا تفوقه فى صناعة الشعر

إذا كان ميسوراً أن تفرد للمعرى مكانة بين شعراء العرب لامكان المقارنة بينه وبينهم ، فلا سبيل الى المقارنة بينه وبين شعراء الفرنجة . وإذا كان فى الواقع قد أحرز شهرة عالمية بما ترجم من أقواله الى لغات مختلفة ، فمن المحقق بجانب ذلك أن ليس للمعرى مكانة فى الشعر العالمى يستطاع تحديدها

ذلك أن الأجانب لم يوفقوا الى ترجمة كثير ولا قليل من روائع القريض الذى تعتز به لغة الضاد ، إذ أنه متى جرد من مشرق لفظه ورونق المعنى المرتبط لزاما بذلك اللفظ ، وقفوا تجاهه حيارى لا يفقهون له غرضا على النحو الذى ألفوه . أما منظومات المعرى فقد استطاعوا ترجمة مأثورات منها لأن فى نوع معانيها ما يفعل فعله فى نفوسهم وان عريت من روعة مبانيها . وليس الذى نقلوه عنه الا نتفا ، وأكثر شيوعه انما هو فى بيئات العلم والفلسفة

كان المعرى ذكى الفؤاد ، نفاذ البصيرة ، قوى الذاكرة ، متضلعا من اللغة مستظهراً من أصولها وفروعها وشواردها وأوابدها مالا تضمه دفتا معجم

وكان فياض القريحة فى نثره وشعره ، وانما غلبت عليه فى نثره وشعره نزعته الى اللفظ الغريب والأسلوب الفخم . وقد يخيل الى العارف بمقدرته البيانية وسخاء قريحته أنه لو استخدم هاتين القوتين للتعبير عن الأغراض التى وقف عليها الشعر والنثر قبله ، لجاء الى جانب المتفوقين من الفحول الذين تقدموه بالزمن أو عاصروه ، إلا أن محاكاة أبى العلاء لأولئك كانت مستحيلة عليه لعلة أصيب بها وتأصلت فيه منذ طفولته

برزأ المعرى بصره فى الرابعة من سنه ، فهو بعد ذلك اليوم مغضب على الحياة محنق ، يعتاض من نور الشمس التى فقدها ، نور العلم الذى انصرف اليه واشتغل به عما سواه ، فهو به أصدق نظراً فى الدنيا وأجرأ على أهلها . فاتته منها ملاهيها وزيناتها ومحاسنها ومباهجها وهى الأعراض

التى يخفى تحتها جوهر الحقيقة ، فلم يعج بتلك الأعراض ومضى ممعنا فى طلب الحقيقة . فهو بحكم حالته إذا انصرف إلى الأدب لم تعطه منه قريحته سوى ما يلائم تلك الحالة . ويتأنى له من ثم ان يكون كاتبا لا كسائر الكتاب ، وأن يكون شاعراً لا كسائر الشعراء ، إذ أن الدنيا لا تتمثل له الا فى صورة « أم دفر » أى أم المصائب والرزايا والجهالات والمتاعب ، فيوسعها ذما وسخراً ولا يكاد يستصلح شيئا من خلائق أهليها ، على أنه مع هذا لايفتأ يدعو إلى الرحمة لأنه تألم ويفهم الألم

فلئن خلا كلام أبى العلاء من السوانح المرقصة والاحاسيس اللطيفة التى استحبها الناس فى أولئك المتقدمين ، لقد رزق من الطلاقة فى الفكر والجرأة على البحث فى العلل والمعلولات ، ما لم يلبث أن وجهه الوجهة التى اختص بها ونبغ فيها وبلغ ما لم يبلغه سواه فى بنى قومه من قبله ولا من بعده

ولما كان هذا المقال مقصوراً على شعره فسيرى مطالعه الوجه الذى أشرت اليه من أمر المعرى فيما يختص بمنظوماته

فى ديوانى سقط الزند وضوء السقط قصائد متينة المعانى رصينة القوافى ، تمر منها بالقصيدة تلو الأخرى كما تمر بالبناء المتراص ذى العقود القائمة ، ولا تجد فيها من الزخارف والزينات شيئا يغصب الاعجاب كما يقع لك حين تقرأ قصائد لأبى تمام أو للبحترى . ولا يروعك فيها من الحكم المسوقة بعد تمهيد بارع وفى ثوب لامع مثل ما يروعك فى شعر المتنبى الذى كان المعرى أحد شراحه

فهو فى ديوانيه هذين شاعر متصرف صحيح الأسباب متين الأوتاد ، ولكنه فى ديوانه الثالث الذى أسماه « لزوم ما لا يلزم » سمت به سليقته الى رتبة العبقرية لا يدافع فيها ولا ينازع . وههنا مبعث شهرته العالمية ومجده الخالد

لم يكن المعرى بفطرته الوعرة وما يشعر به من التفوق بعلمه وسلامة حكمه على جمهرة الناس من أولئك الذين يخدعون أنفسهم بأن لهم الصدر بين شعراء الخيال ، وهو خليق بأن يتنحى لهم عنه ، فرجع بالشعر الى الناحية التى يستطيع حقا أن ينفرد بها . ولدى هذه العودة اجتمع فيه متناقضان عجيبان

أخذ ينظم لزوم مالا يلزم . أى أنه أخذ يكلف نفسه فى قرض القريض عنتا لم يكن له من تأويل سوى اعتزامه أن يثبت لنفسه اقتداراً على التصرف فى اللغة ليس مما يتغالى فى مثله الشعراء المجيدون عادة ولا هو مما يأبهون له

ولكنه ماذا فعل وهو يتقيد بتلك القيود الثقيلة المضاعفة ؟ أخرج للناس من وحى فكره الحر، ومن جنى خبرته الأليمة ، ومن معالجته بعض المذاهب الاجتماعية آيات بينات ، نقلته فوراً فى الاذهان من محله الحير فى مصف شعراء الخيال الى مكانة الشاعر الفيلسوف المنفرد . على أنه حين طفق يكاشف الناس باستدراكاته الملطفة أو اللاذعة على ما الفوه وقدسوه من غير أن يعرفوه

عرفان المتحرين المفكرين ؛ لم يسترسل استرسال المتهور فى تقويضه لبعض القواعد الأساسية الكبرى مما دانوا به ، بل تولى ذلك التقويض بوسيلتى النقد والسخرية مع الاحتراس بجانب ذلك والرجوع الى الله اطراداً والى الدين أحيانا ، كأنه بما قال كان ذائداً عنهما من الجهالات الشائعة

فأمر هذا المتقيد الحر كما ترى كان عجبا عجابا ولا سيما فى زمنه . لم يسعه ـ خصوصا وهو رهين المحبسين ـ أن يعبر عما يخالج صدره من أمور الاديان بطريقة متسلسلة وفى مقالات مفصلة الحجج متصلة ، فاستعار الشعر وبدواته للافصاح عما يجيش به صدره فى مقطوعات او فى أبيات منفردة يدمجها آنا بعد آن بين معان أخرى ، ويحتال بمداورات شق للاعتذار عنها ، أو ليدرأ عن نفسه الشبهات السيئة التى كان يخشى أن تثيرها فى أذهان مخالفيه . على أنه لم يكن كذلك شأنه فى بث أفكاره الاجتماعية فالذى يقوله فيها يباشر به مراميه ولا يحارف ولايداوى بوسيلة ماجرح بحيله

فلنأت الآن من شعر المعرى بالشواهد التى ترينا لباب أمره فى فلسفته

كان للمعرى آراء اجتماعية وآراء دينية وكلها جرىء فى ذلك الوقت وكلها مدعاة لبحث دقيق وتفكير عميق ، على أنى لا أحصيها فى هذا المقال الموجز ولكننى أمر بأهمها من غير اطالة فى البيان

فأما الآراء الاجتماعية فمنها الايثار وهو أشرفها

ورد القوم بعد ما بات كعب وارتوى بالنمير وفد ظماء
كيف لا يشرك المضيقين فى النعـمة قوم عليهم النعماء

فلا هطلت علىّ ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

ومن يعدم أخوه على غناه فما أدى الحقيقة فى الاخاء

ولا تجتنبى الاحسان ضنا إذا ما كان نجرك غير نجرى

ومنها نهيه عن أكل الحيوان تغاليا منه فى البر والرحمة ، وتحت ذلك دعوة مستترة الى السلام بين الناس ، إذ كان يكره البغاة والسفاكين للدماء على ما سترى فيما يلى :

يكفيك ادما سليط ما أريق له دم ولا مس روحا اذ جرى ألم

لو كان يدرى اويس ما جنت يده لاختار دون مغار الثلة العدما
فان من أقبح الاشياء يفعله شاكى المجاعة يوما أن يريق دما

أخفت حلوم الناس أم كان من مضى من القوم جهالا خفاف حلوم

فلا تأسفن الشاة ان أدى ابها لشفرة عات فى الرحال ظلوم

لا تحدث القطع فى كف ولا قدم ولا تعرض مدى الدنيا لسفك دم

ومنها حملته على الزواج بترغيبه الناس عنه وتزهيدهم فيه ، الا ان تكون الزوج عقيما لأنه يضن بالأولاد على شقاء هذه الدنيا

على الولد يجنى والد ولو انهم ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعدا من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء

جنى ابن ستين على نفسه بالولد الحادث ما لا يحب

وواحدة كفتك فلا تجاوز الى أخرى تجىء بمؤلمات

فان انت لم تملك وشيكا فراقها فعف ولا تنكح عوانا ولا بكراً
والفاك فيها والداك فلا تضع بها ولدا يلقى الشدائد والنكرا

أرى النسل ذنبا للفتى لا يقاله فلا تنكحن الدهر غير عقيم

ألا تفكرت قبل النسل فى زمن به حللت فتدرى أين تلقيه
ترجو له من نعيم الدهر ممتنعا وما علمت بأن العيش يشقيه

هـذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

ومسك الوصاة فى هذا الباب أنه لا يتورع من فناء الدنيا بمن عليها لينتهى بفنائها الشقاء

لو أن كل نفوس الناس رائية كرأى نفس تناءت عن خراياها
لعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

ومنها سوء ظنه بالنساء ونهيه عن تعليمهن لمن يتخذ منهن أزواجا

ولو صلّت بمنزلها وصامت لألفت ما تحاوله لديها
ولكن جاءت الجمرات ترمى وأبصار الغواة الى يديها
وليس محمد فيما أتته ولا الله القدير بحمديها
اذا ما رامت الصلوات خود فكِنّ البيت أفضل مسجديها

علموهن الغزل والنسج والردن وخلوا كتابة وقراءه

فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص   تجزى عن يونس وبراءه
تهتك الستر بالحلوس أمام التـــــران غنت الفيان وراءه

ولا تحمد حسانك ان توافت   بأيد للسطور مقومات
لحمل مغازل النسوان أولى   بهن من اليراع مقلمات
فما عيب على الفتيات لحن   اذا قلن المراد مترجمات
ولا يدنين من رجل ضرير   يلقنهن آيا محكمات

ومنها كرهه للرياء وخصوصا من الصوام القوام

قد حجب النور والضياء   وانما ديننا رياء
يا عالم السوء ما علمنا   ان مصليك أتقياء
لا يكذبن امرؤ جهول   ما فيك لله أولياء

يقولون هلا تشهد الجمع التى   رجونا بها عفواً من الله أو قربا
وهل لى خير فى الحضور وانما   أزاحم من اخيارهم ابلا جربا

توهمت يا مغرور انك ديّن   علىّ يمين الله مالك دين
تسير الى البيت الحرام تنسكا   ويشكوك جار بائس وحزين

أما آراؤه الدينية ، فمع رسوخ عقيدته فى الله تتبين من اشتداده فى وصف كل ما اعتقده مخالفا للعقل أو متمشياً مع الأوهام

بعلم الهى يوجد الضعف شيمتى   فلست مطيقا للغدو ولا المسرى
أأصبح فى الدنيا كما هو عالم   وادخل ناراً مثل قيصر أو كسرى

اذا تم فيها تؤنس العين مضجعى   فزدنى هداك الله من سعة شبرا
وان سألوا عن مذهبى فهو خشية   من الله لا طوقا ابثّ ولا جبرا

يسمى غوىّ من يخالف كافرا   له الويل أى الناس خال من الكفر
حصلنا على التمويه فارتاب بعضنا   ببعض فعند العين ريب من الشفر

وليس الذى قال اليهودى ثابتا   سوى انه بالخط اثبت فى السفر

دين وكفر وأنباء تقص وفرقا   ن ينص وتوراة وانجيل

في كل جيل أباطيـل يدان بها   فهل تفرد يوما بالهدى جيل
ومن أتاه سجل السعد عن قدر   عال فليس له بالخلد تسجيل

قلتم لنـــا خالق حـــكيم   قلنا صدقتم كذا نقـول
زعمتمـــوه بلا مـــكان   ولا زمان ألا فقـــولوا
هـــذا كلام له خبيء   معناه ليست لنا عقـول

وكيف للجسم أن يدعى الى رغد   من بعد ما رم في الغبراء أو ازلا

يتلون اسـفارهم والحق يخبرني   بأن آخرها مين وأولهـا
وصاحب الشرع كان القدس قبلته   صلى اليهـا زمانا ثم حولها

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت   ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنـان أهل الارض ذو عقل بلا   دين وآخر دين لا عقل له

أخلت عمود الدين في الارض ثابتا   وفي كل يوم يضمحل على مهل

أوجال نفسي في الاولى مضاعفة   ولا ازال من الاخرى على وجل

الله عالم غيب لا أحاوله   من ذي نجوم ولا أبغيه في الكهس

كم ظلم الأقوام أمثالهم   ثمت بادوا فمتى يلتقون

أما رأيه في الاستمساك بمذاهب متعددة في الدين الواحد فيتبين جليا مما يلي :

اذا رجع الحصيف الى حجاه   تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما ابداه لب   ولا يغممك جهل في صراها

ونعيد هنا أن المقارنة بين المعري وبين شعراء الغرب المتفوقين لا سبيل اليها ، لأنهم الفوا في قصائدهم وحدة الغرض وهو لم يألفها ، وسلكوا المعاني متسلسلة في قلائد من نوع متجانس على تنويعه ، واما هو فلم يكتب ملحمة متسلسلة ولم يرم مرمى تتوازعه أبيات قصيدة واحدة فضلا عن أن تتوازعه قصائد ديوان

فله شهرة عالمية بلغها بتفوق فكره ، ولم يبلغها بتفوق خياله وصياغته في شعره

خليل مطران

بم يمتاز المعرى عن شعراء العرب؟ وماهى الخصائص الفكرية التى يتفرد بها
والتى جعلته أنضج ثمرة من ثمار الادب العربى ؟ هذا مايبحثه كاتب المقال

أبو العلاء بين شعراء العربية

بقلم الاستاذ فخرى أبو السعود

ليس أبو العلاء أحد فحول شعراء العربية فقط ، يحل منهم فى الطبقة الاولى بجانب المتنبي وأبى تمام وابن الرومى ، وليس هو فقط أحد أساطين كتابها ، يبارى ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان بصراً باللغة وتمكنا من أساليبها واحاطة بتراثها . بل هو بين أدباء العربية شخصية فذة فريدة : يتشابه الآخرون فى أشياء كثيرة حتى كأنهم أبناء عصر واحد ، ويختلف عنهم جميعا فى أشياء كثيرة كأنه ابن عصر وحده ، أو كانه يمت الى أدب غير أدبهم وتراث ثقافى غير تراثهم ، وهذا التميز أهم سمات ابى العلاء

فقد كانت نزعة المحافظة غالبة على الأدب العربى منذ عرف العرب الحضارة والثقافة ، قد احتفظ أهلوه بتقاليد ورثوها عن فحول الجاهلية وصدر الاسلام ، وحرصوا على اتباعها ولم يحبوا أن يدخلوا عليها كبير تبديل ، فقصروا الشعر والنثر على موضوعات خاصة لم تتجدد كثيراً ، وانما كان هم اكثرهم أن يجارى المتقدمين فى طرقها . فالفخر والحماسة والمدح والهجاء والنسيب الاستهلالى فى الشعر ، والرسائل الديوانية والاخوانية فى النثر ، والاسلوب المحلى بالمحسنات البديعية في هذا وذاك . وقد طمع اكثر الشعراء فى جوائز الملوك فقصروا اكبر جانب من قصيدهم على المدح ، وطمح الكتاب الى الكتابة فى دواوين الأمراء فتوفروا على تحبير الرسائل الانشائية ، وعاش هؤلاء وأولئك فى حياة صاخبة بين مواكب الحاكمين ومحافلهم ، وبين مظاهر الترف المادى وأسباب اللذات الحسية ، ومن ثم كان الأدب العربى الاسلامى اكثره ارستقراطى

أما أبو العلاء المعرى فسلك طريقا وحده امتاز بها عن أبى نواس والبحترى والطائى ، كما امتاز بها عن عبد الحميد وابن العميد والصاحب وغيرهم من الكتاب الوزراء ، فجاء أدبه اكمل من أدبهم ، وشخصيته مفترقة ممتازة عن شخصياتهم ، وكان تراثه الأدبى من شعر ونثر أعظم قدرا وأخلد أثراً وأشد إمتاعا للاديب العصرى من تراث من ذكروا ومن لم يذكروا ممن هم على شاكلتهم

فأبو العلاء لم يتعلق بحبال الأمراء ولم يقل فى مدحهم الا القليل الذى أودعه ديوان سقط الزند ، على أنه لم ينظم ما نظم فى ذلك الباب طلبا لنوالهم ولا استظلالا بجاههم ، ولكن تلطفه

مجاملة أو مودة أو رياضة للقصيد وتلهيا بمعارضة المتقدمين ، ولم يستغرق ذلك إلا جانبا ضئيلا من شعره ، ولم يستأثر بمعظم مانظم كما استأثر المدح والهجاء بمعظم مانظم البحترى والطائى ومهيار وغيرهم

إنما التفت أبو العلاء الى التأمل المجرد والتفكير الحر المنزه ، على أنه لم يطرق الأبواب المعهودة المتوارثة فى الأدب العربى ، والتى كان يطرقها الشعراء حين يتحررون من المدح والهجاء ، كالوعظ الذى شغل به أبو العتاهية وأمثاله ، والحكمة التى أولع بها الطائى والمتنبى وسواهما ، والتمدح بمكارم الأخلاق والتحدث عن الاخوانيات اللذين كلف بهما الشريف الرضى وغيره . كل هاتيك كانت موضوعات مألوفة تقليدية فى الادب العربى ، تداولها الشعراء فى مختلف العصور ، وتشبهوا فى كثير منها بالمتقدمين . أما أبو العلاء فانفرد بالتأمل فى أحوال الانسانية جمعاء : ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، فصرف ذهنه فى التاريخ وتدبر أحوال الغابرين ، وتساءل أين القبور من عهد عاد ، ورجح أن يكون قبل آدم أوادم آخرون ، وتصور سائلا فى المستقبل يسأل عن مكة كما يستخبر المستخبرون عن جديس وطسم ، الى غير ذلك من نظرات الفكر الذى يروعه تقلب العصور وتغير الأجيال والشعوب والبلدان ، ولايقنع قناعة اكثر شعراء العربية بالنظر الى حاضره واغتنام عاجله ، عن التأمل فى الماضى والمستقبل وتقصى بعيد الآفاق

ولم يقتصر أبو العلاء على النظر في شئون الانسان ، بل وسع فكره وشمل اهتمامه عالم الحيوان واحتفى له احتفاءه ببنى جنسه ، بل عد الانسان والحيوان متماثلين فى الصفات والطباع ، متماثلين فى رضوخهم لصروف الأقدار والنواميس الطبيعية ، وخضوعهم لتنازع البقاء وما يستتبع من سجايا كلها غدر ولؤم كما يقول ، وهو ينعى على الأحياء بغيها بعضها على بعض ، ثم يرثى لهـا جميعا لأنها لا معدى لها عن ذلك الصراع الدائب ، وتراه يتحدث فى شعره عن الضرغام والظبى والصقر والحمامة والذئب والشاة والنحلة ، حديثه عن أناس يعنيه أمرهم ويحرص على اسعادهم ويود لو يستطيع اصلاح ذات بينهم

وما هكذا العهد بذكر أدباء العربيـة الحيوان والطير فى آثارهم : إنما كانوا يذكرون الليث والذئب ليدعوا الفخر بالتغلب عليهما ، والظبى والكلب للتفكه بذكر الطرد والقنص ، والحمائم والبلابل تغنيا بجميل أصواتها ، ويستعيرون صفات هاتيك السباع والاطيار لما يتخيلون لأنفسهم أو لممدوحيهم من القوة والهيبة ، ولمعشوقاتهم من حور العيون وتلع الأجياد وسحر اللفتات ، أما الاحتفاء للحيوان ذاته والحدب عليه وطول التأمل فى أحواله ، فميزة من الميزات العظيمة التى انفرد بها أبو العلاء

ولم يقف فكره الجوال وتأمله الشامل عند الاحياء ، بل كان معنياً بشئون الجماد كذلك موكلا بالتفكير فى الأكوان والكواكب والآباد ، يعبر عن كل ذلك فى أساليب شعرية ممتعة : فيقول ان جبريل لو طار بقية عمره ما استطاع الخروج من الدهر لأنه أزلى ، ويقول ان لنار

المريخ من حدثان الدهر مطفىء وان علت فى اتقاد ، وان مولد الشمس يعي المرء تحديده ، وأن النور محدث والازلى هو الزمان المظلم ، الى غير ذلك من نظرات تجمع بين النزعة العلمية والحلاوة الشعرية . وبدهى ان احداً غيره من أدباء العربية لم يعن بالفلك بعض هذه العناية ، أو يكلف ذهنه فى مجاهل الفكر بعض هذا العناء

وكان أبو العلاء فى تأمله هذا فى شؤون الخلق متشائما ، يكربه مايرى من تصارع الأحياء وتنازعهم البقاء ، ويحزنه ما يشاهد من ضعف الانسان وقصور باعه وذهنه ، ويملأه غما ما يرى فى طباع الناس والاحياء كافة من لؤم وأثرة وخديعةوعدوان . وهو فى تشاؤمه أيضا نسيج وحده فى العربية ، فالتفاؤل هو السمة الغالبة على الأدب العربى ، وان كثرت فيه شكوى الزمان والاخوان والوعظ والتذكير بالموت والبلى ، والمتنبي مثلا على طول ما خاصم معاصريه ولاقى منهم ، ورغم خيبة مساعيه وضيعة أمانيه ، ظل عمره حريصا على الحياة كما قال مستهاما بها صبا

وانما أفضى بأبى العلاء الى التشاؤم طول تفكيره فى شئون الخلق والحياة ، كما تقدم ، وتوقله فى قمم الفكر العالية الباردة ، بجانب ما رزىء به من فقد البصر الذى كان فاتحة رزايا أخرى ، وما امتاز به من رهافة الحس ، هذا الى ما كان يعج به عصره من فساد واضطراب ، أما شعراء العربية الآخرون فنأى بهم عن التشاؤم انصرافهم — كما تقدم القول — الى حاضرهم ، واقبالهم على دواعى الحياة العملية ، واعراضهم عن طول التأمل فى مظاهر الحياة والغازها ، فابو العلاء هو ممثل التشاؤم فى العربية ، وهو فى هذا أيضا فذ متفرد

ولأبى العلاء فلسفته الالهية ، وهى جانب كبير من فلسفته ، والدين من أهم المسائل التى شغلت لبه طول حياته ، وهو شاك رافض لمعظم ما كان يدين به معاصروه من عقائد ، متعجب لما يرى من خلاف بين أتباع اليهودية والمسيحية والاسلام . وليس ينفرد أبو العلاء بالشك والزيغ بين أدباء العربية ، ولكنه يمتاز عن سواه في هذا الأمر امتيازه عنه فى سواه : فان المتزندقين من أمثال بشار وحماد وأبى نواس كانوا قوما مستهترين متهالكين على اللذات ، لا يكربهم أمر الدين إلا ريثما يتهكمون بالمؤمنين ويتحدون عقائدهم ويغيظونهم بفتكهم ، وكأنهم فرحون إذ خلعوا عذار الايمان وخلصوا من ربقة الدين

أما ابو العلاء فكان زاهداً لا مستهترا ، محرما على نفسه متع الدنيا لا متهافتا عليها ، وما انتهى الى الشك اعتباطا ولا استهتارا ، ولا لسوء صحبة أوضعة بيئة أفسدت خلقه ومعتقده ، وهو الناشىء فى بيت التقى والفضل ، وانما انتهى فكره الناصب الى الشك بعد طول التأمل والنظر وبعد شديد العناء والجهد ، وبعد أن حاول ما وسعه أن يصل الى اليقين ويقتنع بما يقتنع به غيره دون طويل بحث ولا تساؤل ، وكم طلب اليقين من جهينة كما قال فلم تخبره جهينة سوى الظن ، ولو ارتاحت نفسه الى الايمان عن اقتناع لكان أول المؤمنين وأحسنهم عقيدة

وعلى سبحات فكره فى آفاق الزمان والمكان ، وعنايته بالماضى والمستقبل ، لم يهمل أبو العلاء حاضره القريب ، ولم يعش بنجوة عن مجتمعه ، بل كان معنيا بأمره ، يأسى لسوء حال الرعية وجور الامراء على مصالحها ، ويعد أولئك الامراء أجراء لها عينتهم ليتعهدوا مرافقها ويسوسوا أمرها ، وهى نظرية العقد الاجتماعى التى ناقشها فلاسفة أوربا المحدثون . وكان أبو العلاء يأسف لعدم تساوى الناس في الثروة وتقاربهم فى الحظوظ ، فمنهم أمير متوج بالذهب وفقير معرى فى الشتاء ، ومجدود يرزق أقوات أمة ومنكود يحرم قوت يومه

وهنا أيضا يمتاز ابو العلاء على غيره من أدباء العربية ميزة عظيمة : فقد كان أكثرهم صنائع للملوك يترجمون عن رغباتهم ويتمدحون باعمالهم ، ويؤيدون دولتهم وان عتوا وان ظلموا ، قد انحازوا الى صف الحاكمين وكل همهم أن يغنموا مما يفيئون عليهم ، واعتزلوا المحكومين لا يأبهون بحالهم سعدت أو شقيت ، ولا يترجمون لهم عن شكاة ، ولا يحاولون لهم إصلاحا

وقد كان شعراء العربية وكتابها لاتصالهم بالامراء وتوفرهم على مرحهم وانشاء رسائلهم ومشاركتهم فى حياتهم الرسمية والخاصة ، مشغولين عن التوفر على الادب الخالص والفن لذاته . ومن ثم نرى الشعراء العظام منهم كانوا شعراء فحسب ، لم يؤثر عنهم غير القصائد ، كالمتنبي والبحترى وغيرهما ، والكتاب كانوا كتاب رسائل فحسب ، فلم يؤثر عنهم فيما عدا ذلك شيء يعتد به ، كالصاحب وابن العميد ، ومن أجاد الشعر من الكتاب كالصابىء وحميد بن سعيد كان مقلا فيه ، ومن توفر على الشعر قلما تظفر له بنثر أو رأى يعتد به فى النقد

أما ابو العلاء فلاعتزاله حياة الامراء الصاخبة ، وتوفره على الأدب والدرس توفر الكاهن على كهانته ، كان أديبا مكتملا متعدد نواحى الانتاج ، ضرب فى الشعر بقدح معلى وفى النثر بسهم وافر ، فصاحب اللزوميات هو أيضا صاحب رسالة الغفران ، وناظم ذلك الشعر الفائق هو كاتب هذا النثر الممتع ، وهو فى هذا وذاك لا يقتصر على باب من القول دون باب ، بل يجيل ذهنه فى شتى شئون الحياة والموت والماضى والحاضر والدنيا والآخرة ، والأدب والنقد واللغة والفقه ، وهو الشاعر العربى الكبير الوحيد الذى أثر عنه نقد وآراء معروفة مفصلة عن سابقيه من الشعراء كالمتنبى والبحترى وحبيب الطائى

وقد كان الأدب العربى فى جملته عملى المقاصد قريب الاغراض ، تقل فيه آثار سبحات الخيال ، وتقل فيه الآثار الفنية المطولة ، فغاية ما بلغ فيه الخيال إنشاء المقامة ، أو اختراع موقف الغزل ، أو تلفيق الأقصوصة القصيرة تنسب الى الجاهلية ويفسر بها خبر من الأخبار أو مثل من الأمثال السائرة ، أما القصة والملحمة والرواية وما اليها من آثار الخيال الواسع ، فان خلو الادب العربى منها معروف واضح . ولكن أبا العلاء أبى إلا أن يمتاز على سائر فحول العربية فى هـذا الفن ايضا ، فرسالة الغفران هى العمل الأدبى الكبير الوحيد فى العربية ، الذى يقوم على الخيال

المتصل ، ويحوى أروع الصور والأوصاف والقصص والفكاهات ، وتدور حوادثه فى العالم الآخر، مستمدة حقائقه مما جاء فى القرآن الكريم ، كما استمد دانتى وملتون حقائق ملحمتيهما من أنباء الانجيل ، ورسالة المعرى وان طابقت كل أنباء القرآن الكريم وأظهر صاحبها الاعتقاد بصحتها ، عمل جرىء لم يقدم عليه غير أبى العلاء من قبل ، هو عمل جرىء من وجهة الفن والخيال ، وهكذا يمتاز أبو العلاء على غيره من أدباء العربية فى ارساله عنان الخيال وكبحهم إياه ، وانه للكفيف المحجوب وانهم للمبصرون الطلقاء

ذلك أدب أبى العلاء المعرى ، هو فيه نسيج وحده بين أدباء العربية ، وما كان أدبه إلا صورة من حياته ، حياة الزهد والاعتزال والدرس والادب ، فهو لم يصدف عن حياة الأبهة فى حاشية الامراء فقط ، ولم يأب على نفسه ما كان يصبو اليه الشعراء والكتاب فحسب ، بل حرم على نفسه ما يتمتع به الفرد العادى : فاقام رهين محبسيه أو فى ظلام الثلاثة من سجونه كما قال ، وترهب فلم يتخذ حليلة ، ورغب عن شهى المطاعم وحرم على نفسه لحم الحيوان ، وكان على اعتداده بقدره شأن كل عظيم متواضعا بعيداً عن الادعاء ، يعلم أنه هو وغيره من طالبى العلم والدرس جهال لا يقاس ما علموه من شئون الكون بما جهلوه ، هذا على حين كان هم الكثيرين من شعراء العربية وكتابها التفاخر والتطاول على معاصريهم

فابو العلاء المعرى فى اعتزاله حياة البلاطات ، وتوفره على العلم والادب وادمانه النظر فى شئون الكون ، ودراسته للحياة دراسة تتجلى فيها النزعة العلمية ، وارساله عنان الخيال فى رسالة غفرانه ، واحتفائه فى نظراته الاجتماعية بشئون الرعية دون الحاكمين ، هو فى كل ذاك مخالف لغيره من فحول العربية ممتاز عليهم ، وهو لكل ذلك أقرب الى أدباء الغرب الذين عاشوا فى ظل الديمقراطية أحرار الفكر والنزعة ، معنيين بشئون الحياة والمجتمع لا بأمور الملوك والحكام

وابو العلاء لكل ذلك يمثل أنضج ثمرات الادب العربى ، ولا غرو فقد عاش بين القرنين الرابع والخامس الهجريين فى العصر الذى بلغت فيه الحضارة والثقافه العربيتان أوجهما وأشرفتا على الاضمحلال . ولولا فساد الاحوال السياسية والاجتماعية الذى أسرع بالحضارة والادب الى التدهور ، لكانت هذه السنن الحميدة التى سنها ابو العلاء للادباء ، مبدأ عصر جديد فى الادب العربى يكون فيه أقرب الى الفن الرفيع ، ويكون الادباء فيه أكثر توفراً على أدبهم ومغالاة بقدره ، وأشد كلفا بالتبصر فى بعيد آفاق الحياة . ولكن عوامل الانحلال كانت تتعاور المجتمع الاسلامى من داخله ومن خارجه ، فلم يقدر للادب العربى طور إحياء جديد ، بل سرعان ما دخل فى طور تدهوره الطويل ، الذى لم يفق منه إلا فى العصر الحديث ، وكان ابو العلاء المعرى آخر نجم لمع قبل هبوط ذلك الليل الحالك

فخرى أبو السعود
المدرس بمدرسة الرمل الثانوية

المعرّى :
هل كان سابقاً لعصره

بقلم الاستاذ عبد الرحمن شكرى

مما لا شك فيه أن كل قارىء يرى فى الكتاب الذى يطالعه بعض ماهو فى نفسه وعقله سواء أكان الكاتب قديما أم حديثا . ومما لا شك فيه أن اثنين يقرءان كتابا يختلفان بعض الشىء فى طريقة إدراكه مهما عظمت أوجه التشابه بين فهم كل منهما للكتاب ، فان كل قارىء يجد فهمه لما يقرأ محدوداً بعض الشىء بنوع تربيته وتعليمه وبمزاجه وطبائعه وبذكرياته وبما تعلم وبما قرأ . فلا غرابة اذا كان القارىء العصرى يرى فى شعر أبى العلاء المعرى مالم يقصده ابو العلاء ، فهذا أمر غير مقصور على المعرى ولا على غيره من الكتاب والشعراء ، بل هو غير مقصور على مايقرأ فان سامع الحديث أيضا يفهم فى الحديث بعض ما لم يعنه المتحدث، وقد يختلف اثنان فى فهم حديث واحد يستمعان له بعض الاختلاف ، وليس الأمر مقصوراً على السمع والمطالعة والفهم لما يسمع أو يقرأ بل ان ادراك المرئيات قد يختلف باختلاف المخلوقات اما قليلا واما كثيرا

تأثر المعرى بعصره ولكنه ارتفع عن مستوى التفكير الذى كان شائعا بين جمهور ذلك العصر وهكذا تقدم زمنه وتلك ميزة العبقرى

فاذا انقصنا من شعر المعرى بعض جدة معانيه بسبب ما نكون قد قرأنا فى معانيه من آرائنا ، بقيت له بعد ذلك جدة كثيرة فى المعانى وبقيت له الميزة التى جعلتنا نكثر من نسبة آرائنا اليه لا الى غيره ، فانه لا بد أن يكون قد ألم ببعض حواشى هذه الآراء ان لم يكن قد ألم بجوانب أخرى منها . ثم ان جدته فى اتجاه التفكير ونوع الشعور ينبغى أن يحسب أيضا ولو كانت الفكرة مطروقة . والجدة اذا أريد بها جدة معانى التفكير فى النفس والخلق والحياة ، انما هى أمر نسبى وهى فى الحقيقة يراد بها الشيوع والاذاعة أكثر من الجدة ، فان كثيرا من المعانى التى يأتى بها التفكير فى النفس والخلق والحياة قد كان معروفا عند بعض القدماء حتى فى أقدم العصور وانما كان غير شائع . فاذا عثرنا فى قولهم بشىء من ذلك سميناه جديداً ، والحقيقة هى أن العقول البشرية يكون نضجها فى التفكير فى النفس والخلق والحياة أسرع من نضجها فى التفكير فى حقائق الكيميا أو ما شابهها

من العلوم ، ولكننا كثيرا مانقيس تفكير العقول فى النفس والخلق والحياة على تفكيرها فى العلوم فنخطىء بعض الخطأ . على اننا نقرأ فى بعض الأحايين لبعض القدماء آراء فى العلوم الكونية وغيرها تدل على انهم قد فكروا فى جوانب بعض الآراء الحديثة وانهم قد رأوا لمحا منها ، فاذا كان هذا أمرهم فى الأمور العلمية البطيئة النضج فلا غرو اذا كان تفكيرهم أسرع نضجا فى أمور الحياة والنفس والخلق

ومهما قرأنا فى شعر الشاعر المتقدم من آرائنا فلا بد أن نتساءل لماذا يختلف شاعر عن شاعر من الشعراء المتقدمين في هذه الميزة ، ولا بد ان نتساءل أيضا لماذا يختلف الشاعر الواحد فى قول عن قول فنرى فى قول ما نسميه جدة ونرى فى قول آخر ما نسميه قدما والقائل واحد فى الحالتين . وأكبر ظنى ان اختلاف الناس فى العصور المختلفة في اللبـاس والعادات والمعتقدات والآراء الشائعة قد جعل أهل العصور الحديثة يبالغون بعض المبالغة فى تمييز آرائهم عن آراء القدماء . ولعل أحسن دواء لذلك ان تقرأ كتب السير جيمس فريزر فان من يفعل ذلك يدهش لأنه يرى ان كثيراً من العادات والمعتقدات الشائعة يرجع أمرها الى العصر الحجرى وما قبل العصر الحجرى

واذا قرأ قارىء لوكرتيوس الشاعر الرومانى القديم أحس كأنما يقرأ بعض آراء الفلسفة المادية التى كانت شائعة فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فى أوربا ، وشعر لوكرتيوس أوضح مثل لتشابه الافكار وترددها عصراً بعد عصر . وقد نقل ماتيو ارنولد قطعة لمؤلف قديم لا اذكر اسمه الآن يصف حواراً واحتفالا حدث فى الاسكندرية فى العهد الاغريقى البطليموسى ، وانما نقلها ماتيو ارنولد كى يدل على أن الناس هم الناس فى كل عصر

واذا قرأنا قول ابى تمام :

وقديما ما استنبطت طاعة الخا   لق إلا من طاعة المخلوق

حكمنا أنه لا بد ان يكون قد ألم فى تفكيره بما ألم به الفلاسفة العصريين فى تتبعهم نمو فكرة الخالق فى الأذهان البشرية من قديم الزمن وإلا لم يكن للبيت معنى . وفى بعض الأحايين يكون المام الشاعر بمذاهب التفكير الحديثة الماما أبعد وعلى وجه التعميم دون التفصيل ومثل ذلك أن الذى يقرأ قول الشريف الرضى :

ولولا نفوس فى الأقل عزيزة   لغطى جميع العالمين خمول

يقول انه لا بد قد فكر فى بعض ما فكر فيه كارليل وغيره من المؤرخين الذين يجعلون تاريخ الرقي الانسانى والحضارة تاريخ الآحاد المتازين من الناس

فاذا تذكرنا وحدة العقل البشرى وتشابهه فى الأزمنة المختلفة ، وأنه أسرع نضوجا فى المعقول الذى يأتي به التفكير فى الحياة والنفس والخلق منه فى الأفكار العلمية التى تحتاج الى تجارب عملية

عديدة ، وإذا تذكرنا أيضا ان الالمام بالمعنى لا يستدعى الالمام بكل صغيرة وكبيرة منه ، وأن الجدة ليست جدة مطلقة بل جدة نسبية هى اشبه الأشياء بالاذاعة ، وأن الشاعر يكون أكثر نصيبا من هذه الجدة إذا لم يقيد ذهنه بقيود تمنعه من التأمل فى الحياة والخليقة والنفس وأخلاقها وآرائها — أقول إذا تذكرنا كل هذه الأمور حكمنا ان أبا العلاء المعرى أحق بأن يسمى حديثا من بعض المعاصرين . وأما قوله (غدوت ابن وقتى) ، فانما يعنى انه متأثر لما يقع حوله من الحوادث وكثيرا ما يكون هذا التأثر عكسيا أى انه يتأثر هنا كى يظهر السخط والانكار

وإذا نظرنا الى قول المعرى :

فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

وجدنا معنى كان معروفا لدى المفكرين الاغريق قبله بقرون وعصور ، وكان هؤلاء المفكرون لا يميزون بين الفضيلة والجمال ولا بين الحق والحسن ، ولكنه مع ذلك لم يكن معنى ذائعا ولا سيما فى عصره وبعد عصره ، بل المعنى الذائع هو أن امتناع المرء عن المعاصى لامعنى له إذا لم يكافأ عليه فى الآخرة . وقد يعظم هذا المعنى الاخير ويدخله الخطأ الكثير حتى يتصور الرجل العامى أنه سيكافأ بأن يباح له ما امتنع عن عمله فى هذه الحياة الدنيا ، فجدد المعرى الصلة بين الفضيلة والجمال وبين الحق والحسن . وكان الناس فى عصره يرون ان الانسان علة المخلوقات والكون ومرئياته ، فأبان المعرى عن ضآلة الانسان فى الكون كما تفعل نواحى التفكير الحديثة ، وقال المعرى بسنة تطور الامم واضمحلالها وفنائها حتى أهل الحجاز فقال

سيسأل قوم ما الحجاز وأهله كما قال قوم ماجديس وما طسم

وقال بتحكيم العقل كما قال فلاسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ومن أتى بعدهم

كذب الظن لا إمام سوى العقـ ـل مشيراً فى صبحه والمساء

وان كان يعترف بقصور العقل عن أمور كثيرة فى قوله

سألتمونى فأعيتنى إجابتكم من ادعى أنه دار فقد كذبا

ورأى ان السلاطين والأمراء أجراء فقال

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقال :

انما هذه المذاهب أسبا ب لجلب الدنيا الى الرؤساء

وكل هذه الأقوال وأمثالها لم تكن من الآراء الشائعة المعتقدة كما هى شائعة الآن،فلا غرابة إذا رأى القارىء فى شعر المعرى جدة فى المعانى ، ولا غرابة إذا قيل انه كان سابقا لعصره والحقيقة أن كل مفكر يرتفع عن مستوى جمهور عصره يكون من أجل ذلك سابقا لعصره

على أننا إذا نظرنا إلى حالة الدولة العربية فى عهده من حيث السياسة والنزعات الدينية وما

وصلت اليه نهضة الدولة العباسية الفكرية ، أمكننا أن نفهم الأسباب الظاهرة التى اشتركت مع اسباب من نفس المعرى ومزاجه فهيأته للخروج عن اتجاه التفكير المعهود لدى الجماهير فى عصره ، فان الفوضى السياسية فى أواخر الدولة العباسية كانت مصحوبة بفوضى فكرية ، فظهر القرامطة وغير القرامطة من الطوائف الهادمة المستحدثة ، وتلك الفوضى السياسية وما صحبها من الطغيان والشر تفسر لنا أبياته التى ينزع فيها منزعا يشبه الآراء الديموقراطية الحديثة والتى تدل على ضياع الثقة بالنظام الحكومى الذى كان يعد السلطان فيه ظل الله فى أرضه عند ما كانت الرعية تستظل بظل الأمن والاطمئنان بسبب قوة الخليفة . وكذلك لم يكن من عفو الأمور ان ظهر مفكر مطلق التفكير من القيود كالمعرى فى عهد ظهرت فيه الطوائف الدينية والفكرية الهادمة المستحدثة ، إلا أن أكثر هذه الطوائف كانت تلجأ الى وسائل التعمية والتمويه والتأويل والأسرار أو ادعاء الأسرار لاجتذاب الجماهير لأغراض سياسية ، وعملها هذا يفسر لنا الأبيات التى ينعى فيها المعرى على أصحاب المذاهب مسلكهم

فالمعرى قد ارتفع عن مستوى التفكير والشعور السائد فى جماهير عصره ، ولو أنه كان متأثراً بعصره صادقا فى قوله (غدوت ابن وقتى)

عبد الرحمن شكرى

اشتراكية أبى العلاء

ويا بلادا مشى عليها أولو افتقار وأغنياء
إذا قضى الله بالمخازى فكل من فيك أشقياء

* * *

كيف لا يشرك المضيقين فى النعـ ـمة قوم عليهم النعماء

* * *

لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة من البسيطة خلت الامر مشتركا

وفاة أبي العلاء

ورأيه في الموت وما بعده

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

انفق ابو العلاء عمره الطويل منذ مولده حتى وفاته فى داره بمعرة النعمان ولم يغادرها فيما روت التراجم الوثيقة سوى مرتين ، الأولى وهو حدث فى العشرين من عمره الى اللاذقية وطرابلس ليستكمل فى مكاتبهما دراسته الاولى ، والثانية وهو شاب فى الخامسة والثلاثين الى بغداد حاضرة الخلافة ومثوى العلوم والآداب الاسلامية يومئذ ، وهنالك مكث عاما وسبعة اشهر اتصل خلالها بمجتمعات بغداد العلمية والأدبية ، ودرس فيها بعض كتبه ورسائله ، ووقف فيها على كثير من الآراء الفلسفية التى تجلت بعد فى تفكيره وشعره ، ثم عاد الى بلده سنة اربعمائة ليستقر بها حتى وفاته زهاء نصف قرن آخر

ستة وثمانون عاما هى عمر أبى العلاء منذ مولده حتى وفاته ، انفقها الحكيم الضرير والشاعر الفيلسوف فى هذا البلد الصغير معرة النعمان ، ثم ثوى بها الثواء الأخير على مقربة من داره المتواضعة التى عاش فيها فاسبغ عليها إبان حياته شهرة طبقت انحاء العالم الاسلامى ، وأسبغ عليها بعد وفاته ثوبا من الخلود لم يعف حتى اليوم رغم تعاقب العصور والقرون

لبثت المعرة أيام أبى العلاء زهاء نصف قرن كعبة يحج اليها العلماء والطلاب من كل صوب ، يأخذون على حكيمها أدبه وتفكيره ، وتترى اليه رسائل العظماء والوزراء واعلام الفكر يلتمسون مكاتبته أو مناظرته ، وهو فيما بين ذلك يحيا حياة « غاية فى النسك والتقشف والزهد . فهو يلزم داره ولا يكاد يغادرها ويسمى نفسه « رهين المحبسين » . وهو يصوم معظم الوقت ولا يتناول من الطعام سوى العدس والبقول وشيئا من الفاكهة ، وهو لا يأكل اللحم مطلقا ويدعو الى الكف عن ذبح الحيوان وتعذيبه ، ثم هو يلبس الثياب الحقيرة الخشنة وينام على لبد وحصير . وعلى الجملة فهو يخمد فى نفسه كل شهوة مادية ويقاطع كل ميل الى الدعة والرفاهة والنعماء

وقد اقترنت هذه المظاهر الفلسفية المؤثرة بشخصية أبى العلاء وغدت أبرز صورة في حياته وعلى ضوئها نستطيع أن نستعرض كثيراً من فلسفة أبى العلاء وآرائه فى الحياة ، ومع اننا نعنى فى

هذا الفصل بموت أبى العلاء وفلسفته فى الموت والعدم فقط ، فان هذه الفلسفة تغدو أكثر فهما ووضوحا متى عرفنا لمحة من آرائه فى الحياة ذاتها . كان ابو العلاء يرى الحياة جحيما . ويرى هذه الدنيا معتركا من الشقاء والشر والاثم ، وان العدم خير من البقاء ، ومن ثم فانه خير للانسان ألا يولد والا تكتحل عيناه برؤية هذه الدنيا – اليس هو القائل ؟ :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء

وهو القائل :

قضى الله أن الآدمى معــذب حتى يقول العــالمون به قضى
فهنىء ولاة الموت يوم رحيله أصابوا تراثا واستراح الذى مضى

وهذه المعانى والآراء فى شعر أبى العلاء وفى نثره كثيرة يطول بنا المقام اذا حاولنا الاقتباس منها فى هذا الفصل الموجز . بيد أنه يكفى أن نذكر قصة البيت الشهير الذى أوصى أبو العلاء أن يكتب على قبره عند ما حضرته الوفاة وهو :

هــذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحــد

فالحياة فى نظره هبة أثيمة وهى جناية الآباء على الابناء . ولهذا فقد رفض ابوالعلاء أن يتزوج طول حياته ، وأن يرتكب نفس الجناية التى ارتكبها أبوه فى حقه فيأتى بنسل يعانى جحيم الحياة كما عانى

والانسان – وهو أبرز مظاهر الوجود فى نظر أبى العلاء – مخلوق أثيم لئيم الطبع يغلب فى هذه الحياة خبثه وشره ، وقد خصه ابو العلاء بكثير من ذمه المقذع فهو يقول مثلا :

ان مازت الناس أخلاق يقاس بها فانهم عند سوء الطبع اسوأ
أوكان كل بنى حواء يشبهنى فبئس ما ولدت للناس حواء

ويقول :

فآل حواء راعوا الاسد مخدرة ولم يغادوا بسلم ربة الوجر
ومن أتاهم بظلم فهو عنــدهم كجالب التمر مفتراً الى هجر
هم المعاشر ضاموا كل من صحبوا من جنسهم وأباحوا كل محتجر

والخلاصة ان أبا العلاء لم يجد فى هذه الحياة من الخير ما يستحق أن يغرى الانسان بالاقبال عليها ، فهو يقاطعها ويذمها من أعمــاق نفسه وهو يهجو بنيها ويراهم مثلهــا عناصر شر واثم وفساد

وليس من موضوعنا أن نتقصى مصادر هذه الفلسفة التشاؤمية عند أبى العلاء وهى فلسفة تطبع شعره ونثره كما تطبعهما نزعته الالحادية الشهيرة . بيد أننا نذكر فقط أن الحياة المظلمة الكدرة التى عاناها ابو العلاء كانت أول مصادر فلسفته ، وانه عاش فى عصر غلبت فيه عوامل

الانتقاض والثورة والحروب الأهلية فى الشام ، وذاعت فيه النظريات المادية والالحادية فى مصر فى عصر الحاكم بأمر الله ، وسرت منها الى الشام كما سرت اليها نظريات القرامطة ومبادؤهم الاباحية قبل عصر أبى العلاء بقليل ، وكان المجتمع من حول أبى العلاء يفيض بعوامل البغض والحقد والتطاحن وعدم الاستقرار

— ٢ —

توفى أبو العلاء بداره بالمعرة فى يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ (٢٢ مايو سنة سنة ١٠٥٧ م) بعد ان عمر زهاء ستة وثمانين عاما

وقد نقل الينا ياقوت رواية عن وفاة أبى العلاء خلاصتها أنه حينما احتدم الجدل بينه وبين داعى الدعاة الفاطمى أبى نصر ابن أبى عمران فى رسائلهما المعروفة التى كانت تدور حول رأى أبى العلاء فى وجوب تحريم ذبح الحيوان ورد داعى الدعاة عليه ، رأى الداعى ابو نصر أن يستدعى أبا العلاء الى حلب ليرغمه على التنازل عن آرائه الالحادية ويحسن اسلامه أو يقضى بقتله ، فلما وقف ابو العلاء على ذلك شرب السم ومات . وهذه رواية ضعيفة لا يقبلها ياقوت نفسه بل ينقلها الينا على علاتها

ويصف ابن خلكان منظر وفاة الشاعر الفيلسوف ، فيذكر لنا أنه مرض قبل وفاته بثلاثة أيام فقط ، ومات فى اليوم الرابع . وكان لديه فى مرض موته بنو عمه فطلب اليهم فى اليوم الثالث أن يكتبوا عنه فتصدعوا برغبته ، ولكنه أملى عليهم أقوالا مضطربة فقال القاضى ابو محمد عبد الله التنوخى أحسن الله عزاءكم فى الشيخ فانه ميت ، ثم توفى فى اليوم التالى ، وأوصى ابو العلاء حين حضرته الوفاة أن يكتب على قبره البيت الآتى :

هـذا جناه أبى علىّ وما جنيت على احـد

وكانت وفاة أبى العلاء حادثا جللا تردد صداه فى ارجاء الشام وارجاء العالم الاسلامى كله ، وحفلت المعرة على أثر موته بجمهرة عظيمة من الشعراء والادباء جاءوا ليزوروا قبر الشاعر الفيلسوف ولينشدوا بذكره . ونقل ياقوت عن أبى زكرياء أنه لما توفى ابو العلاء انشد على قبره بعد موته اربعة وثمانون شاعراً مراثيهم ، وكان من أشهرها وأوقعها مرثية تلميذه أبى الحسن على ابن همام وهى التى يقول فيها :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفنى دما
سيرت ذكرك فى البلاد كأنه مسك فسامعه تضمخ أو فما
وترى الحجيج اذا أرادوا ليلة ذكراك أوجب فدية من أحرما

ولبث قبر المعرى بعد وفاته عصوراً مزاراً يحج اليه الناس من سائر الاقطار . واشتهرت المعرة باحتوائها على قبر الشاعر الفيلسوف حتى يومنا . وكان القبر كصاحبه غاية فى التقشف والبساطة

وقد وصفه لنا الوزير جمال الدين يوسف القفطى حينما زاره فى سنة خمس وستمائة فذكر أنه يقع فى ساحة بين دور أهله وعليه باب قال : فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ورأيت على القبر خبازى يابسه والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال . وذكر الذهبى أنه رأى القبر بعد رؤية القفطى له بمائة سنة أعنى فى سنة خمس وسبعمائة فرآه على نحو ما وصف القفطى . هذا وقد لبث قبر أبي العلاء الى عصرنا على حاله من الاهمال والشعث والتهدم . ولا زلنا نذكر المساعى الكريمة التى بذلت منذ اعوام قلائل فى الشام ومصر لاصلاح قبره ، وهى أمنية نرجو أن تكون قد حققت بما يثلج صدور المعجبين بالشاعر الفيلسوف وروائع تراثه وتفكيره

— ٣ —

لأبي العلاء فى الموت فلسفة خاصة ، فالموت فى رأيه حقيقة أزلية والفناء ضرورة للوجود حسبما يقول لنا :

ويجوز أن تبطىء المنايا والخلد فى الدهر لا يجوز

والعدم فى نظر أبي العلاء خير من البقاء حسبما قدمنا ، بيد أنه لا يؤمن بالحياة الاخرى فيما يبدو من شعره ، فهو لا يعتقد بخلود الروح بعد الموت بل يرى انها شعاع نورانى يخبو مع الموت ، وهو صريح فى ذلك إذ يقول :

والنفس تفنى بانفاس مكررة وساطع النار تخبي نوره اللمع

ويزيد ابو العلاء على ذلك قوله بأن الموت يشمل الجسم والروح معا بالعدم المطبق فلا حس من بعده للجسم أو الروح :

لا حس للجسم بعد الموت نعلمه فهل تحس اذا بانت عن الجسد

ويستتبع ذلك ان أبا العلاء لا يؤمن بالبعث وهو صريح فى ذلك كل الصراحة حين يقول مخاطبا المولى عز وجل :

ونهيت عن قتل النفوس تعمداً وبعثت أنت لقتلهـا ملكين
وزعمت ان لنا معـــاداً ثانيا ماكان أغنـــاها عن الحالين

ثم ان أبا العلاء يرى أن الجسم بعد ان تفارقه الروح يغدو عرضا زائلا لا يستحق التكريم ويقول لنا :

تكرم أوصال الفتى بعد موته وهن اذا طال الزمان هباء

ومن رأيه ان يكتفى فى جثمان الميت بأن يوارى فى التراب بكل بساطة ، وهو لذلك ينعى على النصارى انهم يضعون موتاهم فى توابيت من الخشب ضيقة لا رحاب فيها :

قد يسروا الدفين حان مصرعه بيتا من الخشب لم يرفع ولا رحبا
يا هؤلاء اتركوه والثرى فله انس به وهو أولى صاحب صحبا

ومن الغريب ان ابا العلاء يمتدح فى شعره تقاليد الهندوس فى حرق موتاهم ويرى أن هذه الطريقة فى اعدام الجسم أفضل وأكفل بصونه من شنائع التحلل وما قد يتعرض اليه من نهش الضوارى

فاعجب لتحريق أهل الهند ميتهم   وذلك أروح من طول التباريح
ان حرقوه فما يخشون من ضبع   تسرى اليه ولا خفى وتطريح
والنار أطيب من كافور ميتنا   غبا واذهب للنكراء والريح

والخلاصة ان لأبى العلاء فلسفة فى الموت وما بعد الموت كما أن له فلسفة فى الحياة . واذا كان فى نظرته الى الحياة يميل الى التبرم والتشاؤم فهو فى نظرته الى الموت وما بعده يميل الى الشك والانكار . وهو فى الحالتين متأثر بالفلسفة القديمة . ويبدو لنا بنوع خاص ميله الى المذهب المادى ومذهب المتشككين . والى هذا الميل نستطيع أن نرجع كثيراً من آرائه الالحادية التى أخذت عليه وأثارت عليه فى عصره ، وفيما بعد عصره ، حملات شديدة لايزال يتردد صداها الى اليوم فى أقوال الباحثين والنقدة . بيد أنه يجب ان نلاحظ من جهة أخرى ان هذه النواحى الفلسفية هى أهم عناصر القوة والطرافة فى شعر أبى العلاء وفى تفكيره [١]

محمد عبد الله عنان

رهين المحابس الثلاثة

سمى ابو العلاء نفسه رهين المحبسين : المنزل الذى اعتقل فيه نفسه عن الناس ، والعمى الذى حجب عنه جميع مشاهد الحياة ، ولكنه أضاف اليهما محبسا ثالثا ، هو هذا الجسم المادى الذى احتجز روحه فمنعه من الانطلاق الى حيث يتطهر ويسمو ، فقال :

أرانى فى الثلاثة من سجونى   فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى   وكون النفس فى الجسم الخبيث

---

(١) رجعنا فى هذا البحث الى معجم الادباء لياقوت ، وتاريخ الذهبى ، وابن خلكان ، ورسائل المعرى (نشر مرجليوث) ، وذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين ، والى اللزوميات الخ

المعرى يُبعث حيا

بقلم المرحوم الاستاذ مصطفى لطفى المنفلوطى

تخيل المغفور له الاستاذ المنفلوطى أن أبا العلاء المعرى قد عاد إلى الدار الاولى ، فأخذ ينقد مساوئها ويعيب نقائصها ، ويبدى آراءه فى أوضاعها . وقيل إنه وضع في ذلك كتاباً فقد اثر وفاته ، ولم يبق منــه سوى ثلاث مقالات نشرت في كتاب « النظرات » . فان صح هذا فقد خسر الادب العربى ذخرا ثمينا ، فقد أفتن المنفلوطى وأبدع فى هذه المقالات ، كما يتبين فيما تقتطفه من احداها

ما كنت أجهل قبل اليوم رأى الشيخ فى الطعام وما يحب منه وما يكره ، ولـكننى ظننت أنه بعث بطبيعة غير طبيعته ورأى غير رأيه ، فقدمت اليــه فى طعام العشاء دجاجاتٍ ربلاتٍ كنت أعددتهن للضيفان من قبل ، فلما أخذ بصره المائدة صار ينظر اليها مرة وإلى أخرى ثم قال : « ما اسم هذا الطعام الذى تقدمه الى » ، قلت : « انهن دجاجات لم يكن للخادم الصغرى عندى شأن غير رعايتهن والقيام عليهن والحدبَ بهن،فكانت تؤثرهن بأفضل ما تؤثرها به من طعام وشراب ، وتنزلهن من نفسها منزلة الواحد من أمه ، حتى امتلأن واكتنزن واستدرن للذبح ، وقد كنت أبقى عليهن كلما طرقنى طارق إبقاء على الفتاة أن ينفجر صدرها حزنا على أترابها الصغيرات ، أما اليوم فلم أر من ذلك بداً فذبحتهن اكراما لك فسال من دموع الفتاة عليهن أكثر مما سال من دمائهن»

فوجم الشيخ ثم أطرق إطراقا طويلا سمعته يهينم فيه بهذه الـكلمات :

« وارحمتاه ! ألا تزال هذه المدى موكلة بهذه الأعناق ، ألا يزال الحيوان الناطق ينكر على الحيوان الصامت حق حسه ووجدانه ويأبى إلا أن ينظمه فى سلك الجمادات الصم ، لأنه صامت لا ينطق وأخرس لا يبين . ربما كان زقاء الديك ، وقوقأة الدجاجة ، وصرصرة البازى ، وهديل الحمام ، وزقزقة العصفور ، وثغاء الشاة ، ومؤاء الهرة ، وخوار الثور ، وحنين النيب بكاء بغير دموع ، وشكوى بغير لسان ، وربما كان يكتم ذلك الذبيح فى نفسه من الوجد والبرحاء ما لو استطاع أن يبين عنه لأبكى العيون دماء وفجر الصخر عيونا »

ثم رفع رأسه الى وقال : « أما سمعت الدجاجات يقلن لك شيئا عند ما أردت ذبحهن » قلت : « لا يامولاى ومتى قلن للناس شيئا فيقلن لى» . فنظر الى نظرة شزراء لا أنسى سهمها الواقع فى قلبى ما حييت ثم قال : « أما لو أن الله منح ذابح الدجاجة من نور البصيرة ما منحه من نور البصر لسمعها تقول له :

« مهلا رويداً أيها القاتل السفاك ! لاتدن مني ولا تمدد يدك الي ، فلا شأن لك معي ولا ترة لك عندي . أنا صاحبة الحق المطلق في حياتي وأنا لا أريد ان أموت ولا رغبة لي في فراق الحياة لأن ورائي أفراخا صغاراً هن الى حياتي أحوج منك الى مماتي . وليس من الرأي أن أكل أمرهن اليك من بعدي لأنك شره طماع لا يشبع بطنك ولا تهدأ مديتك

« أنت لا تملك أن تعطيني الحياة فلا تملك أن تسلبني اياها

« كل ماتستطيع أن تمن به على أنك كنت تطعمني وتسقيني . فهل تعلم انك ما كنت لا تطعمني الا فتات مائدتك ولا تسقيني الا عسالة يديك ، وأنك ما كنت تصنع ذلك رحمة بي ولا احسانا الي ، بل لتهيء لنفسك ما يسد شهوتك ويطفيء لوعتها . وهل تعلم أنك أنت الذي سجنتني في أقفاصك وحلت بيني وبين رزق الله أطعمه أنى ذهبت وأين حللت من حيث لا يساومني فيه مساوم ولا يحاسبني عليه محاسب . أمن أجل تلك الحثارة القذرة والجرعة الكدرة تسلبني حياتي وتفجع بي أفراخي ، ولا ذنب لي ولا لهن عندك الا أنا كنا زينة بيتك ولعبة أطفالك وحماة آلك من بنات الأرض وهوامها ورسل الفجر المنير اليك

« لا تظلم السبع بعد اليوم ولا تنقم منه وحشيته وافتراسه فكلاكما وحش وكلاكما مفترس لا فرق بينك وبينه إلا أنه لا يحسن الذبح والطبخ كما تحسن ، فهو يبقر البطون بأظفاره وأنت تفري الأوداج بمداك ، لا بل ان جريمتك أكبر من جريمته وعذرك أضعف من عذره ، لأنه يفترس ليشبع بطنه وأنت تفترس لترفه نفسك ، ولأنه يعجز عن الاحتيال لقوته وانت على ذلك من القادرين . استضعفتني فجرت الي فهلا برزت لشبل الاسد . . . »

هيه يا صاحب الدجاجات حدثني عنك ، ألم يكن لك في جميع ما تنبت الأرض من بقلها ، وقثائها ، وفومها ، وعدسها ، وبصلها ، مندوحة لاكرامي والقيام بحقي . وأنت تعلم أنني رجل سلخت في دنياكم هذه من حياتي الأولى بيما وأربعين سنة لم أذق فيها لحم الحيوان ولا ثماره ولا نتاجه حميت نفسي حتى عسل النحل وبيض الدجاج وألبان دوات الأثداء وأقنعتها بالبلسن طعاما والبلس حلوى ، لأني كنت أعلم ان النبات طعامي الذي لا يلائمني غيره ولا يشبهني سواه وأن لحم الحيوان انما خلق للشفاه الغليظة ، والأنياب العريضة ، والأظفار الحادة ، والجلود المزأبرة ، والأعضاء المتوثبة ، والهامات الضخمة ، وكنت أرى أن أكلة اللحوم انما يخادعون أنفسهم فيها ويجترونها الى طبائعهم اجترارا لأنهم لا يأكلونها إلا إذا عالجوها بالطبخ والصف والتقديد والشي والقلي ومزجوها بالخضر والتوابل والأبازير والافزاح مزجا يكاد يخرج بها عن جوهرها الى جوهر النبات ، حتى إذا نزل بهم عارض مرض نزعوا عنها وبرئوا الى الله منها وفزعوا الى النبات في طعامهم وشرابهم وعقاقيرهم كأنما يطلبون شفاءهم في الرجوع الى غذائهم الطبيعي الذي خلقوا له

وأعجب ما كنت أعجب له من أمرهم انهم كانوا ينكرون على رأيي في ترك ذلك الطعام

ويعنون فى مساءلتى عنه وحجاجى فيه وحملى عليه ، ويلحون فى ذلك الحاحا شديداً ، حتى ظننت أنهم قاتلى من دونه . كأنما يزعمون فى ضوضائهم هذه أنهم انما يأكلون لحم الحيوان باسم الشريعة الدينية لا باسم القرم والجعم ، أو ان الله تعالى أنزل عليهم قرآنا ألا يقيم لهم يوم القيامة وزنا ولا يقبل منهم صرفا ولا عدلا الا إذا قدموا عليه يبطون بجر مكتظة بلحوم الحيوان تتقدم بين أيديهم فى منصرفهم من الحساب لتفتح لهم أبواب الجنان ، وكأنهم فرغوا من أداء ما افترض الله عليهم أن يؤدوه وترك ما أمرهم أن يتركوه ، فلم يبق بين أيديهم من أبواب العبادة الا باب التورع عن أكل اللحم مخافة أن ينقلب المباح باعراضهم عنه حراما ، كما ترك النبى صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح بعد أدائها مخافة أن تنقلب سنتها باستمراره عليها فريضة . وقد كنت امرأ فقيراً لا املك فى كل عام من الرزق الا نيفا وعشرين دينارا لا يتسع مثلها لمثل ما يتسع له عيش الناعمين المترفين ، وما كنت اجد السبيل الى غيرها الا من طريق الكدية والتكفف اى بقبول صلات الأمراء وصدقات المحسنين . وقد علم الله من شأنى أننى رجل لو علمت انى إن أذلت ما صان الله من ماء وجهى على عتبة أمير او قدم وزير ، امطرت السماء على ذهبا ، واستحالت الحصباء تحت قدمى دراً ، ما فعلت ضنا بنفسى على هذا الموقف المستوبل وإيثاراً للرضاء بقضاء الله وقدره فى قسمة أرزاقه بين عباده . فلم أر خيراً من ترك طعام لو اشتهيته لما قدرت عليه ، ولو قدرت عليه لما اشتهيته ، من حيث لا يكون للتحريم والتحليل ، ولا للايمان والزندقة فى ذلك مدخل

وما زال المتورعون من السلف الصالح يتركون ما هو لهم حلال مطلق من لذائذ هذه الحياة وشهواتها ويجزعون من ملامسته والدنو منه جزعهم من اجتراح السيئات ، وانتهاك الحرمات ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يجيع نفسه من غير عوز ، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول إن رسول الله لم يمتلىء قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدى واقول: نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ، فيقول : ياعائشة إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم . وكان يقول شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة. وعلا عمر رضى الله عنه ولده عبد الله ابن عمر بالدرة إذ دخل عليه فرآه يجمع فى طعامه بين الثريد والشواء ، وكان بعض الصالحين يعد الجمع بين الخبز والملح شهوة فيتجنبها ، وكان بعضهم يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس ثم يأكله قائلا : كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الشواء ، ومنهم من لم يأتدم قط فى حياته لا بالجواذب والكباب ولا بالخل والزيت . فويل لى من هؤلاء الناس شركتهم فى دنياهم فقالوا شره طماع ، وصدفت لهم عنها فقالوا زنديق ملحد ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

مصطفى لطفى المنفلوطى

المرأة
فى رأى أبى العلاء

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

ليت المرأة لم تخلق ـ عالمها عالم الحس ـ وحوب الحجاب ـ لا ععة للمرأة ـ وأد البنات ـ الأصح انتساب الولد الى أمهاتهم ـ تعليم المرأة ـ العروس الموافقة جنة الرجل الاولى ـ انكار تعدد الزوجات ـ النسل قبل كل شيء ـ وماؤها للحياة لا للرحل ـ لماذا لم يتزوج أبو العلاء ...

لا أحسب المرأة إلا مزهوة بما يقال فيها حمداً كان ذلك أو ذما . فليس أحب الى نفسها وأرضى لغرورها من أن تكون هم الرجال وشغلهم الشاغل . فسيان عندها عابد لها وناقم عليها مادام شديد الشعور بوجودها . ولعلها فى قرارة سرها ـ وان تصنعت الغضب ـ أشد استمتاعا بلعنة اللاعنين لما فيها من اعتراف صارخ بخطر سلطانها وروعة فتنتها وعظم غوايتها

وابو العلاء فى طليعة الناقمين على المرأة ، وهو القائل فى لزومياته :

بدء السعادة ان لم تخلق امرأة

وليس معنى هذا أن أبا العلاء جامد الطبع ناضب العاطفة من ناحية المرأة ، وانه مسلوب الشعور بما فيها من جواذب وفتنة . وانما على الضد هى شدة حسه ـ كما قدمنا ـ بما لها من دولة آمرة وسلطان قاهر ، وان الصورة التى يتمثلها لبنات حواء لأشبه ما تكون بصورهن فى أخيلة أصبى الرجال اليهن وأشدهم تعلقا بهن واشتهاء لهن . فهذى بنات حواء ـ فى تائيتيه المطولتين فى اللزوميات ـ يطلعن كالظبيات فى اللحظ واللفتات ، ويغدين ويرحن خواطر كالغصون متأودات ، فى وشى ثياب مورسات ، وبالجوهر الفريد مقلدات ، وفى سنا الحلى متوقدات ، معاصمهن بالأساور معلمات ، وسوقهن بالحجول طوافر مقيدات . خدودهن بالشباب موردات ، وأكفهن بالخضاب موسمات ، وبناتهن معنمات . مرهفات القدود مهندات ، فى ضيق من الأزر مغمدات لحاظهن كالسيوف مجردات ، ثغورهن عذاب بخمرة الريق مفدمات ، تفض خواتمها عن الصهب

محتمات . صواحب منطق متزيدات ، مطربات بالمقال مهودات ، يشنفن المسامع قائلات ، ويكلمن القلوب مكلمات . يترقبهن الفتيان فى الصعدات ، وانفاسهم من الشوق متصعدات . وأى زناد شوق لم يقدحنه ، وأى رشيد عقل لم يحيرنه ، وأى راجح حلم تركنه غير مفند ! !

هذه بلا نزاع صورة المرأة فى مجلى فتنتها وحفل زينتها . ولو لم نقل انها لابى العلاء لظنها القارىء الكريم لأحد الشعراء الغزلين ، بله الخليعين . ولكن ، أيرى القارىء لو كان ابو العلاء لا يعرف للمرأة هذه الفتنة كلها ، ولا يدرك منها هـذا التجهز للغواية بكل سلاحها ، أكان يحذرها هذا الحذر ويتجرد هذا التجرد كله لتحذير العالمين منها ؟ ثم ألا يرى بعد ذلك للصورة التى رسمها ابو العلاء للمرأة كيف انها على كل ما فيها من فتنة لا تعدو توصيف محاسن الجسد ومشتهيات الحس ، وأنه لم يعرض فيها الى مزايا خلقية وشمائل نفسية ، وأنه حين ذكر ما يصيبه الرجل عند المرأة من متع العشق لم يجر على طرف لسانه مرة اشارة الى التعاطف ومساجلة القلب للقلب وامتزاج الشعور

وما الغوانى الغوادى فى ملاعبها إلا خيـالات وقت اشبهت لعبا

ولقد ذهب نيتشه فيلسوف المانيا الشاعر الى أن الرجل حق الرجل ، ينزع الى شيئين : المخاطرة واللعب ، وأنه من ثمة كان نزوع الرجل الى المرأة فهى أخطر لعبة

لا تتبعن الغانيات مماشيا ان الغوانى جمة تبعاتها

والمرأة كثيرة المراغب قلما ينهض بها رجل . فهى تريده شابا قويا ، وتريده وجيها غنيا ، وتريد لو يفرغ لها نهاره وليله . واذا عزها اجتماع هـذا جميعه فى زوج ، وكان لها أن تختار لنفسها من تؤثر ، فانها فى اختيارها لن تصغى لصوت غير صوت الغريزة

اذا خطب الزهراء شيخ له غنى وناشىء عدم ، آثرت من تعانق

فهى لا تعرف الحياة إلا من طريق المشاعر الحسية ، وهى لا تحيا الا بها ، ولا تهتدى فى الواقع بغير هديها . واذا سمعتها ناقمة على جارة فرطت اعاشق فى نفسها ، فاعلم انها لا تسلم من حسد لها وخشية منها أن تسلب يوما قرينها . والمرأة انما تظهر التدين والفضيلة مجاراة للعرف ولكنها أقرب تلبية لدواعى الطبيعة . ومن أظهر غرائزها طلبها الحظوة فى أعين الرجال وحرصها على أن تشوقهم ، ولن يقنعها أن يعجب الرجال منها برأى ناصع وعلم واسع وفن بارع بل لا بد لها من افتتانهم بحسنها وعبادتهم لجسدها . فلا غرو أن كان المعرى مشدداً فى وجوب احتجاب النسوة فى الخدور ، لاينى يردد النصيحة ويلح فى النذير

وأرى العروس تحجبت فى دارها كعرس الآسـاد فى الاخدار

وهو يخشى عليها من الجوار مهما حسن ، ويوصى بأن يكون التجاور « كتجاور العينين

ن يتلاقيا » ، ويأبى عليها طلوع السطح حيث لا يأمنها ان : « تكلم يوما فى التستر جارها » ، ولا ينسى أن يهيب بالجار نفسه متلطفا :

اذا شئت أن ترقى جدارك مرة لأمر ، فآذن جار بيتك من قبل
ولا تفجأنه بالطلوع فربما أصاب الفتى من هتك جارته خبل

ولا تسل عما يأخذ أبا العلاء من اشفاق وما يملؤه من طيرة وتوجس لخروج النسوة من دورهن بعذر من الأعذار : تارة لشهود عرس ، وقد تبرجن وأبدين زينتهن ، متحليات بالأساور والحجول ، متضمخات بالعبير ، رافلات فى وشى الدمقس وسرق الحرير ، فهو يبادر الى الام ينبهها ويصدقها المشورة

نصحتك يا ام البنات فحاذرى وساوس ولاج الأساود خناس
ولا تلبسى الحجلين بنتك والبرى لتشهد عرسا ، واشغليها بعرناس

وهو آونة أخرى ينبه رحل البيت

وان طاوعن أمرك ، فانه غيداً يزرن عرائسا متيمات
أخذن كريش طاووس لباسا ومسكا بالضحى متلمات

ثم ايثارهن للحمامات العامة ، وما بهن اليها شديد حاجة ، وفى مثيلاتها فى عقر بيوتهن غنى عنها لوشئن ومندوحة ، ولكنها احدى معاذيرهن للخروج الى زحمة الطرق ومطارح الانظار ، فكأنما لا يصح فى غيرها الطهر ولا تتحقق بدونها نطافة البدن وحلاوة الحسن ، فهن لا يصبرن عنها ولا يفتأن مختلفات اليها كل حين فى مواقيتها المعروفة ، متلفعات متكمات وهن من بعد طوامح الطرف متطلعات ، وعليهن من صنوف الابراد ومصوغ الحلى ما يخلب البصر ويبهر اللب ، وقد رصد لهن فى غدوهن ورواحهن أصحاب الغزل من الرحال فهو يقول ناصحا للفريقين كعادته

ولا ترمق بعينك رائحات الى حمامهن مكمات
فكم حلت عقود النظم وهنا عقوداً للرشاد منظمات
وكم حنت المعاصم من معاص تعود بها المعاضد معصمات

وما بالك بما تتعرض له أولئك الغاديات فى عصر كعصر أبى العلاء صيره فجور المماليك الاتراك جندهم وقوادهم الى حال من الأناحية الخلقية وفساد الحياة الاجتماعية لم يسبق به عهد لعدوانه كل طور ، وتجاوزه كل حد ، مما يجعل تحريم دهابهن الى الحمامات أوجب من ذى قبل وأشد لزوما

ولا تلحى الحمام ، قد جاء ناصح بتحريمه من قبل أن يفسد الناس
فكيف به لما اعتدى فى طريقه رجيب ، وحواش ، وتنج ، وأشناس
تمازج بالعرب الأعاجم ، والتقى على الغدر أنواع تذم وأجناس

كذلك كان لا يسكت عن ترددهن على الساحرات الماكرات فى طلب عطف الهاجر وتهييج الغائب من الخلان

وأبعدهن من ربات مكر سواحر يغتـدين معزمات
يقلن نهيج الغياب حتى يجيئوا بالركاب مرممـات
ونعطف هاجر الخلان كيما يزول عن السجايا المسئمات

وكان أخوف ما يخافه أن يغلب عليهن ايمانهن بالخرافات فلا يتورعن من مخالسة السعى الى العرافين والمنجمين ، فلا يقف خطب هذا الممخرق او ذاك عند الكسب الحرام وامتراء المال منهن بل قد يعدو الى طمعه فيهن أن يواتينه على القبيح

إذا ابتكرت الى العراف فاعرف مكان عصا تصك به قراها
وحذرها المنجم فهو ذئب تشوقه الضوائن أن يراها
فان هى لم تجبه الى قبيح تحلبها المنـافع وامتراها

وجملة القول أن أبا العلاء يحض على حجاب المرأة ولا يرى لها خروجا من الخدر إلا الى القبر

لزومها البيت مع اهتمامها حتى يجيها الوفد من حمامها

وهو فى حجابها متشدد مبالغ فى التشدد بلا مهاودة ولا استثناء ، لا يقبل فى خروجها عذراً سواء أكان للحمام أم للمسجد

شر على المرأة من حمامها ارسالك الفاضل من زمامها
ومشيها تضرب فى أكمامها يفوح ريا الطيب من أمامها
زائرة المسـجد فى المامها تأثم ، والخيبـة فى ائتمامها
بأحدل ما عف عن كمامها أعاذها الخـالق من إمامها

وقد ذهب فى مذهبه الى حد النهى عن خروجها للحج

أتت خنساء مكة كالثريا وخلت فى المواطن فرقديها
ولو صلت بمنزلها وصامت لألفت ما تحاوله لديهـا
ولـكن جاءت الجمرات ترمى وأبصار الغواة الى يديهـا
وليس محمد فيما أتتـه ولا الله القـدير بحمديها

وأبو العلاء يرى المرأة شيطانة غى ، تجرر وراءها الفتنة حيث سارت ، وتهيج اليها الحواس حيثما حلت ولو كان المكان قدس الاقداس ، سيان فى مساجد المسلمين كما قدمنا أوفى بيعات النصارى

هل قبلت من ناصح أمـة تغدو الى الفصح بصلبانها
كنائس يجمعها وصـلة بين غوانيها وشبانهـا
ما بالها عـذراء أو ثيبا كوردة الجانى بأبانهـا

راحت الى القس بتقريبها وبيتها أولى بقربانها
قد جربت من فعله سيئا والطيب جار بمجربانها
وزوجها تسخط، بل زوجها البائس ، فى طاعة ربانها
قد زارت الدير ، وأثوابها ضامنة فتنة رهبانها

فشاعرنا لا يأمن للغرائز . وكيف يأمنها وهى المحرك لعجلة هذا العالم وما فيه من سعى وجهد وهو أنى تلفت يرى الناس إنما يعملون فى الحياة بدافعين من إشباع بطنهم وارضاء شهواتهم كائنة ماكانت ظواهرهم وبالغة ما بلغت أقدارهم

وأشرف من ترى فى الأرض قدراً يعيش الدهر عبد فم وفرج

فلا أمان ولا اطمئنان ، بل ان الحذر كله لا يغنى لولا أن يلطف القدر ويشاء الله

قد حاطت الزوج حرة سألت مليكها العون فى حياطتها

وليس بعد هذا قبح رأى فى المرأة وسوء ظن فى عفتها . على ان التظنن كلة مخففة ، لأن أبا العلاء لا يرى لها عصمة على الاطلاق

وما تمنع الخود الحصان حصونها ولو أن أبراج السماء حصونها

فدفنها هو الأمان الوحيد من عارها

ودفن الغانيات لهن أوفى من الكلل المنيعة والخدور

ولولا ما طبع عليه من الرحمة لذهب مذهب الجاهلية فى وأد البنات ، ولكان الدفن « لاحداهن احدى المكرمات » ولما طاوعه لسانه أن يقول « لاتئدوا ! » وان يكن عز عليه بعد الا ان يشفعها بكلمة الحق عنده فتمتم كالمحدث لنفسه يراجعها « واكرم بالتراب مصاهرا »

لا تولدوا . فاذا أبى طبع فلا تئدوا ! ـ واكرم بالتراب مصاهرا

فالمرأة مجلبة العار لأبيها وذويها ثم من بعد لزوجها ، ولا يصح ائتمانها على نفسها ولا الثقة فى حصانتها . ولذا كانت نسبة الأبناء الى الآباء موضع الشك عنده ، فكان يرى الصواب كل الصواب فى انتساب الولد الى امهاتهم على نحو ما جرت عليه الروم (وهم الليشيون فيما ذكره المؤرخ الاغريقى هيرودوتس)

ولحب الصحيح آثرت الروم انتساب الفتى الى أمهاته

ومن كان هذا رأيه فى المرأة ، وكانت نصيحته للامان عليها الدفن أو على الأقل لزومها دارها حتى توافيها المنية فيؤمن عارها . فانه لا شك معارض فى تعليمها منكر له ، لأن التعليم حاجة اجتماعية ، وقد حكم عليها فيلسوف المعرة بالبعد عن المجتمع

علموهن النسج والغزل والرد ن وخلوا كتابة وقراءه

وإذا كان لا بد من تعلمهن القرآن ، فان بعض السور القصار فيها الكفاية للصلاة

فصلاة الفتاة « بالحمد » و « الاخلاص » تجزى عن « يونس » و « براءه »

ولما كان البعض لا يقنعهم أن تكون بناتهم عارفات بدينهن ، حافظات للكتاب الكريم ، فهو يوصى ألا يدخل عليهن من المعلمين إلا عجوزاً متهدمة خمد فيها التفكير فيما تفكر المرأة فيه ، أو شيخا ضريراً فانيا لا يبصر لهن فتنة ، ولا تسعفه عليهن قوة

ليأخذن التلاوة عن عجوز　　من اللائى فغرن مهتمات
يسبحن المليك بكل جنح　　ويركعن الضحى متأثمات
فما عيب على الفتيات لحن　　إذا قلن المراد مترجمات
ولا يدنين من رجل ضرير　　يلقنهن آيا محكمات
سوى من كان مرتعشا يداه　　ولمته من المتثغمات

على ان أبا العلاء لا يرى للمرأة كاشتغالها بالمغزل والردن ، ومما تجدر ملاحظته أنه لا يقصد بالغزل والردن الى مجرد التدبير المنزلى بل الى شغل بال المرأة واستغراق وقتها وحواسها لعلها تنسى ما تحفزها اليه طبيعتها من طلب الرجال وتلهيتها بغزل الخيط عن غزلهم

أو لا ، فأله العرس عن غزل لها　　بالغزل ، فهى شقيقة العرناس

الا ان أبا العلاء من عرفنا مبلغ بره بأمه وحبه لها فى مرثيته فى سقط الزند وفى الكثير من رسائله . فهو يكف فى لزومياته عن ذم المرأة وينسى عداوته لها حين يذكر المرأة الام

العيش ماض ، فأكرم والديك به　　والأم أولى باكرام واحسان
وحسبها الحمل والارضاع تدمنه　　أمران بالفضل نالا كل انسان

كما أنه ألطف حسا وأسجح طبعا من ان يفوته تصور السعادة الزوجية لو تحقق بين الزوجين وفاق وأظلهما الصفاء . فالعروس الموافقة « جنة الرجل الاولى »

وجنتك الأولى عروسك وافقت　　رضاك ، فان أجنتك فاجن ثمارها

وهو منكر لتعدد الزوجات منذر بسوء مغبته ، شاعر بما فى الضرار من ظلم للمرأة وجرح لعزتها وأذاة لشعورها . فيقول فى الحث على الاكتفاء بالواحدة

وواحدة كفتك ، فلا تجاوز　　الى أخرى تجىء بمؤلمات

ويحذر من البناء بأكثر من زوجة فى مناسبات عدة منها

اذا كنت ذا ثنتين فاغد محاربا　　عدوين ، واحذر من ثلاث ضرائر
وإن هن ابدين المودة والرضى　　فكم من حقود غيبت فى السرائر
قرانك ما بين النساء أذية　　لهن ، فلا تحمل أذاة الحرائر

ويشير إلى مافى تعدد الزوجات من الغبن فى القسمة ومجافاة شريعة العدل فى المعاملة وهو يروى بلهجة الساخر المنتقد

تزوج بعد واحدة ثلاثا وقال لعرسه : يكفيك ربعى
فيرضيها إذا قنعت بقوت ويرجها إذا مالت لتبع !
ومن جمع اثنتين فما توخى سبيل الحق فى خمس وربع

فابو العلاء الحدب الرحيم على كل ذى نسمة لا يعوزه الحدب على المرأة . وهو حين يلعنها لا يعنى الاساءة اليها . وانما هو يعرف أن هذه المخلوقة الجميلة الفاتنة هى حبالة الطبيعة لاستدامة النسل وبقاء الحياة . وهو دائم التعديد لأفانين زينتها وألوان وشيها وضروب حليها ، وما كان شاعرنا ليكره منها ذلك ، الا أنه يعرفها تتزين وتتحلى لا حبا فى الجمال ، فما هو من همها لذاته ، بل اجتذابا للرجل وتنبيها لحبه واستيلاء عليه ليقوم كالعبد على خدمة النسل . فالرجل عندها وسيلة — كما يقول نيتشة — والولد هو الغاية . ومن ثمة كان لا يعنيها الوفاء لزوجها إذا تعارض مع الوفاء للحياة ، فلا تملك أن تصون نفسها عن رجل ينفذ بعلها فيما تطلب الحياة من مزايا . وليكن الولد بعد ذلك من فراش شرعى او غير شرعى ، فانه فى حكم الحياة نسل على كل حال

وسيان من أمه حرة حصان ، ومن أمه زانية

وليس يبين للعين فرق فى كيان الخلقة بين هؤلاء وهؤلاء

وما ميز الاطفال فى أشباحها للعين ، حل ولادة وعهار

فالمرأة لا شاغل لها غير وظيفتها الجنسية . وهى عندها السعادة الكبرى تطلبها بكل السبل لنفسها ما استطاعت ، ثم لمن تحب من بناتها وجاراتها . وما من امرأة إلا تلذ الوساطة فى تدبير الزواجات كما تهوى الفاجرة الجمع بين الرجال والعابيات . والمرأة بوجه عام أحرص ما تكون على شهود الأعراس وتسقط أخبار العلاقات الزوجية والمغامرات الغرامية . وقد يحسن الرجل منا الظن بما بين رجل وصاحبته ، ولكن النساء أسوأ ما ظنا بأنفسهن فلا يصدقن اجتماع رجل وامرأة على غير ريبة . وليس لشىء لديهن تفسير غير تفسيره الجنسى . فالجنس معنى الحياة عندهن وواسطة العقد فى تفكيرهن ومحور أفعالهن ، وذاك — ولا اختيار لأحد فى ذاك — حكم الطبيعة وسبيلها الى النسل وبقاء النوع . فلا عرو اذن وأبو العلاء إمام المتشائمين ومن أشد الكارهين للحياة ان يكون موقفه من المرأة موقفه من الحياة نفسها . فالمرأة هى الحياة مصغرة على حد قول الأستاذ العقاد ، وهى الأمينة عليها والكاهنة القائمة على محرابها تنفخ نارها وتأبى أن يخبو أوارها ، وهى هى مصدر هذا البقاء بما انطبع عليه من شر وما يجره من شقاء . وطبيعى من أبى العلاء وهو يرى دنياه شرا أن يرى التناسل تفاقما لهذا الشر : « تناسلوا فنما شر بنسلهم » ثم يراه جناية يجنيها الناجل على ولده لانهم كما تشقى الدنيا بهم يشقون بها

على الولد يجنى والد ولو أنهم ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعداً من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء

يرون أبا القاهم فى مؤرب من العقد ضلت حله الارباء

وهو يرى جناية الوالد على أبنائه مضاعفة لأنه إذ يعطيهم الحياة على مافيها من عنت وبلاء ، يجر عليهم مصير كل حى من غشية الموت وصرعته : « دع النسل ، ان النسل عقباه ميتة »

ومثله : وهـذا الدهر بشر بالمنايا فـلم فرحت ببشر ام بشر

لهذا ينصح أبو العلاء بعدم الزواج ، فاذا ألحت على الرجل الغريزة وخاف الاثم ، فله أن يتزوج ولـكن اياه والنسل

نصحتك لا تنكح ، فان خفت مأثما فأعرس ولا تنسل ، فذلك أحزم

وأسلم وجه للزواج دون نسل زواج العقيم

أرى النسل ذنبا للفتى لا يقاله فلا تنكحن الدهر غير عقيم

وهو يعجب لمن يعتدون عقم امرأة عذراً يبرر طلاقها وهو أولى بامساكها وايثارها

إن اليهودى خلى جهله امرأة كانت عقيما . وخير النسوة العقم

وأبو العلاء حريص على تقرير هذا الحـكم وتكرير الدعوة الى العقم ، لأنه كاره للحياة معتبر اياها شرا ، وبدهى أن العقم انتحار للمجتمع وانقراض للنوع وابطال للحياة على اهون وجه بعد جيل واحد

وعطلوا هذه الدنيا ، فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

وانه ليدهش من اقامة الأفراح فى الاعراس مع ما فى الزواج من وخامة العقبى

بدا فرح من معرس ، أفما درى بما احتار من سوء الفعال وما جرا

ثم يمضى يؤرخ شر تأريخ للزواج من بدء أن عرف الرجل الأول المرأة الأولى

سعى آدم جد البرية فى أذي لذرية فى ظهره تشبه الذرا

تلا الناس فى النكراء نهج أبيهم وغر بنوه فى الحياة كما غرا

ولعله بعد شاك فى أن تصويره الفاجع لما يلقاه الأحياء عامة من محن وشدائد من جراء خروجهم للحياة بالغ فى نفوسنا مايريده من أثر . فهو يعمد الى تذكيرنا ما نحن فيه من عنت وبلاء علما منه أن كل انسان أحس بمصابه ، وأملأ به روعا ، وأشد له التياعا ، فعسى ذلك يكون أشفع منا عند أنفسنا الا نخلف بعدنا خلفا ، فيلقون ما لقينا ، ويكتوون بما اكتوينا

والقاك فيهـا والداك ، فلا تضع بها ولداً يلقى الشدائد والنكرا

ثم ماذا يرجو الوالدان من الولد ؟ ان كانا يرجوانهما لـكبرهما فقد ساء المآل وطاش السهم ، فما نصيبهما منهم إلا العقوق

فكم ولد للوالدين مضيع يجازيهما بخلا بما نحلاه

طوى عنهما القوت الرهيد نفاسة وجراه سارا الحزن وارتحلاه

يعيرهما طرفا من الغيظ شاُفنا كأنهما فيما مضى تبلاه
ينام اذا ما ادنفا ، واذا سرى له الشكو بات الغمض ما اكتحلاه
يذم لفرط الغى ما فعلا به وأحسن وأجمل بالذى فعلاه

فكل شيء كما قدمنا فيه مقنع على ان المرأة حبالة غى ، وأن الزواج شر ، والنسل جناية . فما بال الخلق يتزوجون وينسلون ؟ ليست القضية هنا قضية عقل ، ولا المجال هنا مجال منطق . انها الطبيعة تسوم بنى آدم فى خدمة أغراضها سوم البهائم

كبار أناس مثل جلة سائم يربون أطفالا كما ارتضع البهم

إذن ، فما بال أبى العلاء لم يتزوج ، مثله فى ذلك مثل سائر الناس ؟ أتراه معتداً نفسه من طينة أكرم من طينتهم وجبلة أزكى من جبلتهم ؟ لو اعتد فلعله ما كان يكون مبطلا ولا محيلا فى نظر الأكثرين . ولكن الرجل ما برح إذ يذكر الناس ، يذكر أنه منهم ، حاشراً نفسه في زمرة من يذمهم ويزرى عليهم

بنى الدهر ، مهلا ! ان ذممت فعالكم فانى بنفسى لا محالة ابدأ

انما الأمركله أنه مفكر لا كالمفكرين . فقد قضى حكم الحياة أن يعيش هؤلاء ما عاشوا بشخصية مزدوجة ، يعلون على الناس برؤوسهم فرؤوسهم فى عليين ، وما سواها ففارق مع سائر الناس فى المادة والحمأ المسنون . وهم يدركون من الحياة أكاذيبها ، ولكنها بعد أكاذيب حيوية ضرورية للحياة التى هم أسراها، فتراهم يرفضونها فكريا ويحيونها واقعيا . أما ابو العلاء فقد قارب جهد الطاقة ما بينه فى الواقع الموجود وبين مثاله المعنوى المنشود ، ورفض فعلا ما رفضه قولا ، واستطاع أن يعيش أفكاره . وذاك مطلب جد عسير ، لعله لم يكن بالغه لولا أن عاونت عليه ظروف وملابسات منها كفاف بصره وفقره ، وما ورثه من خصائص خلقيه كوقاره وكرامته على نفسه ولطف حسه بمواضع السخرية ، وما انقطع له طوال عمره من ادمان التحصيل والدرس واطالة التفكير والبحث، واصطناعه كل ما من شأنه اماتة الجسد من تحريم لأكل اللحوم من حيوان وطير واقتصاره على الشعير والعدس والتين ولبسه غليظ الثياب واغتساله بالماء البارد فى الشتاء ، وغير ذلك من عوامل ارادية وخارجة عن ارادته يعرفها من قرأ سيرته

وبعد ، فلا نحب ان نختم هذا العرض لرأى أبى العلاء فى المرأة دون الاعتذار لفيلسوفنا عند سيداتنا . فالرجل ـ ياسيدتى ـ حين ذمك لم يمدح غيرك . بل برم ـ شأن السادة المتشائمين ـ بالدنيا : بكل ماطلع به نهار وخيم عليه ليل ، بالحياة كافة وبالاحياء اجمعين

فأف لعصريهم نهار وحندس وجنسى رجال منهم ونساء

عبد الرحمن صدقى

مقارنة بين علمى الشعر العربى

المعرّى والمتنبّى

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

المتنبي رجل قوى متمرد طامع فى الملك والمال أى رجل حياة وكفاح ، أما المعرى فيمثل أعلى مراتب الفكر ، يمثل ذلك العقل الهادىء الذي تحدث عنه كونفشيوس وقال أنه لا يتاح إلا للقلائل فيملكهم ويحكمهم

المتنبي أول شاعر قرأته وأحببته وصحبت ديوانه حتى حفظته عن ظهر قلب ، وظل طويلا تحت وسادتى ، وقد خلت مكتبتى الآن من دواوين الشعر العربى ، أخذها أصحابى ولم يعيدوها ، ولكن بقى لى المتنبي يحيط به شاكسبير من ناحية وشوقى من الناحية الاخرى . أحببت فى المتنبى قوته ورجولته ، والألم المنبعث من نفس حساسة معذبة . ومما حببه الى أيضا أنى كنت أفهمه تماما بلا حاجة الى « الشروح » و « التعليقات » ، ان لم أفهم ألفاظه فهمت معانيه ، وان لم أفهم معانيه فهمت أنه كبير الآمال بعيد المرامي وهذا يكفينى منه

وكنت أكره المعرى لسببين :

الأول انى كنت صغيراً حين قرأته فلم افهم مايريد أن يقول ، ولا احفظ له غير قصيدته المشهورة فى الرثاء « غير مجد فى ملتى واعتقادى »

والسبب الثانى أن لنا جاراً شغوفا به . وكان هذا الجار كلما لقينى امتحننى فى بيت من أبى العلاء، وبرهن لى أنى لا أفهم شيئا ما دمت لا أفهم أبا العلاء

وسبب آخر : لقد كنت أومن أن الشعر عاطفة ، عاطفة محضة ، وكنت أعتقد أن حكمة المتنبي ليست « فلسفة » بمعنى الكلمة ، بل هى حكمة صادرة عن قلبه وألمه وتجاريبه . وطالما دافعت عن نظريتي في الشعر وهى أن الشعر عاطفة فقط ، واتهمت الذين يدسون الفلسفة فى الشعر بأنهم يفسدون الشعر علينا

ولكن الانسان كلما تقدم فى العمر طرأ عليه ما ليس فى الحسبان . فان مقالا واحداً قد يغير مجرى التفكير تغييراً تاما . وهذا ما حدث لى . جرى تطورى فى المعرفة على السنة المعروفة ــ قصص وشعر (عاطفة) ــ فحكمة ــ ففلسفة ــ فتصوف . وبينما انتقل من كاتب لكاتب ، اشغف بهذا ثم أتركه لآخر . تعلقت حينا بالعلامة المشهور جون ستيوارت ميل ، فقرأت له يوما مقالا عن « الشعر » علمت به ما لم أكن أعلم

ومنه أصبحت أنكر ما كنت أومن به سابقا ، وهو أن الشعر عاطفة محضة . وهذا المقال الفريد يعثر عليه فى كتاب « مقالات نقدية للقرن التاسع عشر » طبعة أوكسفورد ، وملخصه أن الشعر عاطفة حقا ولكن يجب ان يكون له «لجام» من الفلسفة . ولم ألبث بعد ستيوارت ميل أن تعلقت بالحكيم « رسكن » فقرأت له مقالا عن « نشاز » العاطفة فى الشعر وهو لايخرج فى معناه عن مقال ميل . .

فأخذت اقرأ الفلسفة فبدأت بالسهل ، وصرت اتدرج ، حتى وقع لى كتاب من أصعب الكتب وأعلاها قيمة كان هو السبب فى قراءتى لابى العلاء من جديد ، هذا الكتاب هو كتاب « السخرية » للفيلسوف ينكلمتش الروسى . بعد قراءة هذا الكتاب أخذت أعجب من اهمالى « للساخر » أبى العلاء ، الفيلسوف الشاعر المعتزل الراهد مبتدع « الرمزية » فى الأدب أجيالا قبل أن ينتبه الشعراء اليها . . أحذت التفت الى أبى العلاء فوجدت نظرتي اليه قد تغيرت تماما ، وأعتقد ان ذلك ناشىء من نضج الفهم الادبى على السنين ، فالمعرى لايصح ان يقرأه الناشىء ، ولا المثقف ثقافة سطحية . وقد شكا الى صديق من كبار المتأدبين ، ان أشعار أبى العلاء فى اللزوميات متشابهة وانها كلها تدور حول نقطة واحدة ، فنبهته الى خطأ هذا الزعم وبينت له انه أعمق بكثير مما يظن الناس . وملتن الشاعر الانكليزى من هذا الطراز ، لا يحسن تذوقه الا المتمكن فى الدرس والثقافة ، ووردسورث كذلك ، لقح شعره بآثار الاطلاع الواسع والثقافة العميقة ، ولكن النقاد اليوم ينكرون عليه شاعريته ، ويقولون أن عاطفته « ضحلة » ولولا علمه الغزير ما قرأه الناس ، وأن الشاعرية الكاملة يمثلها شلى وحده

كنت أعتقد خطأ ان فلسفة أبي العلاء هى مجرد تأملات رجل «يدمن» التفكير ، حتى أحطت بما كتب عنه ، فصار ابو العلاء فى نظرى «سقراطا» ثانيا ، يسخر ويعلم ، ويعلم ويسخر ، فصار على رأى ينكلمتش « ضمير الانسانية » يستيقظ ويوقظ . . . يقظة صارمة تثير الشك المفيد ، وتدعو الناس الى اعادة النظر فى أمور الدنيا !

* * *

بعد هذه المقدمة نقارن بين المتنبى وأبي العلاء . والموازنة بين هذين الشاعرين تحتاج الى مجلد ضخم ، ويمنعى ضيق المقام عن الاسترسال فى الكلام عن شاعرين أحببت احدهما صغيراً وشب حبه معى لم يتغير ، وأحببت الثانى على « وهم » وكبر

لا يمكن أن نفهم شيئا عن المتنبى أو أبى العلاء بغير أن نلم المامة بسيطة بعصريهما . العصران متقاربان ، المتنبى يسبق المعرى بستين عاما ، وكان ابو العلاء من أشد أنصار المتنبى ، وقد قلد شعره فى طور من أطوار حياته الادبية ، ودافع عنه ، وتعرض بسبب ذلك الى الأذى ، والقصة التى بينه وبين الشريف المرتضى مشهورة . غير أن الفترة التى قضاها المتنبى فى بلاط « سيف الدولة »

كانت عصر أمن نسبي، فسيفُ الدولة كان رجلا عظيما، وطالما حارب وانتصر دفاعا عن الاسلام، وطالما رد الروم فى غزوات مجدها وخلدها المتنبى، ولم يكد سيف الدولة يموت حتى أخذ ذلك الحصن المتين ينهار، وكثر الطامعون والمغيرون، والابطال والمدعون للبطولة، والفاتحون بالسيف والفاتحون بالحيلة. فعصر أبى العلاء كان عصراً بغيضا مملوءاً بالانقسامات والدسائس، ولا اعنى بذلك ان عصر المتنبي خلا من ذلك وقد كانت الفتن مشتعلة والاحزاب قائمة، ولكن سيف الدولة كان «الرجل» الذى جرى فى خيال المتنبي

والمتنبي كان جباراً تام الرجولة، وابو العلاء كان كفيف البصر، فأقعدته هذه العلة عن السير فى السبيل الذى طرقه المتنبي لبلوغ أمانيه، وان كانت المرامى البعيدة والاوطار الكبيرة هى هى عند كليهما. وليس ذلك بغريب فى عصر كان الناس فيه فى حاجة الى «رجل»، بل الأصح الى «رجل عربى» صحيح العروبة يدرأ عن الاسلام الفرس والروم والديلم والفاطميين وغيرهم وغيرهم. أقول «صحيح العروبة»، فقد كثر المتعربون والمستعربون وصار العرب الحقيقيون يسكنون جزءاً صغيراً منعزلا عن البادية، ومن يقرأ تاريخ تلك الأيام بامعان، يقرأ أسماء غريبة، يقرأ اسم توشكين وابن سبكتكين، وغير ذلك . . .

فانظر الى أى حد اختلط الحابل بالنابل

ومن العجيب ان الانحطاط السياسي قام فى ظله ارتفاع ادبى، ولكنه أدب فى «المعانى» أى ثقافة وفلسفة من هنا وهناك، أما الألفاظ العربية الصحيحة فيظهر أنها أخذت تختنى، ولعل القوم كانوا فى حاجة الى «مجمع لغوى» اكثر من حاجتنا اليه اليوم

وقد أحس المتنبي بذلك، وابو العلاء شعر به، ويذكر الكاتب «هنرى برلاين» فى كتابه «ابو العلاء السورى» ان المتنبي كان يترك الحواضر الى البوادى أياما بحالها، لكى «يتصيد» اللفظ العربى الصحيح، ولكن المتنبي كان فنانا قبل كل شىء، فاذا طاوعته اللفظة فى شعره وضعها، وان لم تطعه وضع غيرها سواء أجرت على القياس أم لم تجر . . .

أما ابو العلاء فقد كان من علماء النحو والصرف والعروض، وكانت احاطته باللغة احاطة منقطعة النظير، واعتقد انه «التزم ما لا يلزم» متعمدا ان يحفظ للغة العربية «كلاسيكيتها» فى عصر كثرت فيه الفوضى وضربت أطنابها. وابو العلاء كان يستطيع أن يكون أى شىء، كان يستطيع ان يقول كما قال المتنبي، قولا ثائراً جزلا، ويرق رقة ابى العتاهية، فعنده من الخيال ومن «الطاقة»، الشعرية ما يدركه لأول وهلة من قرأ «رسالة الغفران»، وان تكن نثراً لا شعراً

وانما تعمد ابو العلاء ان يحفظ للغة القرآن جلالها وروعتها وأصولها

يذكر الذين قرأوا تاريخ عصر ابى العلاء ان صالح ابن مرداس كان من ابطال ذلك العهد،

كان شجاعا فتاكا قوى المراس ، فمشى الى «المعرة» فى بعض جنوده فحاصرها ، ويظهر ان المعرى كان سيد اهل بلدته بالفكر أو بالنسب ـ فخرج اليه يشفع لقومه ، وقدم له استرحاما آية فى الرقة ، جعل ابن مرداس على غلظته يفك الحصار ويعفو . . .

ويصف ذلك ابو العلاء بقوله :

فيسمع مني سجع الحمام واسمع منه زئير الاسد

ولماذا نذهب بعيداً . من يقرأ رسائل أبى العلاء لأصدقائه واخواله يرى النثر الصافي الرقيق العذب الذى يكتبه ابو العلاء على سجيته لا تعثر فيه ولا تفلسف وان كانت تغلب عليه «الصنعة» والمحسنات البيانية

***

القارنة بين ابى العلاء والمتنبي تقتضى النظر فى :

(١) أثر الوراثة

ولد المتنبى فى الكوفة وقد زعموا ان والده كان يسقى الماء على ظهر جمل ، فعلى حسب هذا القول كان وضيع الأصل ، وهذا قول لا دليل على صحته مطلقا . ويقينى ان حول ولادة المتنبى سراً أخذه معه المتنبى الى قبره ، وكانت تعرفه جدته التى تولت تربيته . وقد اخبرته به ، وأوصته ان يكتمه ، فولد كتمانه فى نفس المتنبى مضضا وتمرداً كان لا شك سبب الثورة الدفينة فى أعماق نفسه ، فهو يوقن بنبل أصله ولسبب ما لا يستطيع أن يقول . ولو لم يكن نبيلا ما خرج فى شبابه الى القبائل يجمعها حوله ، والعشائر يدعوها الى التضافر حوله لغرض كبير ، ولو كان ابن سوقة ما جلس احد ممدوحيه العظام بين يديه ، وقد اجلس أبا الطيب مكانه ، ولو كان ابن سوقة ماجرت الالفة والمودة بينه وبين سيف الدولة ، ولما تطلع الى «خولة» أخت سيف الدولة محبا وطامعا فى الزواج كما تدل قصيدته الهائلة :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب

فهذه قصيدة غير عادية . . .

كلا ان جمال سمته على ما ذكر الرواة ، وتلك «الوفرة الجميلة التى تصل الى اذنيه» لا تدل على ضعة الاصل . وشعره ليس فيه بيت واحد ينم على اصل خسيس ، ولعمرى لو كان وضيع الاصل لنم عليه ولو بيت واحد من شعره ، فالشعر مرآة لا تكذب ابداً . . . وقد يكذب المرء ما شاء ولكنه لا يستطيع ان يكذب فى شعره . . .

فانا أومن بنبل أصل المتنبي ايمانا تاما ، وأوقن ان أعداءه وحساده هم الذين خلقوا هذا «السقاء الكوفانى» خلقا وجعلوه أبا للمتنبي

فسر القوة فى شعر المتنبى ، هو ذلك الكتمان الذى عاناه منذ صباه ، والذى جعل فى باطن عقله « عقدة » كما يقول علماء النفس

أما المعرى فقد ولد بمعرة النعمان ، ونسبه لا خفاء فيه ، فهو من أسرة عريقة فى الفضل والعلم ـ على الأقل من ناحية أمه ـ ولا شك مطلقا فى أثر ذلك فى بناء شخصيته . أما « العقدة » عند المعرى فهى بلا شك فقدان بصره وهو صغير

فنحن نرى اذن أن المتنبى يعرف من أين انحدر ولا يستطيع أن يذيع ذلك لسبب لا نعرفه أو يحاول ان يذيعه فيحارب ويصدم ، والمعرى يعرف باليقين من أين انحدر . ويشعر من صباه بالقوة الموروثة الجارية فى دمه . ولكنه يفقد بصره . فيحول ذلك دون ما يبتغى من المطامع الواسعة

(٢) أثر البيئة والحوادث

كلا الرجلين يضيق ذرعاً بمكانه الصغير حيث ولد ونما فيخرج الى الدنيا الواسعة ليجرب حظه ، المتنبى يترك الكوفة ويثير ضجة حوله . فيقبض عليه ، ويسجن ثم يفك سراحه ، فيعود اليها ، ثم يملها فيهجرها من جديد ، وينتقل من هنا لهناك ، يبحث عن « رجل » فلا يجد ، فيعود الى الكوفة ليرى جدته ، فيمنع لسبب مجهول ، فينقلب الى الشام ، فى طلب ذلك « الرجل » الذى يتمناه فى خياله . فيلقى التنوخيين فى اللاذقية ، ثم يتصل بغيرهم وغيرهم ، وكلما شام برقا اتضح له خداعه ، حتى اتصل ببدر ابن عمار ، ولكن الوشاة أفسدوا عليه أحلامه ، وها هو ذا ما زال يبحث عن « رجل » يعينه على مآربه البعيدة ، ويشرح اليه دخيلة نفسه ، حتى اتصل بسيف الدولة فى حلب ووجد الضالة التى ينشدها من قديم . أما أبو العلاء ، فخرج من معرة النعمان يطلب العلم والجاه فى بغداد ، ولكن بغداد وأهلها خيبوا ظنه ، فانقلب راجعا الى المعرة وقد استن لنفسه قانونا صارما ، أخذ نفسه به الى يوم وفاته . لم يجد « رهين المحبسين » ضالته عند أحد ، فترك البحث وانقلب الى عزلته يدرس ويفكر ويتأمل . فكلا الرجلين شعر بضيق المكان الذى ولد فيه ، فخرج الى الدنيا العريضة يبحث عن مثله الأعلى ، أما المتنبى فقد أدى به تجواله الى سيف الدولة ، أما المعرى فلم يجد أحداً فلجأ الى العزلة واستن لنفسه سنة صارمة « والتزم ما لا يلزم » . أما المتنبى فقد اندفع فى غمار السياسة وطمع فى السيطرة والملك ليحقق ما يعرفه عن نبل أصله ، اما المعرى فعرف عبث الاشتباك فى تلك الفوضى التى لا حد لها ، وهو من أجل عاهته المحتومة ، بالطبع لا يستطيع ان يشترك فى امور تحتاج للبصر وما هو أبعد من البصر نفاذاً ، فانصرف الى ما يصلح له حقا ، وهو الدرس والتأمل ...

(٣) الانكباب على الدرس والاطلاع والتحقيق

أما المتنبي فدراسته بدأت بالكوفة ، وتمت ونضجت فى بلاط سيف الدولة ، حيث توافرت لديه المؤلفات والمراجع . وكان يجد نفسه مضطراً للاتقان والتجويد لكثرة الحساد والاعداء الذين كانوا ينتظرون فرصة للتشهير به . ولكنه لم يجعل شعره سجلا لثقافته الواسعة . ولكن كان شعره سجلا لعواطفه وحوادث أيامه . ويمكننا ان ندرس حياة المتنبي من شعره دراسة تامة . اما الموارد التى استقى منها المتنبي فهى الشائعة فى تلك الايام ، وأغلبها مترجمات عن اليونانية والفارسية والهندية بين أدب وفلسفة . وأعتقد ان المتنبي كان مضطراً الى الدرس والتحقيق ليكون كفؤاً بشعره للملوك الذين جعل نفسه نداً لهم لا مادحا . ومن الواضح ان اشتباكه فى غمار السياسة والخصومات الحزبية ، لم يترك له وقتا كافيا للاستزادة من القراءة والتحصيل ، وهذا سر الفرق بينه وبين المعرى الذى انقطع للعلم زهاء أربعين سنة . أما المعرى ، فقد ساعده انقطاعه التام لتحصيل العلم ،على بلوغ الغاية التى ضمنت له الخلود. وقد اشتغل بالشعر والنثر والفلسفة، واللغة بكل فروعها ، وألف كتبا كثيرة جداً ضاع أكثرها مع الاسف . فالمتنبي خلد بشعره القوى الثائر الذى هو سجل كامل لنفسه ولزمنه ، شعر تدعمه الثقافة والاطلاع الواسع ، صادر من القلب تواً ، مبنى على أساس متين من التفكير السليم والعقل الراجح ، أما المعرى فرجل دارس Scholar جعل شعره فى أيامه الأخيرة اى فى اللزوميات ــ سجلا لمعرفته وقاموسا لمعلوماته . وهو مع كل ذلك لم يخل من قصائد ــ خاصة فى الرثاء ــ تتجلى فيها العاطفة القوية الرائعة

(٤) نفسيتهما

المتنبي رجل قوى متمرد يطلب « حقا » ويجرى وراء ثأر ، طامع فى الملك والمال ، يبحث عن « مثل أعلى » فيخيب امله ، وعندما يعثر على سيف الدولة ، يجرى من الحوادث ما يخرجه من بلاطه حزينا كئيبا ، وقد ظفر المتنبي بالمال والشهرة ولم يظفر بمطامعه السياسية . وقد عاش وهو ثائر ، ومات وهو ثائر ، ما أطن الحياة ولا الموت وجدا حيلة فى ذلك القلب القوى العنيف الذى ظل ينبض خلف التراب كما نبض فوق ظهره

أما أبو العلاء فيمثل أعلى مراتب العقل ، ذلك « العقل الهادىء » الذى تكلم عنه كونفوشيوس الصينى فقال أنه لا يتاح الا للقليلين جداً . . . ذلك العقل الذى ملك وحكم وصارت له السيطرة على صاحبه ، وعلى الحوادث حوله ، لاتزعزعه العواصف ، ولا تؤثر فى تفكيره الأعاصير . عقل ابى العلاء أمره أن يعتزل فاعتزل ، وأن يزهد فزهد ، وأن يلزم محبسيه فلزم ، كل ذلك فى هدوء وقوة وصبر هى من مواهب المختارين الذين أنعم الله عليهم ووهبهم من سره العظيم

ابراهيم ناجى

نواحي التجديد والتقليد

في نثر أبي العلاء

بقلم الاستاذ سليم الجندي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

ظهر ابو العلاء الى هذا الوجود فى النصف الثانى من القرن الرابع للهجرة ، وهو العصر الذى نضج فيه العقل العربى ، وزخرت فيه بحور العلم وأثرى فيه الأدب ، ونزع الكتاب والشعراء فيه الى الترف الادبى وأولعوا بالتأنق والزخرفة ، وكانت جمهرة الكتاب تترسم خطى ابن العميد فى الطريقة التى شرعها فى الانشاء ، لما بينها وبين الشعر من الصلات الموثقة والأواصر المحكمة ، حتى قيل : انها شعر لا ينقصه إلا الوزن

ولا شك أن الانشاء فى كل عصر مظهر من مظاهر العقل ، ومعرض يعرض فيه الكتاب ثمرات قرائحهم ونتاج أخيلتهم ، وميدان يظهر فيه كل واحد منهم ما أوتيه من حول وطول

وقد نهز ابو العلاء مع الكتاب بدلوه ، وأسام سرحه حيث أساموا . ولكن غزارة علمه وسعة مواهبه الفطرية قضتا عليه أن يخرج عنهم فى بعض طريقهم ، وأن يشق لنفسه طريقا يكون أبا عذرتها ففعل ، وجشم نفسه مالم يجشموا أنفسهم

غموض لغته

هل كان فى لغته غموض متعمد ؟

كان ابو العلاء واسع الاطلاع على أساليب البلغاء ، بصيراً بالدقيق من أسرار البلاغة ، عالما جد العلم باللغة ، محيطا بالغريب والنادر منها،ولا أغالى اذا قلت : انه كان يعى فى صدره من أبنيتها ومفرداتها مالم يحط بمثله عربي قح.وقد قال تلميذه ابو زكريا التبريزى ــ وهوأعرف الناس به وأصدقهم شهادة فيه ــ ما أعرف ان العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها ابو العلاء . وذكر أن جماعة ممن كانوا يقرأون عليه أرادوا أن يختبروا علمه ويمتحنوا ثقته ، فوضعوا حروفا والفوها كلمات ، ثم اضافوا اليها كلمات أخرى من غريب اللغة ، وسألوه عن جميع ذلك ، فكان اذا مرت به كلمة مما وضعوه أنكرها واستعادها مراراً ثم قال : دعوا هذه ، واذا مرت به كلمة لغوية شرحها واستشهد عليها ، حتى اذا انتهوا أطرق مليا ثم رفع رأسه وقال : كأنى بكم وقد وضعتم هذه الكلمات لتمتحنوا بها معرفتى وثقة روايتى ، والله

لئن لم تكشفوا لي الحال لأفارقنكم ، فقالوا : والله ان الأمر كما قلت وما عدوت ما قصدناه ، فقال : سبحان الله ، والله ما أقول إلا ما قالت العرب ، والرائد لا يكذب أهله . وقصته حين قال في مجلس الشريف المرتضى : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما مشهورة

ولعل قائلا يقول ان في هذا غلواً شديداً ، فنقول له : دع كل ما قيل وأجل طرفك فيما انتهى الينا من آثاره فان فيه على ما قلناه أصدق شاهد على غزارة مادته وشدة استيعابه ، منه ما في رسالة الغفران حين ذكر بيتين للنمر بن تولب وهما :

ألم بصحبتي وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى اذا شاءت وحوارى بسمن

ثم ذكر حكاية خلف الاحمر مع أصحابه ، وخلاصتها أنه قال لهم لو كان موضع أم حصن أم حفص ما كان يقول في هذا البيت ؟ فسكتوا . فقال : حوارى بلمص يعني الفالوذج

وأراد ابو العلاء أن يبين أنه أطول باعا في اللغة من أصحاب خلف ومن خلف نفسه فقال : ويفرع على هذه الحكاية ، فيقال : لو كان مكان أم حصن أم حزء لاحتمل أن يقال وحوارى بكشء ، أو وحوارى بوزء ، أو وحوارى بنسء ، ثم انتقل الى حرف الباء فأتى بثلاث كلمات صالحة لذلك هي : بضرب ، بارب ، بكشب ، ثم انتقل الى حرف التاء فالثاء فالجيم فالحاء حتى انتهى الى آخر الحروف الهجائية ، وكان يذكر في بعض الحروف كلمات متعددة ويفسر كل واحدة منها ويبين أصلها واشتقاقها وقد يستشهد على ذلك بشيء من الشعر أو الرجز ، ثم اعتذر عن اقتصاره على هذا القدر ، فقال : وهذا فصل يتسع ، ويفهم من قوله هذا أن في استطاعته أن يزيد على ما ذكر ، وهذا القدر الذي اقتصر عليه لا يستطيع أحد غيره أن يأتي بمثله

وفي كتبه لزوم ما لا يلزم ، والفصول والغايات ، وملقى السبيل ، وسقط الزند ، غنية للباحث ومقنع للمرتاب ، ولا نجد في نثره ونظمه على كثرة ما فيهما من الالفاظ كلمة فاحشة يأباها الأدب ويمجها الذوق ، وقلما نجد ناثراً أو ناظما نزه الفاظه مما تتقزز النفوس منه بقدرما نزهها شيخ المعرة

وكان ابو العلاء كثير الدراسة والتأليف والنظم ، شديد الممارسة للالفاظ ، فلم يجد فيها من الوحشة والغرابة ما يجده من كان أقل منه مدارسة وأنزر ممارسة ، وهذا يدل على أنه لم يتعمد ايراد الغريب ليستر تحته ما يريد من غمز أو تهكم أو سخرية أو نحوها ، ويقوى هذا ان أبا العلاء صرح في نظمه ونثره بما هو أولى بالكتمان والاخفاء من غيره ، فقد جاهر بما يعتقده ويأباه في باب العقائد ، واعترض على الشرائع والمذاهب والنحل ، وانتقد الحكومات والعادات والاخلاق ، وواجه كل فريق بأشد ما لديه من النقد اللاذع الصريح ، ولم يعمد الى تقية ولا مواربة ولم يتعمد اخفاء شيء من ذلك تحت كلمة حوشية أو لفظة غريبة

فيكون ما في كلامه من الغريب في رأى أناس غير غريب بالنسبة اليه ، وغير متعمد لاخفاء

شيء في مطاويه ، وانما هو أثر الثروة اللغوية . ويكون غير غريب بالنسبة الى زمانه والى من كتب اليه ، لأن التاريخ لم يحدثنا ان احداً طلب من أبي العلاء أن يفسر له شيئا من كلامه ، على أنه كان يفسر في نظمه ونثره كثيراً من الكلمات ويبين اشتقاقها والمراد منها حذراً من أن تعبث بها أيدي الجهالة

خصائص نثره

واذا تبينا لغة المعري وبراءتها من تعمد الغموض وجب أن نبين خصائص نثره وهي كثيرة منها :

السجع والبديع كلف كتاب هـذا العصر بالسجع حتى استفاض في الطبقات عامة ، وقد ساهم أبو العلاء فيه فكان له حظ عظيم في رسائله وقلما تخلى عنه . ولعله كان يعجبه ويطربه ، وكثيرا ما الجأه الحرص عليه الى تأخير ما حقه التقديم ، وتقديم ما حقه التأخير ، والاطناب في مواطن الايجاز ، واثبات كلمات في المأنوس ما يغني عنها ، وإن الناظر في نثره يجده مغموراً بالكلفة غاصا بالتعمل

ويرافق السجع في انشائه كثير من أنواع البديع المتعمدة كلزوم مالا يلزم ، مثل قوله في رسالة المنيح « المعنى الحصير ، في الوزن القصير . أن تغزل فحنين العود ، أو تجزل فهدير الرعود » والترصيع كقوله فيها : « ضبب الآفن لعب الصافن . اهواء الرادس لارواء القادس » الى غير ذلك من الجناس والطباق والمقابلة ونحوها مما هو مستفيض في كتابه

الامثال والحكم ومن استقرى رسائل المعري وجد فيها طائفة كبيرة من الأمثال وما جرى مجراها من الكلم الطيب ، وسبيله في استعمالها غير مطرد ، فتارة يأتي بالمثل على وجهه الذي قيل فيه ، وأخرى يتصرف فيه زيادة ونقصا بقدر ما يقتضيه السجع أو المقام ، كقوله في رسالة المنيح : « يحول الجريض دون الغريض » وفي رسالة أخرى : « فاذا أعطيت القوس باريها ، والخيل فارسها ، والقناة مصرفها ، اعييتني بأشر فكيف بدردر »

وكثيراً ما يأتي بالمثل أو الحكمة من نتاج قريحته ، ولا شك ان أبا العلاء أكثر الكتاب ضربا للامثال ، ولولا أن بعض لفظه غير مأنوس عند فريق من الكتاب لكان من أمثاله وحكمه أفضل عدة للكاتب وخير ذخيرة للاديب

التاريخ اتفق لكثير من الكتاب أن يلمحوا في رسائلهم الى شيء من الحوادث التاريخية ، ويشيروا الى بعض رجال اشتهروا في التاريخ بحوادث معينة . أما أبو العلاء فكان طويل الباع في معرفة الرجال وما لها من مثالب ومناقب ، وواسع الاطلاع على مامر في الايام الخالية من الحوادث كما قال :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن   إلا وعندي من أخبارهم طرف

ولذلك كان للتاريخ حظ وافر في نثره ، قد لايجد الباحث معشاره في كلام غيره من أعلام البيان

وأئمة الكتاب . ولقد ألم فى رسالة المنيح الى موسى الكليم وعصاه وآياته التسع ، والى ابراهيم ومقامه ، وآدم وما يزعمه الناس فى أصل الطيب ، والى شداد بن عاد ، وسليمان والهدهد . . .

وتصدى فى رسالة الاغريض الى ذكر دريد وقصير وفرسه وعنتره وامرىء القيس واخوة يوسف والامام أبى يوسف وبنى سدوس وعبد الدان وسبأ بن يعرب وبنى المنذر وغيرهم

وفى كتابه الذى عزى فيه خاله اتى على ذكر الانبياء من آدم الى محمد ، ثم عقب ذلك بمصارع الملوك من سبأ وحمير ، وملوك العرب فى الشام والحيرة ، وجماعة من الأجواد والأنجاد ، ثم استطرد الى مصارع الحيوان فلم يفلت منه أسد فما دونه ، ولا ذرة فما فوقها ، ثم حلق فى الجو فتتبع العقبان والغربان الى الجرادة فالنحلة ، ثم غاص فى البحر فتقصى الحيتان والضفادع . . . ولا يعرف مثل هذا الاستقصاء والتوسع فى مثل هذه الكثرة عند غير المعرى

المصطلحات والمسائل العلمية

ذكر بعض الرواة أن ابن المقفع كان يتوقف اذا كتب ، فقيل له فى ذلك فقال : « ان الكلام ايزدحم فى صدرى فأقف لأتخيره »

وابو العلاء اذا كتب ازدحمت فى صدره مسائل العلم فيعترف من بحر لا ينكش ، ويمتح من معين لا ينضب ، ولا يتوقف ، ولا يتحمحم ، فتراه ينثر فى تضاعيف سطوره كثيراً من المصطلحات والمسائل العلمية من فنون مختلفة . فاذا نظرت فى رسالة الاغريض رأيت فيها الفاعل والمبتدا والخفض والنداء وهاء العدد والف الوصل ونحوها من مصطلح النحاة ، والى جانب ذلك الضرب الاول من الطويل والمنسرح والوافر والقبض والخبل والعصب والدائرة الرابعة . . واشباه ذلك من مصطلح العروضيين ، ثم لا تلبث ان تمر بالحروف المذلقة والمطبقة والرخوة والجهر والهمس من المتعارف عند القراء فى التجويد ، وهكذا تنتقل من مصطلحات الفقهاء الى المتعارف عند الطبعيين واللغويين ، كأنك فى معرض تعرض فيه أصناف من مسائل العلم

ورسالته الى ابى الحسين البصرى أشبه بكتاب فى العروض والنحو منها برسالة أخوية ، لكثرة ما فيها من البحث فى الزحافات والعلل وعيوب القافية وغيرها من مسائل علم العروض ، ولكثرة ما فيها من أحكام الاسماء والأفعال والاعلام وحروف المعانى وغيرها من مسائل النحو

النجوم

أما النجوم فلا يعرف فى أدباء العرب من استوعب فى كلامه من اسماء النجوم ما استوعبه المعرى ، وكأنه أحاط بكل مايعرفه العرب من اسمائها وما يعتقده المنجمون وغيرهم فيها . وانك لتجد فى رسالة المنيح مثلا ذكر الشمس والقمر والسهى والغفر والجوزاء والجبهة والقطب والنسر والمشترى والزهرة والسرطان وزحل والسماك والعيون وسهيل والنعائم وغيرها . وفى رسالة الاغريض كثير من غير ما تقدم كالثريا والشرطين والبطين والرشاء والنثرة والفرقد وسعد الاخبية . . . والغريب انه يمهد السبيل لذكر كل نجم ويحكم المناسبة لذكره وكثيرا ما يحسن ذكر خصائصه وربطها بالسابق واللاحق من الكلام

الاستقصاء وقد تقدم مايدل على أن المعرى واسع الاطلاع غزير المادة وكان مولعا بالبحث والتقصى ، وقد تمر به الكلمة فلا يتعداها حتى يوفيها حقها من البحث ويحيط بكل ما له صلة بها ويقيم الادلة على رأيه فيها

وكان ابو الحسين النكتى قد كتب اليه كتابا أخطأ فيه فى اسمه وكنيته فسماه محمداً بدلا من احمد ، وكناه بأبى العلى بالقصر بدلا من أبى العلاء بالمد . فكتب اليه أبو العلاء جوابا ما ترك فيه شيئا من الاحكام التى تتعلق بتغيير الاسماء ، وتعددها والتصرف بها وما يعتريها من الضرورات الا اتى على ذكره وايده بالشواهد المتعددة ، وكذلك فعل بالكنية

ولا شك ان هذا أثر من آثار الثروة العلمية . وحسبك ما تراه فى رسالة الغفران من الادلة على سعة علمه وحبه الاستقصاء . فانه ذكر فى فاتحتها لفظ الحماطة ، ثم لم يتجاوز هذا اللفظ قليلا حتى عاد اليه ففسره وبين مايريد منه واورد شواهد عليه ، وفعل مثل هذا بلفظ الحضب والاسود والابيضين . واذا مرت به مسألة لغوية أو أدبية ألح عليها بالبحث وأضاف اليها الاشباه والنظائر ، وناقش فيها العلماء والشعراء والرواة ، وبين مواطن الضعف والخطأ فى أقوالهم . وقلما عرف مثل ذلك لغيره من العلماء أو الادباء

خصب الخيال وقد لا يكون من المغالاة فى شىء أن يقال إن أبا العلاء أخصب الشعراء والكتاب خيالا وأوسعهم تصورا وأبرعهم فى احكام الصور المتخيلة والتفنن بها . وهذا كتابه سقط الزند يعرض للمتأمل صوراً متنوعة من أخيلته البديعة ، وهى وان كانت قصيرة اللفظ واسعة المدى : تدل على تفكير عميق فى تخيلها ، وتنسيق مستجاد فى ترتيبها ، وبراعة فائقة فى تخير القوالب اللفظية لها

فاذا تأملت وصفه الغبار رأيته كالجبل الشامخ باضت فيه النسور وترعرعت أفراخها فيه ، ثم لا تلبث أن تراه يسمو الى السحاب فيخالط ماءه فيمطر مطراً كدراً منه

فاذا غادرته الى وصف منهل بين ريف الشام والكرخ . رأيت الصبا فيه كانها تراقب كامنا ، ورأد الضحى يمر به متنكراً مخافة أن يغتاله بقتامه . والنجم لا يهتدى لسبيله فيه ، والموت قد عشى بظلامه فلا يبصر من يقصد الا اذا انقشع عنه . والطيف يرتد خشية منه . والليل قد شاب قبل احتلامه من هوله

فاذا عرجت ببصرك نحو السماء رأيت الهلال يعتنق الثريا . وسهيلا يسرع اللمح فى احمراره ، مستبداً كالفارس المعلم ووراءه قدماه . . .

وإذا رجعت ببصرك الى السيف رأيت المنايا مسخت نمالا ودبت فوقه ، وماؤه يتردد على صفحتيه يهم بالزوال فلا يتمكن ، الى غير ذلك من الصور الرائعة البارعة فى نظمه

أما نثره ففيه على قلة ما وصل الينا منه ألوان متعددة ، وصور مختلفة من الاخيلة . ولعل

أظهر أثر تتجلى فيه سعة خياله رسالة الغفران ، فان فيها من الروعة والافتنان ما يقصر التطاول عنه. مثل فيها القيامة ، وألم الى ما يعتقده المسلمون وغيرهم من أصحاب الديانات فى الجنة والنار والبعث والحساب والحور والولدان والانهار والآنية والطيور والشفاعات و . . . . ووسع الرحمة فادخل فى الجنة من تضيق الشرائع عن ادخاله فيها وتجاوز عمن لم يتجاوز عنهم . وزاد على ذلك ما أحدثه من اللجاجة والخصومة بين ابن القارح وسادن الجنة ، وبين العلماء والرواة والشعراء من الملاحاة من اجل رواية بيت أو تحريف كلمة عن وجهها أو تأويلها على غير ما يريد قائلها

واخترع جنة للعفاريت اجتمع فيها ابن القارح بشيخ منهم يقال له الخيتعور ابو هدرش وسأله عن شعر الجن فأخبره أن لهم آلافا من الأوزان ما سمع بها الانس ، وأن لشاعر واحد منهم الف كلمة على روى معلقة امرىء القيس ومنزل فحومل . والفا على منزلْ . والفا على منزلا . والفا على منزلَه . والفا على منزلِه . والفا على منزلُه . ثم أسمعه شعرا أشبه بكلام الجن منه بكلام الانس

ولا شك أن هذه القصة وليدة خيال المعرى وربيبة فكر لم يطبع فيها على غرار غيره ، ولا ترسم خطى سواه . وان ذهب بعض الادباء الى أن المعرى اقتبسها من أقاصيص الوعاظ وليس له فيها غير التنسيق والسخرية لأننا لا نعلم فى أقاصيص الوعاظ ذكراً لابن القارح وحديثه مع خازن الجنة ، ولا لعبد المنعم قاضى حلب ، ولا للجحجلول الكفرطابى ، ولا لأبى هدرش وشعره ، ولا لجنة العفاريت ، ولا حديثا يدور بين شاعر أو راوية أو عالم مع غيره ممن ذكروا فى رسالة الغفران. وانما تخيل ابو العلاء هذه القصة واستعان ببعض العناصر المعتقدة ليجعلها كانها حقيقة كما يفعل ذلك أصحاب القصص الخيالية حيث يذكرون كثيراً من أسماء الرجال والأماكن ليجعلوها شبيهة بالحقيقة. وأبو العلاء ابتكر هذا الطراز ليبين ما يريده من النقد والغمز والتهكم والاستخفاف ، ولذلك جعل ابن القارح فى رحلته فى الجنة ينثر على حافتى طريقه طرفا من التحقيق والنقد والسخرية

أغراض رسائله

لم يقتصر أبو العلاء فى نثره على غرض واحد وانما ألم بأغراض متعددة كالمدح والتهنئة والتعزية والشفاعة والوصف والنقد . وسنخص الغرضين الاخيرين بشىء من الحديث المفصل

الوصف للوصف نصيب وافر فى نثر أبي العلاء يستمد بعض معانيه المحسوسة مما حفظ وسمع ، وقد يتصرف فيه توليداً ونقصا وزيادة فيحسن ويجيد ، ويستمد بعضا آخر منها من طبعه ، وهو فى وصفه الأشياء المعنوية ليس أقل اجادة منه فى الأشياء المحسوسة وكذلك كان سبيله فى وصفه الشعرى . وقد يروعك منه براعته فى التشبيه بما يستهوى الأفئدة ويملك الشاعر وكثيراً ما أورد صوراً محسوسة يعجز عن مثلها البصراء

وصف كتابا ارسله اليه الوزير المغربى فجعله أعذب من سلاف العنقود واحسن من الدينار

النقود ، مشرقا كلوائح البروق ، أو يوح عند الشروق ، وشبه كاتبه بالنحلة تطعم الغرب ، وتجود بالضرب ، وتجنى مر الأنوار فيعود شهداً ، وخادمه بموسى الكليم ، وكتابه بالألواح ، وقصيدته بعصا موسى ، وما فيه من المعنى الجليل في اللفظ القليل بصورة كسرى فى الطاس وقيصر فى الدينار

وشبه كتاب مختصر اصلاح المنطق فى رسالة الاغريض بدلالته على جوامع اللغة على صغر حجمه بالضمير الدال على الاسماء الكثيرة ، ومرآة المنجم تستوعب على صغرها القمرين والنجوم . . .

وقلما خلا كتاب له من وصف رائع وتشبيه بديع لا يقصر فيهما عن ابن الرومى وابن المعتز

النقد

يتضح مما تقدم ان المعرى كان مرهف الحس دقيق الفطنة مفرط الذكاء سليم الحافظة ، مولعا بالبحث والتمحيص والاستقراء عميق التفكير ، فلا يكاد يمر به شيء الا قلبه على وجوهه وسبر أغواره . وقد درس الحياة وما فيها من أخلاق وعادات وعقائد درسا علميا فكونت هذه العوامل فى نفسه ملكة قوية فى النقد أساسها العلم ونبراسها العقل واستطاع ان يكون المجلى فى هذا المضمار وأن يأتى بضروب مختلفة من أشكاله فى نظمه ونثره

ومن أمعن النظر فى نثره تبين ان له طريقتين فى النقد ترجع احداهما الى مسائل العلم وتتعلق الثانية بالاخلاق والعادات والمزاعم ونحوها . وفى كلتا الطريقتين لا يخلو كلامه على عفة الفاظه من تهكم لاذع واستخفاف ممض وسخرية موجعة . ولعله كان يذهب الى ان هذا السبيل أشد ايلاما للخصم وأبلغ أثراً فى نفسه مع ما فيه من الطرافة . واليك مثالا من جوابه الى أبى الحسين النكتي الذى بدل اسمه وقصر كنيته :

« دلنى كتابه على أنه يحسبنى قد أضعت وده وتناسيت عهده ، انى إذا لمن الظالمين . عرفنى بنفسه انه من اهل البصرة وقد صح معى انه من اهل البصيرة الساكنة فى خلده ، وتلك أجل من البصرة بلده ، وهل البصرة الا حجارة بيض ، يطؤها انسان وربيض . وأهل البصرة سلمهم الله ينسبون الى قلة الحنين ، اليس قد مرت به الحكاية وهى أنه وجد على حجر مكتوب

ما من غريب وان أبدى تجلده الا سيذكر عند الغربة الوطنا

« وقد كتب تحته : الا اهل البصرة ، فاذا كانت تلك سجيتهم مع اهلهم واوطانهم ، فكيف بالذين عرفوهم من اخوانهم ... ولعل سيدى الشيخ ظن انى مكنى بعلى التى هي من حروف الخفض ولو كان كذلك لوجب ان يقال ابو على ... وان كان تأول انى مكنى بعلا الذى هو فعل ماض فهو فى التعرية من الالف واللام مثل الأول . . . »

فهذه الرسالة تدلنا كيف كان المعرى يحمل كلام صاحبه على عامل لا وجه لها ويتأول كلامه ، ويبين له مذاهب العلماء فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز ، وكيف كان يدس التهكم والسخرية فى تضاعيف كلامه دس السم فى الدسم . وإذا تصفحنا رسالة الغفران وشايعنا الرأى القائل ان كل ما فيها من هذا النوع رأينا المعرى يحلق فى جو لا يباريه فيه مبار ويجلى فى مضمار لم يتقدمه فيه سابق

ولا شق غباره لاحق . وليست براعتــه فى النقد والتهكم فى نثره بأعظم منها فى شعره فنى لزوم ما لا يلزم من هذا النوع شيء كثير لا سيما حين يتكلم فى الشرائع والنبوات والعقائد

يتحصل مما تقدم ان ابا العلاء فى نثره متبع مقلد من ناحية ومبتدع مجدد من ناحية أخرى أما تقليده فانه طبع على غرار الجاحظ فى الاستطراد من غرض الى آخر ، ثم الرجوع الى الاول. وفى الأغراض بجمل الدعاء وحل المسائل والاستقصاء وترادف بعض الجمل على معنى واحد

واحتذى على مثال ابن العميد فى التقيد بالسجع وتعمد المحسنات البديعية والاقتباس وتضمين الامثال والابيات والتلميح الى الحوادث

نواحى التجديد

وأما تجديده فله نواح متعددة منها احداثه النثر العلمى ، فقد كان بعض الـكتاب قبل أبى العلاء يتصدى فى بعض رسائله الأخوية لذكر مسألة أو مسألتين من علم اللغة أو غيره اما ان تكون الرسالة الأخوية جامعة لمباحث متعددة من علم او علوم مختلفة مشتملة على تحقيق علمى فلا عهد للـكتاب به من قبل ، فيكون المعري أول من أحدث النثر العلمى فى النثر كما كان أول من أحدث الشعر الفلسفى فى الشعر . ومنها الأسلوب القصصى الخيالى فى الرسائل الأخوية فان هذا لم يقع منه للمتقدمين الا النزر ، وهو على قلته موجز ، ولم تعرف العرب قصة خيالية تشبه رسالة الغفران فى أسلوبها وسعة خيالها وكثرة ما فيها من التحقيق والمسائل العلمية

وكذلك شأن النقد فقد كان مختصا بكتب العلم والأدب ولا تعرف رسالة قبل رسالة الغفران ورسالة النكتى البصرى اشتملت على مثل ما اشتملت عليه هاتان الرسالتان

ويجوز ان يقال ان ابا العلاء لم يقـلد الجاحظ ولا ابن العميد لأنه لم يلتزم طريقة معينة من طريقتيهما وانما اتخذ لنفسه طريقة جديدة جمع فيها بين طريقتيهما وزاد عليهما ما زاد مما ذكرناه

وعلى هذا يسوغ ان يقال ان أبا العلاء مجدد فى كل ناحية من نواحى نثره . وهذا يحتاج الى اطالة وبسط فى ذكر الامثلة واقامة الادلة وذلك ما لم تسمح به الأيام ويسعف به المقام

ولو أتيح لهذه الأمة أن تظفر بكل ما تركه المعرى من الآثار العلمية لوجدت فيه علما جما وأدبا غزيراً وشعراً وافراً . واذا سلك الانسان سبيل الحق لا يجد فى نثر المعرى شيئا مما يعاب به الا السجع المتكلف الذى كان مرغوبا فيه فى عصره مرغوبا عنه فى هذا العصر ، وما عدا ذلك فكله آية فى الروعة غاية فى الاجادة والافادة ، ولا بد للحسناء من ذام ، وقلما سلم جواد من كبوة ، وسيف من نبوة ، وانما الـكمال لله وحده !

سليم الجندى

فلسفة التشاؤم بين المعرى وشوبنهور

بقلم الاستاذ على أدهم

حاول شوبنهور وابو العلاء القضاء على الاوهام وتبديد الأكاذيب ورفع الستار عن خدعة الحياة . وهما من هذه الناحية يمثلان جرأة الفكر فى أروع مظاهرها .

بين أبى العلاء شاعر المعرة الفذ وحكيمها الأوحد وارثر شوبنهور فيلسوف فرانكفورت الكبير ، الكثير من وجوه الشبه وأواصر القربى ، على تباعد الزمن واختلاف المكان وتباين الأصول . وهما يتقاربان فى اتجاه التفكير ولون المزاج واساوب الحياة ، وان كان بينهما تفاوت بعيد فى منهج البحث والقدرة على ضبط النفس وكبح اهوائها ، وكلاهما يلمح الكون بناظر المتسخط المتبرم ويرى الأشياء فى ظلال قاتمة من التشاؤم والاكتئاب ، وينتهى به الأمر الى رفض الحياة رفضا باتا لاقترانها بالألم وامتزاجها بالشر واقفارها من المسرات ، ويرى ايثار العدم المطلق والفناء التام على الوجود والكينونة . وشوبنهور لا يرى فى الانتحار كبير بأس ، ويحاول تفنيد آراء من يعيبونه ، ويبشر بالزهد ويدعو الى مقاومة الرغبة فى الحياة والتعلق بها والحرص عليها ، وابو العلاء يدعو الى هذا المذهب ويقول فى ايثار العدم على الوجود

وأرحت أولادى فهم فى نعمة العـــدم التى فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شدة   ترميهم فى متلفات هواجل

ويقول :

خير لآدم والخلق الذى خرجوا   من ظهره أن يكونوا قبل ماخلقوا

والعدم عند المعرى ـ وكذلك عند شوبنهور ـ طريق الخلاص

وما لنفسى خلاص من نوائبها   ولا لغيرى إلا الكون فى العدم

وما دام العدم خيراً من الوجود وأرجح وزنا فالنسل إذن جناية . وقد أغراه ايثاره العـــدم واعتباره النسل جناية بأن يوصى بأن يكتب على قبره

هذا جناه أبى على   وما جنيت على أحد

وقد عاش شوبنهور كما عاش المعرى أعزب من غير نسل ولا زواج ولم يكن ينتظر من

شوبنهور الذى يقول عن الحياة « انها جحيم يفوق جحيم دانق » أن يقذف الى هذا الجحيم المتسعر بأولاده وذراريه ليعانوا آلام الحياة التى يعرفها بأنها لحظة قصيرة بين ابديتين

ويقرر ابو العلاء أنه يجهل حكمة الوجود ويقول :

خلقنا لشيء غير باد وانما نعيش قليلا ثم يدركنا الهلك

أما شوبنهور فانه يقول : « اذا لم يكن الشقاء هو غرض الحياة وغايتها فانى أستطيع ان أؤكد ان وجودنا فى الحياة انأى الاشياء عن الغرض والقصد ، لأنه من السخف أن نظن أن الحزن غير المحدود الذى يغشى الدنيا ويغمر الحياة والذى ينشأ من شجون ورزايا متصلة أشد اتصال بجوهر الحياة « هو بلا غرض ومجرد حادث عرضى » وواضح من ذلك ان الشقاء عند شوبنهور هو « غاية الحياة » و « حكمة الوجود » ، وابو العلاء يرى الشقاء من واجبات الحياة

قالت لى النفس انى فى أدى وقذى فقلت صبراً وتسليما « كذا يجب »

ويقول شوبنهور « الدنيا لا تسر انسانا وكل منا ينفق جهده ويمضى حياته فى طلب السعادة التى لاينالها واذا ظفر بها وجدها وهما من الاوهام وانما القاعدة أن الانسان لايصل المرفأ إلا بعد أن يتحطم زورقه ويسقط شراعه» وابو العلاء يجاريه فى هذا المضمار ويقول :

ودنياك ليست للسرور معدة فمن ناله من أهلها فهو سارق

وبؤس الانسان عند أبى العلاء لا يبدأ بمولده وانما يسبق ذلك لأنه يلحقه عند انبعاث الروح فى النطفة

وما برح ألانسان في البؤس مذجرت به الروح لامذ زال عن رأسه الفرس

ولعل الموت أهون مصائب الحياة وقعا

مصائب هذه الدنيا كثير وأيسرها على الفطن الحمام

وكلا الرجلين سيء الظن بالطبيعة الانسانية شديد الازدراء لها بارع فى الكشف عن عيوبها ومساوئها واحصاء نقائصها ومثالبها . ومن أقوال شوبنهور فى ذلك « سلوك الانسان نحو الانسان يتميز على الدوام بالقسوة البالغة والغلظة الصماء والافراط فى الجفوة والامعان فى الاجحاف ومجاوزة الحد فى التنطع وخلاف ذلك هو المستثنى » وابو العلاء يطيل الضرب على هذه النغمة ويفتن فيها كل الافتنان فيقول :

وكلنا قوم سوء لا أخص به بعض الانام ولكن اجمع الفرقا

ويقول فى تنقص الناس وتهوين قدرهم

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا لما تحصل شيء فى الغرابيل

وهو يعلل لؤم الانسان وخسته وحقارته بفساد الأصل والتواء الغريزة

تفرع الناس عن أصل به درن فالعالمون اذا ميزتهم شرع

ويرى شوبنهور أن المجتمع قائم على الخديعة والزيف ، وبين جنبي كل انسان تقيم أنانية ضخمة غلابة تجتاح حدود الحق وتكتسح أسوار العدل فى حرية تامة وفى غير تردد . ونشاهد ذلك فى صورة مصغرة فى حياتنا اليومية ونراه فى صورة مكبرة فى كل صفحة من صفحات التاريخ ، ويشد من أزر هذه الأنانية فى كل صدر نبع من الكراهة والحقد والضغينة والخبث ، فياض الموارد متوثب العباب ، كالسم الناقع فى أنياب الرقطاء تنتظر الفرصة المناسبة لتنفثه ، وفى قلب كل انسان يرقد حيوان مستوحش شديد الضراوة ينتظر فريسته ليزلزل زلزاله ويثير زوابعه

وابو العلاء يقدم لنا صورة للانسانية لا تقل سواداً عن هذه الصورة فيقول :

بنى حواء كيف الامن منكم ولم يؤهل بغير الحقد روع

وابو العلاء وشوبنهور كلاهما يائس من الاصلاح منكر للتقدم ، ويرى ابو العلاء أن عمل الانبياء والحكماء والواعظين لم يأت بالثمرة المرجوة ولم يصرف الناس عن الشر

وقد فارق الحكماء الدنيا وفى نفوسهم حسرة من فشل مساعيهم وذهاب جهودهم أدراج الرياح

وكان شوبنهور يخالف معاصريه من الفلاسفة فى النظر الى التاريخ . ولا يرى للدراسة التاريخية شأنا يذكر ، والتاريخ عنده هو حلم الانسانية الثقيل ، ومن العبث أن نبحث فيه عن خطة أبدية مرسومة أو تدبير حكيم أو غاية معقولة متوخاة

وفى تعليلهما لليأس من الاصلاح وتهذيب النفوس والسمو بالطبائع نلمس صميم فلسفتيهما ، فالمعرى يعلل ذلك بغلبة الاهواء والمطامع والشهوات وعجز العقل عن كبحها فيقول :

وقد غلب الاحياء فى كل وجهة هواهم وان كانوا غطارفة غلبا

ويذهب شوبنهور الى أن ظواهر المعرفة جميعها وضروب المشاهدة بأسرها انما هى فكرة متمثلة لنا ، أو بلفظ آخر ان كل ما نشاهده ونعرفه كله من نتاج أذهاننا وثمرة عقولنا ، فليس فى خارج ذواتنا دنيا بمختلف مرائيها ومتباين مظاهرها ملائمة لتصوراتنا ومطابقة لما ارتسم فى أذهاننا ، والدنيا المعروفة من صوغ عقولنا وتلفيق أذهاننا وليس لها كيان إلا فى تلك العقول ، فهى مجرد صورة ومظهر من مظاهر الوعى . وهى بهذه المثابة من معدن الاحلام وصميم الأوهام، ولكن وراء هذه الدنيا المتوهمة البادية للعيان دنياحقيقيه خافية هى ما يسميه شوبنهور « الارادة »

وهذه الارادة تحقق نفسها وتؤكد وجودها فى قوى الطبيعة المختلفة فهى تطلع فى النبات ، وجهد وكفاح فى الحيوان ، والدنيا جميعها بأجواز فضائها وأطباق ثراها وما فيها من مظاهر التغير والنماء والتحول هى مظهر الارادة ، وهذه الارادة لا يصحبها العقل ليكف جماحها ويسدد خطواتها ، وانما هى سابقة له ومتقدمة عليه ، بل هى التى توجده ايجاداً وتخلقه خلقا ، فالارادة العمياء هى التى انشأت الدنيا بشتى مظاهرها ، وهى الأصل والجوهر والحقيقة التى تنعكس عنها

ظلال المظاهر وتنبعث منها صور المرئيات ، وليس فى مقدورنا اكتشاف كنه هذه الارادة والخلوص الى سرها ، لان الاشياء التى تدخل فى نطاق معرفتنا ليست من صميم الحقيقة وانما هى مظهر خادع وصورة زائفة ، فالوجود حلم والشخصية وهم ، والحياة تضرب وشائجها فى اعماق « ارادة الحياة » ، وارادة الحياة هذه رغبة ملحة فى الوجود وجرى لا ينقطع وراء اللبانات والاهواء وحرص شديد على الاستمتاع ، ولكن الاستجابة لمطالب هذه الشهوات التى لاترتوى غلتها ولا تشبع غرتها تنشأ من الحاجة ، والحاجة مصدرها الالم ، ومنشأ كل ذلك الوهم والخداع ولولا هذا الوهم ما وجدت الحياة ، والحياة شقاء لان الحياة معناها الرغبة والارادة ، والرغبة صنو الألم ، فالحياة إذن هى الألم ، وليس الانسان وحده هو الغارق فى الشقاء وانما تشاركه فى ذلك الكائنات جميعها ، وليست الدنيا وحدها وادى الدموع ومستراد الاحزان ، وانما جميع الدنى مقضى عليها بالشقاء ، والشقاء من نصيب كل حشرة تدب وكل سائمة ترعى ولا يتقى وقعه السمك الذى يسبح فى البحر والطير الذى يحلق فى الجو ، وهو يتابع الانسان فى مراحل العمر جميعها وادوار الحياة من المهد الى اللحد ، وعلى اختلاف الطبقات من الصعلوك المتسول الى رب التاج وحامل الصولجان ، والاجيال العابرة والاجيال اللاحقة ، فلا سعادة ولا راحة ولا امن ولا سلام

وما يسميه شوبنهور « ارادة الحياة » يسميه ابو العلاء « حب الحياة » وقد أدرك ابو العلاء سوء اثره فى خداع النفس وترغيبها فى الحياة على ما بها من فادح الآلام وكثير الرزايا :

وحب العيش أعبد كل حر وعلم ساغبا أكل المرار

ويسمى الدنيا « ام دفر » وهى كنية العرب عن المصائب والآلام ويقول عنها :

أبى القلب إلا ام دفر كما أبى سوى ام عمرو موجع القلب هائم

ولو لم يكن حب الحياة هذا غريزة فينا آخذة باكظامنا لبدت لنا عيوب الحياة وأدركنا خداعها وشعرنا بتفاهتها :

ولو لم يكن فيناهواها غريزة لكان اذا جر المهالك يترك

وهو يصاحب الانسان فى مراحل العمر جميعها :

تعلق دنياه قبل الفطام وما زال يدأب حتى خرف

وهذا الحب الشديد للحياة والتعلق باسبابها هو الذى يجعلنا نخاف الموت :

والنفس آلفة الحياة فدمعها يجرى لذكر فراقها منهله

ولا يخدع ابو العلاء فى المتظاهرين بالزهد فى الحياة وهم يضمرون حبها :

ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا شهيد بأن القلب يضمر عشقها

وقد يذمها الانسان جهراً وهو يضمر خلاف ما يبدى مع مايناله من خطوبها واهوالها :

فتخرجه غما وتوسعه أذى وان ذمها جهراً اسرلها عشقا

والعطف على الغير عند شوبنهور هو قوام الفضائل ومساك الآداب ، وذلك لأنه لما كانت الارادة هى أصل كل شىء وجوهره فان هناك إذن وحدة وراء تلك المظاهر المتباينة ، ويستطيع الانسان أن يتعرف نفسه ويستشف جوهر ذاتيته فى مرآة الدنيا ، ويدرك الوحدة الحقيقية والصلة الخفية بينه وبين الغير ، وهذا هو أساس الاخلاق وقواعد السلوك لأن الانسان عند ما يستشعر هذه العلاقة ينشأ فى نفسه العطف وهو مصدر السلوك الاخلاقى ، وهذا العطف يجعلنا نحسن معاملة الغير ونعرض عن الاساءة اليه لاننا اذا اسأنا الى أحد فكأننا فى الواقع نسىء الى أنفسنا ، والفضيلة هي أن نعتبر ألم الغير ألمنا ونعمل على دفعه اذا استطعنا ذلك أو نلطف حدته ونهون وقعه اذا عجزنا عن رد غائلته

والمرثية لآلام الغير والعطف على البشرية يلعبان دوراً كبيراً فى فلسفة أبى العلاء ، وكان يرى أن من أسباب شقائه عجزه عن الأخذ بناصر الغير :

أنا الشقى بأنى لا أطيق لكم معونة وصروف الدهر تحتبس

وكان شديد الرفق بالحيوان كثير الرحمة له ، والحيوان عنده كالانسان فى تعلقه بالحياة وخشيته الموت

أرى حيوان الارض يرهب حتفه ويفزعه رعد ويطمعه برق
فيا طائر أيمنى ويا ظبي لا تخف شذاى فما بينى وبينكما فرق

ويوصى بالتصدق على الطير :

تصدق على الطير الغوادى بشربة من الماء واعددها أحق من الأنس

والطريقة المثلى عند شوبنهور للخلاص من آلام الحياة وهمومها هى مقاومة الارادة وقهرها واستئصال المطامع والشهوات والتزام العفة التامة وممارسة الزهد والانتهاء الى حالة من الهدوء والاستقرار تشبه مايسميه البوذيون «النرفانة» . واسمى الواجبات الاخلاقية عند شوبنهور هو أن يلقى الانسان سلاحه ويطلق آماله وينسحب من ميدان العمل ومعترك الحياة ، وليس الابطال عند شوبنهور هم الرجال من طراز نابليون والاسكندر وقيصر ، وانما الابطال عنده هم القديسون والنساك الذين قمعوا اهواءهم وقهروا نفوسهم وقد هزم نابليون الجيوش وثل العروش ولكنه لم يستطع أن يتغلب على نفسه ويهزم شهواته

وابو العلاء مثل شوبنهور يرى فى الزهد طريق الخلاص من متاعب الحياة واهوالها ويقرن السعادة بالزهد :

واسعد الناس بالدنيا أخو زهد نافى بنيها ونادوا إذ مضى درجا

ولما كانت المرأة هى التى تفتن ألباب الرجال وتأسر قلوبهم وتوحى الى نفوسهم الحب وتغمرها بالأمل والاستبشار ، وهى الامينة على النسل والوسيلة الاكيدة التى تتخذها الحياة لتأييد النوع

لذلك عرف المتشائمون شدة خطرها على قضيتهم وناصبوها العداء وغالوا فى ذمها ، والمرأة فى رأى شوبنهور بسبب ضعف عقلها تساهم بنصيب قليل فى المزايا والمساوىء التى يجلبها التفكير ، وهى قصيرة النظر محدودة الأفق ، وتحاول على الدوام الوصول الى عرضها من أقرب السبل وبأهون الوسائل ، وهى تعيش فى الحاضر ولا تلتفت الى الماضي ولا تتطلع الى المستقبل ، ومن ثم ميلها الى التبذير والاسراف الذى يكاد يبلغ الجنون فى بعض الأحيان ، والمرأة أكثر عطفا من الرجل ولكنها تتخلف عنه فى تحرى العدالة والاستمساك بالامانة ويقظة الضمير ، وذلك لأن الواقع المحسوس هو الذى يؤثر فيها وليس للافكار المجردة سلطان عليها ، وهى مضطرة بسبب ضعفها أن تلجأ الى المكر والخيانة وتركن الى الكذب والرياء وقد زودتها الطبيعة بسلاح الخداع كما زودت الاسود بالمخالب والأنياب ، والمرأة تعيش للنوع أكثر مما تعيش للفرد ومصلحة النوع عندها أعظم شأنا وأجل خطراً من مصلحة الفرد ، وهذا هو سبب الخلافات الزوجية ، ويتطرف شوبنهور وينكر على المرأة الجمال ويعزو تصورنا لجمالها الى الغريزة الجنسية التى تخدعنا وتغطى على بصرنا حتى نرى حسنا ماليس بالحسن ، والمرأة بطبيعتها عامية ولا علاج لعاميتها ومن ثم قلة نبوغها فى الفنون والعلوم ، وقد كان اوتوفينجر مؤلف كتاب « الجنس والأخلاق » الذى يتضمن أشد حملة وجهت الى النساء من تلامذة شوبنهور ، ورأى ابى العلاء فى المرأة لا يقل قبحا وسوءاً عن رأى شوبنهور وأشد ما يوصى به أبو العلاء فى مسألة المرأة هو تنحيتها عن الحياة العامة

وسوء رأيه هذا من الاسباب التى جعلته يعرض عن الزواج لأن الرجل مضطر فيه الى المشاركة :

ترجى عندها وصلا ... رويدا انها عارك
تخون الاول المهد ... لخل العرس أو شارك

وشوبنهور أحد فلاسفة ما وراء الطبيعة القلائل الذين يستطيع الانسان أن يفهم الكثير من دخائل فلسفتهم دون الرجوع الى مستفيض الشروح أو الاستعانة بضافى المقدمات ، وفلسفته أشبه بقطر من الاقطار واضح المسالك بادى المعالم بحيث تستطيع ان تجوس خلاله وتطوف ارجاءه وأنت فى غير حاجة الى الرواد والأدلاء ودون ان تضل الطريق وتبعد عن الغاية ، ولعل السبب فى ذلك ان نظرياته مستمدة مباشرة من حقائق الحياة الواقعة وقائمة فى الكثير على التجارب والمشاهدات وهو فى كتاباته دائم النصح لقرائه بالعودة الى التجربة والاتصال بالحياة ، وقد أفاضت هذه الصفة على أسلوبه مسحة أدبية واكسبته مناعة وقوة وحيوية قل ان تراها فى كتابات الفلاسفة وبخاصة اضرابه فى الفلسفة الالمانية ، وقد كان للتجارب أثر كبير فى تكوين عاداته الفكرية وصقل ملكاته الى جانب العوامل الوراثية ، فقد عرف شوبنهور الدنيا قبل ان يعرف الكتب وسافر اسفاراً كثيرة مع والديه ، ولما اقبل بعد ذلك على الدراسة وأكب على الكتب كان يقصد الفلسفة للاهتداء الى الحق ، لا ليعيش منها ويتكسب بها . ولما حاول النقادة الألمانى « ويلاند » أن يلنى

حزمه عن متابعة دراسة الفلسفة قال له كلمته المشهورة وهى : « ان الحياة معضلة وقد انتويت ان أقضى حياتى فى معالجة حلها » ، والمامه بالحقائق الواقعة قبل تكوينه الافكار جعله محبا للوضوح كارها للغموض والالتواء حتى قال عنه أحد الكتاب الفرنسيين : « ليس هو فيلسوفا كالآخرين وانما هو فيلسوف قد رأى الدنيا » وشوبنهور بأسلوبه الرائع وتفكيره الجلى أقرب الفلاسفة الى الادباء والكتاب والشعراء ، وأبو العلاء شاعر كبير ولكنه رجل تفكير يسخر أسلوبه لأفكاره ويستعمل خياله لتوضيح ارائه في شتي الأمور ، وله فى مختلف المسائل أفكار محددة ونظرات معروفة لا ينى يعيدها فى صور مختلفة وقوالب جديدة ويكر عليها بالشرح والافاضة ويدعمها بناهض الأدلة وصادق الشواهد وهو يتخير الفاظه ويفصلها على قدود معانيه بلا تزيد ولا تجميل ويصطنع فى حواره المنطق والاثبات ، وقد حاول ان يحيط بأطراف العلوم ونواحى المعرفة وأن يعلل ظواهر الطبيعة ويحلل عناصر المجتمع ويكشف عن اصول الاخلاق ويفسر حقائق التاريخ ويتناول المذاهب والعقائد ، وان يتحدث فى شعره عن قدم المادة وعن الجسد والروح وعن المكان والزمان وان يبدى أراءه فى السياسة ، وقد وصف هذه المحاولات جميعها فى قوله :

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة   من الفكر الا وارتقيت هضابها

وهو بنظرته الشاملة وتناوله لاطراف المعرفة الانسانية أقرب الشعراء الى الفلاسفة كما كان شوبنهور أقرب الفلاسفة الى الشعراء ، وقد كانت اخلاقهما على النقيض وكلاهما استرعى النظر بشخصيته وكتاباته . وكلاهما كانت أخلاقه لا تلائم الوسط الذى يعيش فيه . فشوبنهور كان صعب المعاشرة ولذا لم يكن له صديق طول حياته ، وكان ابو العلاء أسوأ ظنا بالناس من ان يتخذ له صديقا او يثق بأحد ، على أن شوبنهور كان جم الكبرياء بعيد الادعاء ، وكان أقل انتقاص لادعائه الواسع وغروره الفياض وبخاصة فى أعوامه الأخيرة يستثير سخطه ويشعل غضبه ، وكان كلاهما يحب الحق ويخلص له ، ولكن شوبنهور كان متحرقا على الشهرة ، أما ابو العلاء فلعله ظفر من الاعجاب والشهرة بما أبشمه ، وكان أبو العلاء فطنا لمواطن السخرية ومواقع الفكاهة فى الحياة وكذلك كان شوبنهور . ولكنى أرجح ان حاسة الفكاهة والسخرية فى أبى العلاء كانت أقوى وأكثر تأصلا . ونقص الفكاهة فى شوبنهور هو الذى كان يغريه بالتورط فى تلك الشتائم المضحكة التى يكيلها فى كتبه لأضرابه من كبار الفلاسفة الالمان المعاصرين له ، وفطنة الانسان للجانب المضحك فى الحياة هى التى تحميه من مثل هذا التورط وتمنعه من امتداح نفسه والمغالاة بقدرته . وكان شوبنهور شديد العناية بنفسه يفر من الامراض المعدية ويخشى الحريق فلا يقيم الا فى أول طابق ، ونوادره فى الحرص على نفسه وما يملك كثيرة معروفة ، أما ابو العلاء فقد ألقى سلاحه والتزم الزهد وقهر الشهوة ، وكان يلبس غليظ الثياب ويتخفف من الزاد فلا يتناول الا ما يقيم اوده ويمسك عليه رمقه ، وآثر ضيق اليد على ابتذال الكرامة وإراقة ماء الوجه فى طلب

الرزق وتحصيل المال وانف ان يسلك سلوك الشعراء فى الشرق واستكبر على الاتجار بالشعر والتكسب به وعاش نافضا غبار الدنيا عن قدميه وضرب بذلك للعالم مثلا قليل النظير من المطابقة بين مرامى التفكير وأسلوب الحياة قصر عنه كبار المصلحين وعظماء الدعاة

وقد يبدو لنا ان نعيب على أبى العلاء وشوبنهور امعانهما فى التشاؤم ومبالغتهما فى ذم الحياة ولكن علينا ان نعرف قبل الاقدام على ذلك أنه لا يوجد فى الحياة اشد ظمأ وأعظم نهما من الروح الانسانية فهل هى تلقى فى هذه الدنيا ما يبل غليلها ويهدىء قرمها ؟ أليس هناك تناقض مستمر بين مطالب القلب وحقائق الحياة والتجارب ؟ ان الدنيا قد تقنع القلوب الضئيلة والنفوس الصغيرة ، أما القلوب الطموحة والنفوس الراغبة المتطلعة فهى فى تعب مستمر واهتياج دائم . ومن الصعب على القلب ان يحمل على الدوام هذا التناقض الذى لا ينتهى بين نفسه وبين الحياة وان يظل طالبا دون ان يحظى بسؤله وحالما دون أن يتحقق حلمه

وقد حاول شوبنهاور وأبو العلاء ان يعرفا سر الخليقة ومغيبات الحياة وعجائب المصير وهى محاولة عظيمة ونزعة جبارة ،وربما كانت قوانا العقلية أقصر خطوا من أن تسلك هذا المدى الواسع وتقيس هذه الابعاد غير المتناهية لتنظر الى الحياة نظرة كلية شاملة ، وربما كان ما لدينا من الحقائق غير كاف لتكوين الاراء النهائية عن الكون والحياة . والاراء التى نصل اليها هى بالضرورة وبحكم موقفنا اراء جزئية ومجرد توهمات وظنون عن غير المكشوف ، قد تأثرنا فى تكوينها وبنائها بمؤثرات بيئتنا المحدودة وعالمنا الصغير . ولئن كان ابو العلاء وشوبنهور لا يشاركان الانسانية فى نوازعها السامية وطموحها العظيم ويصدران أحكاما من نظرة محدودة وزاوية ضيقة فانهما مع ذلك مفكران مخلصان يوحيان الفكر ويمتعان الادب ، الاول بشعره الحافل والثانى بفلسفته المحكمة البناء ، وإذا أهملنا حكمة أبى العلاء وفلسفة شوبنهور فاننا لا نفهم جزءاً كبيراً من قصة الحياة ولا نعى درسا نافعا من دروسها . ويرى بعض المفكرين ان فن الحياة يستلزم شيئا من المساومة وان يعير الانسان عقله مؤقتا للاوهام ويغالط فى الحقائق نفسه ، ولكن ابا العلاء وشوبنهور لا يتصوران الحياة على تلك الصورة بل يريان ضرورة القضاء على الاوهام وتبديد الاكاذيب ورفع الستار عن حدعة العيش ، وهما على ما فى نظرتهما الى الدنيا من تجهم واكتئاب ليسا من الضعفاء فاقدى الرحولة فقد عاش شوبنهور كالمجاهد الذى يحمل السيف والرمح ، وتلقى ابو العلاء الحياة بصبر الحكيم وقناعة الراهد وشجاعة اليائس

على أدهم

المعرى : أشاعر أم فيلسوف

(بقية المنشور على صفحة ٨٥٠)

يعربوا به عن فلسفتهم من الالفاظ . وقد انتهى بول فاليرى الى اثبات أن الفلاسفة آخر الأمر ليسوا إلا جماعة من أصحاب الفن هم كالشعراء والمثالين والمصورين يرون الطبيعة والحياة والكون على نحوما ، ثم يظهرون ما رأوا فى هذا البناء الفلسفى الجميل الذى يهدى الينا اللذة والمتاع

ومن الأدلة القاطعة عنده على صحة هذا الرأى أننا ما زلنا وسنظل نقرأ افلاطون وليبنتز وسبينوزا فنجد فى قراءتهم لذة ومتاعا لا يرتقى اليهما الشك ، ومع ذلك فما أكثر ما بطل من فلسفة هؤلاء الفلاسفة وما أقل ما بقى منها . فما مصدر هذه اللذة التى نجدها فى أشياء نعلم أن الفلسفة الحديثة والعلم الحديث قد قضيا عليها قضاء أخيراً . أليس هناك شبه بين هذه اللذة وبين اللذة التى نجدها عند ما تقرأ هوميروس أو فرجيل أو دانت ، أى أليس هنالك شبه بين اللذة التى نجدها حين نقرأ الفلاسفة ، واللذة التى نجدها حين نقرأ الشعراء ، بل لا شك فى أن هاتين اللذتين متقاربتان أشد التقارب ، وهما متقاربتان لأن فى الفلاسفة حظا من الشعر ، أو لأن فى الشعراء حظا من الفلسفة ، أو لأن فى أولئك وهؤلاء حظا مشتركا من الفن هو الذى يمنحنا هذه اللذة

وقد فكرت فى أبى العلاء حين كنت اقرأ هذا الفصل كما فكرت فى لوكريس وكما فكرت فى أفلاطون . كلهم شاعر وان كان ثالثهم لم يتخذ النظم وسيلة إلى اعلان شعره . كلهم شاعر وكلهم فيلسوف وكلهم يستطيع أن يعجبنا ويمتعنا بهذا المزاج الرائع الذى يلذ قلوبنا وعقولنا

فمن قال أن أبا العلاء شاعر فهو لم يخطىء الحق ، فشاعرية أبى العلاء لا شك فيها ، ولعلها قد قصرت من بعض النواحى عن شاعرية أبى تمام وأصحابه من المبصرين ، ولكنها قد تفوقت من بعض النواحى على شاعرية هؤلاء المبصرين لانها تعمقت من الحقائق ما لم يتعمقوا ، وسمت من الحكمة إلى ما لم يسموا اليه . ومن قال أن أبا العلاء فيلسوف لم يخطىء الحق أيضا فقد رأيت أن الرجل قد شارك الفلاسفة فى فلسفتهم ، ولعله قد قصر عما وصل اليه ابن سينا أو الفارابى من تعمق بعض النظريات ومن اقامته المذاهب المنسقة المنظمة المضطردة التى لا يفسدها الاضطراب والاختلاف ، ولكنه قد تفوق على هؤلاء الفلاسفة لأنه استنزل الفلسفة من معقلها وأحياها فى البيئة التى يعيش فيها الناس ، وجعلها انسانية لا تبلغ العقول وحدها ولكنها تبلغ القلوب فتشيع فيها الحب والرحمة والحنان ، كما تشيع فيها السخط والثورة والغضب ، ولكنه سخط لا ينتهى إلى البغض ، وثورة لاتنتهى الى الحقد ، وغضب لا ينتهى الى افساد ما بين الناس من الصلات

أبو العلاء شاعر فى فلسفته وفيلسوف في شعره قد جمل الفلسفة بما اسبغ عليها من الفن ،

ومنح الشعر وقارا ورزانة بما أشاع فيه من الفلسفة ، وهو من هذه الناحية فذ فى أدبنا العربى كما قلت الف مرة وكما سأقول الف مرة أيضا

على أن هناك ناحية أشرت اليها منذ حين لم تدرس كما ينبغى من فلسفة أبى العلاء وفنه معا ، وهى خليقة بالدرس وخليقة بالاعجاب ولها خطرها فى تصوير نفسية هذا الشاعر الفيلسوف ، فلم يملك أحد امر اللغة العربية كما ملكه أبو العلاء ، ولم يفرغ أحد للغة العربية كما فرغ لها أبو العلاء ، ولم يتحكم أحد فى الفاظ اللغة العربية كما تحكم فيها أبو العلاء . أنفق صباه وشبابه فى الدرس والتحصيل والمشاركة فى الحياة الادبية على نحو ما كان يفعل المثقفون الممتازون فى عصره ، ثم كانت المحنة واضطر الى العزلة ولزم داره وأصبح رهين المحبسين أو رهين المحابس الثلاثة ، رهين داره ورهين جسمه ورهين هذه الآفة التى حالت بينه وبين النظر الى الطبيعة وما يضطرب فيها من الكائنات . فعكف على نفسه ونظر فيها ، فماذا وجد ؟ وجد معانى لا تكاد تحصى قد حصلها أثناء الدرس وما زال يحصلها بعد العزلة ، ووجد الفاظا قد اجتمعت له من درسه اللغوى وكان حظه من هذه الثروة اللفظية عظيما ، ثم نظر فاذا هو مضطر الى ان ينفق حياته بين هذه المعانى وهذه الالفاظ لايستطيع أن يفلت منها ولا ان يخلص من الحاحها عليه . إذا نظر فى المعانى اضطربت اراؤه وثارت فى نفسه العواطف المتناقضة والاهواء المتضاربة وإذا نظر فى الألفاظ أخذه الاعجاب بكثرة ما وعى منها . فهو إذن مضطر إلى أن يقاوم هذه المعانى وإلى أن يقاوم هذه الألفاظ وإلى أن يحول بينها وبين أن تتحكم فيه . وسبيله إلى ذلك أن يتحكم فيها هو وان ينفق حياته مزاوجا بين تلك المعانى وهذه الألفاظ ، وكذلك فعل . فأنت لا تراه إلا عابثا بالمعانى وعابثا بالألفاظ ، يلائم بين المعنى والمعنى ، ويخالف بين المعنى والمعنى ، كما يلائم ويخالف بين الالفاظ ، وكما يلائم ويخالف بين الالفاظ والمعانى . وانك لتقرأ ما بقى لنا من آثاره فلا تكاد تدفع عن نفسك الشعور بأن هذا الرجل قد خلى بينه وبين المعانى والألفاظ فهو يلعب بها ويتلهى بهذا اللعب لأنه لا يجد شيئا آخر ينفق فيه وقته وجهده

وعلى هذا النحو تستطيع أن تفهم هذه الخطة العنيفة التى فرضها على نفسه فى « اللزوميات » فأخذ نفسه بالتزام مالا يلزم فى القافية ، كما أخذ نفسه بالتزام مالا يلزم من النظم على جميع حروف المعجم . وعلى هذا النحو أيضا تستطيع أن تفهم « الفصول والغايات » . فقد فرض على نفسه فى النثر شيئا قريبا جداً مما فرض على نفسه فى الشعر ، فهو يضع فصوله هذه الكثيرة يلتزم السجع فى كثير منها ولكنه يجعل لكل فصل منها غاية ، ويلتزم فى هذه الغاية هذا السجع ، ويأبى الا أن يقيم هذه الغايات على حروف المعجم كلها كما أقام اللزوميات على حروف المعجم كلها

وعلى هذا النحو تستطيع أن تفهم هذه القصة اليسيرة الطريفة التى عرض لها فى رسالة الغفران حين ذكر قصة خلف الاحمر مع أصحابه وقد سألهم عن بيتى النمر بن تولب :

ألم بصحبتي وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى اذا شاءت وحواري بسمن

فسألهم ما عسى أن تكون قافية البيت الثانى لو أن الشاعر قال فى البيت الأول « أم حفص » فلما سكتوا قال خلف الأحمر « حوارى بلمص » . فينتهز أبو العلاء هذه الفرصة ويفرع عليها كما يقول ، ويفترض قافية البيت الأول على الهمزة ثم على الباء ثم على التاء ويمضى فى ذلك حتى يبلغ آخر المعجم وقد أتى بالألاعيب والاعاجيب وأشعرك بأنه رجل قد فرغ لهذا النحو من اللعب

لعبه بالألفاظ لا شك فيه ولعبه بالمعانى لا شك فيه أيضا . وهل رسالة الغفران إلا نحو من هذا اللعب وهل كان يستطيع أن يلعب بالالفاظ دون أن يلعب بالمعانى ؟ فلكل لفظ معناه ولا يستطيع الانسان أن يتصور المعانى المجردة التى لا ألفاظ لها ، فالمعانى ألفاظ ان شئت ، والألفاظ معانى ان أحببت ، واللاعب بهذه لاعب بتلك . وقد لعب أبو العلاء بهذه وتلك ما يقرب من نصف قرن ، وكانت نتيجة هذا اللعب ما ترك لنا من آثاره الخالدة التى جمعت بين وقار الفلسفة وجمال الفن

وخصلة أخرى لا بد من أن ألم بها قبل أن أريح القراء من هذه الثرثرة ، وهى ان أبا العلاء بحكم هذا اللعب الفنى الفلسفى أكثر الشعراء العرب حضور ارادة فى آثاره الفنية ، فهو لا يصور عن طبعه ولا يرسل نفسه ارسالا على سجيتها فيما ينظم من الشعر أويؤلف من النثر . هو لايستسلم للعاطفة ، ولا يمضى مع الهوى ، ولا يلقى قياده الى الطبع ، وانما هو مفكر دائما متخير دائما ، مريد ما يقول متعمد ما ينظم وما يكتب . هو كما يقول بول فاليرى : لا يقول الشعر والنثر وانما يعملهما ، يدعوه الى ذلك هذا اللعب الفنى الذى أشرت اليه وحرصه على التحكم فى الألفاظ والمعاني وتعمده للصناعة الفنية وتجمله بها ، وملاحظته لنفسه ونقده لفته كما تدفعه الى ذلك حاجته الى الاحتياط والتحفظ واتقاء ما عسى ان يورده موارد التهم أو يعرضه للسخط والنكير . والغريب أن هذا الرجل كان يرى أنه مجبر وأنه لا حظ له من الاختيار فى شىء فيما يأتى أو يدع حتى فى اللزوميات . وهو مع ذلك اعظم شعرائنا حظا من الاختيار وأعظمهم حظا من الارادة واعظمهم تعمداً لما يصدر عنه من المعانى والألفاظ وليس هذا هو المظهر الوحيد من مظاهر التناقض فى حياة أبى العلاء ، فقد كانت حياته العقلية كلها تناقضا كما رأيت ، ولكن هناك مظهراً آخر من مظاهر التناقض فى امر أبى العلاء كنت أحب أن اعرف رأى أبى العلاء فيه . فقد كان الرجل معتزلا زاهداً اشد الزهد فى أن يحفل الناس به أو يتحدثوا عنه ، فكيف كان يرى أبو العلاء كثرة ما يقول الناس فيه الآن وكيف يتلقى عنايتهم به واكبارهم له وهذه الجهود التى أخذوا يبذلونها فى درسه وفهمه وتفسيره وتخليد ذكره ، وكم كنت احب انأعرف رأىأبى العلاء في نظر الاجيال اليه بعد ان مات ، ولكن كيف السبيل الى ذلك ، وهل لأبى العلاء علم ببعض ما يكتب عنه او يقال فيه ؟

طه حسين

بيئة المعرى

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٥)

وكان شاعرنا على جانب عظيم من الثقافة العلمية . فقد أتيح له ان يحصل فى المعرة وحلب على أهم العلوم اللغوية والادبية والدينية . ولما بلغ العشرين تحول عن الدرس على الاساتذة الى الرحلات العلمية . فزار المكاتب المشهورة فى اللاذقيــة وحلب وانطاكية وطرابلس وسواها . وأقام في كل منها مدة تقرأ له كتب العـلم والفلسفة . وقد ظل على ذلك نحو عشر سنوات ثم استقر فى المعرة ولم يتركها الا فى رحلته البغدادية بين ٣٩٨ ـ ٤٠٠ . فتـكون مراحله الثقافية ثلاثا ـ (١) المرحلة التحضيرية فى المعرة وحلب حتى بلغ العشرين (٢) زياراته للمكاتب الـكبرى فى البلاد الشامية وذلك بين العشرين والثلاثين من عمره (٣) زيارته لدور العـلم فى بغداد بين الخامسة والثلاثين والسابعة والثلاثين

بيئته السياسية والاجتماعية

كانت المعرة على مايؤخذ من أقوال المؤرخين بلدة عامرة تشخص اليها أنظار الطامعين . وكجارتها الـكبرى حلب كانت أيام المعرى هدفا لغارات وملعبا لفتن أرهقت سكانها أيما ارهاق

وكانت الامارة الحمدانية يومئذ بين قوتين عظيمتين ـ الروم من الشمال والفاطميين من الجنوب . ولم يكن للحمدانيين بعد سيف الدولة تلك السطوة التى كانت له فاضطربت أحوالهم الداخلية . ولم يستطيعوا القضاء على مناوئيهم من الزعماء . فأنى لهم أن يقفوا فى وجه الروم والفاطميين وكل من الفريقين يقرم الى تلك الأمارة الغنية . وبين ضغط الروم وغاراتهم ، ودسائس الفاطميين واطماعهم كانت امارة حلب تذوق الامرين تشاركها فى ذلك المعرة وأكثر المدن الشمالية . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الحوادث السياسية التى تقلبت على حلب والمعرة منذ نشأة المعرى الى أيام شيخوخته كانت سلسلة من الأهوال والفتن تركت أثراً عميقا فى نفسه وبالتالى فى شعره

عاصر أبو العلاء الحمدانيين وعمالهم ورأى تطاحن هؤلاء الحكام على السعادة والمال حتى كان بعضهم لا يتورعون عن استنجاد الروم وهم فى هم على منافسيهم فى الحـكم او على الطامعين فيهم من الفاطميين ، فطما سيل الفتن وتواصلت الحروب والغارات وساد الجشع والخنق نفوس الزعماء

فى جو كهذا الجو لا ننتظر أن نرى في البـلاد أمنا واطمئنانا . فالناس يتملـكهم الذعر ، وللصالح العامة يضحى بها لأجل المطامع الخاصة . وبديهى ان تواصل الحروب والقلاقل يؤول الى ضيق العيش وانتشار الأوبئة فضلا عن ضغط الحـكام طلبا للضرائب

وأرى ملوكا لا تحوط رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس
فشأن ملوكهم عزف ونزف وأصحاب الامور ولاة خرج

ذلك ما كان يشعر به المعرى . وفى مثل هذا الجو المضطرب يشتد حرص الغنى على ماله وتشتد فى الناس الغرائز الهدامة من ظلم وغدر وبخل وتخاذل والى ذلك يشير شاعرنا فى كثير من قصائده ويقترن ذلك عادة بتراخى المبادىء الروحية واضطراب المعتقدات الدينية :

نبــذتم الأديان من خلفــكم وليس فى الحــكمة أن تنبذا
لا قاصى المصر اطعتم ولا الـ حبر ولا القس ولا الموبذا

فيؤول الأمر الى الانغماس فى الشهوات والاقبال على المحرمات . ولذا يكثر فى شعر المعرى مهاجمة الفساد الاجتماعى وخصوصا التهتك الجنسى ومعاقرة الخمر واليك بعض وصفه لأهل عصره

قد علموا أن سيحطف الشبح فاغتبقوا بالمدام واصطبحوا
ما حفظوا جارة ولا فعلوا خيرا ولا فى مكارم ربحوا

ويلقى التبعة فى هذا الفساد العام على بعض رجال الدين لانصرافهم عن الروح الى المادة وعن خدمة الناس الى مآربهم فهو ينعتهم بالرياء والجشع والشهوة وما الى ذلك من النعوت الذميمة ولعلنا نستطيع ان نختصر وصفه لبيئته السياسية الاجتماعية بقوله :

حديث فواحر وشراب خمر وقتلى يطرحون لام عمرو
ومهلك دولة وقيام أخرى كذاك الدهر أمر بعد أمر

بيئته الفكرية

قضى شاعرنا نحو النصف من عمره فى القرن الرابع الهجرى والنصف الآخر فى القرن الخامس فيكون قد عاصر الثقافة الاسلامية فى عنفوان نشاطها فى ذلك العهد كان فى العالم الاسلامى ثلاث حواضر كبرى ـ بغداد عاصمة العباسيين ، والقاهرة عاصمة الفاطميين ، وقرطبة عاصمة الاندلسيين . على ان الحركة الفكرية لم تنحصر فى هذه الحواضر الثلاث . فقد نشأ ـ كما يخبرنا التاريخ ـ دول صغرى نافست هذه الدول الكبرى فى العطف على اهل الادب والعلم . وكانت حواضرها مراكز علمية كبيرة تبذل فيها الأموال الطائلة فى سبيل العلم والعلماء . وقد حدا ذلك كثيرين الى التنقل من مدينة الى مدينة طلبا للدرس على بعض الاساتذة المشهورين او انتجاعا للعلم فى بعض المكاتب الكبرى

وفى القرن الرابع ـ وهو القرن الذى نشأ فيه شاعرنا وأتم تحصيله العلمى ـ نضجت العلوم اللغوية . فنظمت المعاجم ووضع كثير من كتب اللغة واستقرت الطريقة البيانية فى الانشاء التى يمثلها ابن العميد والصاحب والصابى والخوارزمي وبديع الزمان والثعالبى والعسكرى وسواهم . وفيه بلغت العلوم الدخيلة من طبية وفلسفية ورياضية وطبيعية ، أوجها ويكفى أن نذكر من رجالها السابقين واللاحقين الفارابى والرازى ، وابن سينا واخوان الصفا ، عدا من نبغ منهم فى بلاد الاندلس . ومثل ذلك يقال فى التاريخ فقد بلغ فى عهد المعرى شوطا بعيداً من التقدم . ويكفى للتمثيل ان نذكر المسعودى والاصفهانى ومسكويه وابن النديم ، عدا من سبقهم من اهل القرن الثالث كالطبرى واليعقوبى واضرابهما . وكذلك علم الكلام الذى بلغ أوجه فى الغزالى (ولد بعد

سنة من موت المعرى) ونشير اشارة خاصة الى المذاهب المتنازعة من خزرج وشيعة ، ومعتزلة ، واشعرية وصوفية . فقد كانت على أشدها فى عهد المعرى وما قبله

تلك هى التربة الفكرية التى انبتت لنا المعرى . تكاثر دور العلم فى شتى الحواضر الاسلامية ـ تنظيم المعاجم والقواعد اللغوية ـ سيادة التأنق البديعى فى الانشاء ـ التوسع فى المباحث الفلسفية والطبيعية ـ واشتداد التنازع بين المذاهب الكلامية

وكيف التفت الى حياة شاعرنا وأدبه تجد أثر هذه البيئة ظاهراً فيها للعيان فهو من حيث اللغة لغوى واسع الاطلاع ولوع باستعمال الغرائب اللفظية . وهو فى مضمار الاناقة البيانية منشىء قدير يتكلف السجع والبديع أحيانا ولو أداه ذلك الى الغموض كقوله فى أحدهم :

كبرت فاصبحت للراشدين كبرت يعد لهدى دليلا
كبرت فما زال هذا الزمان كبرت يجذ قليلا قليلا

ومثل هذا التكلف كثير جداً فى نثره وشعره ، فلا جرم إذا جاء قسم كبير منه مبهما يعسر فهمه حتى على أهل الأدب ولو دققنا فى أسباب عسره وملل النفس أحيانا منه لوجدناها فى تكلفه ما كان يتكلفه أهل زمانه من محسنات بديعية ، واشارات تاريخية أو لغوية ، وأوابد لفظية

وتظهر فى أدب المعرى ثقافة عصره العلمية بما يعكسه لنا من معرفة الافلاك وطبائع الاشياء والاحياء وأدوات العلوم المختلفة ومصطلحاتها مما يشف عن أدب شامل واطلاع واسع

على أن اهم ما ينعكس من بيئته الفكرية نظره الفلسفى فى الوجود ونقده الشديد للانسان والمجتمع ، ولا نشك ان المعرى ولد وفيه ميل الى التفكير وان أحواله الجسدية قد أرهفت هذا الميل فيه على ان ذلك لم ينضج فيه إلا مع الزمان فقد كان فى صباه وأيام شبابه لا يختلف كثيراً عن معاصريه ـ كان مع تفكيره راغبا فى الحياة مجاريا سواه فى موكبها العام ، وكان متمسكا بالدين يناضل عنه ويهاجم الدهريين . ولكنه لم يكد يبلغ الخامسة والثلاثين حتى نرى فى شعره مرارة غير عادية ـ ثم نراه فى السابعة والثلاثين قد اتخذ لنفسه طريقا جديداً فى الحياة ، فأصبح متقشفا ـ ظاهر النقمة ، لا ثقة له بالانسان ولا بما سنه من شرائع ولم يبق من آثار شبابه الفكرية الا تسليم عام بوجود اله قادر وقضاء قاهر

نشأ شاعرنا مثاليا على أن بيئته حولت تلك المثالية فيه الى تشاؤم عميق صبغ شعره بلون اسود قاتم . فما للمذاهب المختلفة من معتزلة وجبرية وصوفية وغيرها إلا أبواب للرزق والكسب

مذاهب جعلوها من معائشهم من يعمل الفكر يعطه الارقا
وكلنا قوم سوء لا أخص به بعض الانام ولكن اجمع الفرقا

ذلك هو رأيه فى الفرق الدينية وزعمائها وله فى ذم هؤلاء من الأهوال ما يملأ صفحات عديدة فنكتفى بالاشارة اليه . ولم يقف المعرى عند حد التهجم على الفرق وزعمائها بل تجاوز ذلك

الى نقد الأساطير الدينية عموما ومن أقواله الكثيرة فى ذلك :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فالعقل والتعليم الدينى الذى عرفه فى زمانه لايتفقان . وانما الدين الحقيقى ـ الدين الذى يقبله العقل ـ فهو المجرد عن الخرافات المتصل رأسا بتصرف الانسان من انصاف وضبط نفس ، وترفع عن الدنايا ، ورغبة فى الخير

الدين انصافك الاقوام كلهم وليس دين لابى الحق ان وجبا

سبح وصل وطف بمكة زائرا سبعين لا سبعا فلست بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له اطماعه لم يلف بالمتماسك

والحق يقال أن شاعرنا مثالى سابق لأوانه . وقد عاش فى جو مضطرب مظلم فحاول أن يستهدى بنور العقل

تستروا بامور فى دياناتهم وانما دينهم دين الزناديق
نكذب العقل فى تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالشرائع وازدراها

لكن العقل الذى يحرره من خرافات جيله واضاليلهم لم يهده إلا الى أمرين ـ اللاأدرية والقنوط . فهو برغم تقواه وبرغم اعتقاده بقوة حكيمة مدبرة يقر بأن العقل لا يستطيع أن يعبر الهوة التى بين الجسد والروح

دفناهم فى الارض دفن تيقن ولا علم بالارواح غير ظنون
وروم الفتى ما قدطوى الله علمه يعد جنونا أو شبيه جنون

وهو برغم رغبته فى الخير لا أمل له باصلاح الفساد البشرى

واللب حاول أن يهذب أهله فاذا البرية ما لها تهذيب
وجبلة الناس الفساد فضل من يسمو بحكمته الى تهذيبها

فاذا عرفنا الجو الذى نشأ فيه عرفنا أن شاعرنا لم يكن فوضويا ولم يقصد فى أول أمره الهدم المطلق بل كان جل قصده الاصلاح الاجتماعى . لكن ذلك الجو أثر فى نفسيته الحساسة تأثيراً دفعه الى اليأس . وقد يؤخذ عليه بعض شذوذه الفكرى وتنطعه اللغوى ، على أن شخصيته تجمع بين الاخلاص للحقيقة والعنف فى مهاجمة الباطل . فقد كان الشعراء قبله لايرون فى الأدب إلا مايوصل الى اغراضهم فجاء المعرى مترفعا عن الاغراض الذاتية راغبا فى اصلاح الحياة البشرية على أن اليأس تغلب عليه فجاء شعره قاتم اللون كأنما هو مصباح تنفذ أشعته الينا من وراء زجاجة سوداء

انيس المقدسى

المعرى الناقد

(بقية المنشور على صفحة ٨٧٢)

فاستعدى عمر رضى الله عنه على الحطيئة ، فدعاه حسان بن ثابت فقال له : أتراه قد هجاه بهذا ؟ فقال : ما هجاه يا امير المؤمنين ولكن سلح عليه ! ولم يكن عمر بن الخطاب ممن يخفى عليه موضع الاقذاع فى مثل هذا ، ولكنه أراد بتجاهله اطفاء الفتنة والتفريج عن الزبرقان

وكانت سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما من أبصر الناس بنقد الكلام ، حدثوا أنه اجتمع بالمدينة بعض رواة الشعراء ، فاختلفوا فيما بينهم ، وقال كل منهم صاحبي أشعر . ثم تراضوا على أن يحكموا سكينة . فقالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فاذهبي بسلام ؟

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ؟

ثم قالت لصاحب جميل : اليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلى

ما أرى بصاحبك من هوى ، انما يطلب عقله !

ثم قالت لصاحب نصيب : اليس صاحبك الذى يقول :

اهيم بدعد ما حييت فان امت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدى ؟

لما أرى له همة إلا فيمن يتعشقها بعده !

وما سب الى سكينة وغيرها فى هذا الباب كثير ، نكتفى منه بهذا القدر الذى قدمناه

وقد رأيت أن النقد ، فى ذلك العهد ، لم يتجاوز ، فى الجملة ، وقوع الخاطر السريع على موضع النكتة ، وتجليتها فى أبشع صور التعييب والتهجين ، وقد يجليها فى أحلى صور التبهيج والتزيين . أما النقد اللغوى ، على اختلاف صوره ، والنقد العروضى فلم يكن لهما حظ فى وزن الكلام لأن اللغة كانت لم تزل فصيحة ، والفطر ما برحت سليمة صحيحة

فلما كان جعفر بن يحي وكان ابو عثمان الجاحظ ، جعل كل منهما يحقق النظر فى مأثور الكلام ويجهد فى تقليبه وامتحانه ، ليقف على أسرار بلاغته وعلى علل القبح فيه ، حتى استظهرا من هذا صدراً ، اذا لم يضبط بقواعد عامة ، فقد لوح بهذه القواعد تلويحا

ثم جاء من بعدهما قدامة بن جعفر ، ثم عبد القاهر الجرجانى ، فأمعنا فى البحث والفحص ، وجدا فى الامتحان والتقليب . وبذلك اتسقت للبلاغة العربية قواعد ضبطها السكاكى بعد ذلك ضبطا ، وضغطها ضغطا بما أقام لها من الحدود والرسوم

وهنا يجمل بنا أن ننبه الى أن علوم البلاغة ليس من شأنها طبع الناس على البلاغة ، وقد

بسطنا هذا فى كلام طويل ، ولكنها فى الواقع علوم نقدية ، تنتهى آثارها الى التنبيه الى مواطن الحسن والقبح فى مطاوى الكلام

ولا يفوتنا أن نشير كذلك الى أنه لما تراخت الايام بالعربية الصريحة ، ونفذت العجمة الى الملكات ، جد النقد اللغوى ، وجعل النقدة يتعقبون الشعرا. ، ويحصون عليهم الخلاف للغة العرب سواء في دلالة الالفاظ على المعانى ، أو فى اعرابها وفنون صرفها ، أو فى كيفية تأليفها ، وغير ذلك من أساليب البيان

كذلك عمد الخليل بن احمد الى تحرى اشعار العرب من جهة أوزانها وتقاسيمها ، ورويها وقافيتها ، وما قد يدخل على الشعر من الزحافات والعلل ، وأبان مايجوز من ذلك وما لا يجوز ، واستخلص من هذا فنا له صبغة نقدية أيضا ، أعنى فن العروض

وبعد ، فلا شك فى أن من أشد ما دفع العلماء للاحتفال للنقد والتشمير فيه حتى اتسعت آفاقه ، وترامت أقطاره ، أمرين : الأول الاجتهاد فى التعريف بوجوه البلاغات فى القرآن والكشف عن أسرارها ، والدلالة على اعجازه فى حقيقته ومجازه

أما الثانى ، ففى سبيل المفاضلة بين الشعراء ، واجتماع كل ناقد لتجلية بلاغات صاحبه ، والتنبيه الى مواضع الحسن فى شعره ، ومواطن البراعة فى نظمه ، والاشادة بسبقه كلما استحدث جديداً . وكذلك التحسس من معايب قرنه ، ولسقط مزاله ، والابانة عن مواضع الاسفاف فى معانيه ، والفسولة فى لفظه ، والاسترخاء فى نظمه ، وهكذا . ولا أرى بدأ من ان أعود الى القول بأن علوم البلاغة كما فشلت فى تعليم البلاغة وطبع الناس عليها ، فقد فشلت كذلك فى إذكاء ملكة النقد ، وتوسم أسرار الحسن والقبح في المنظوم والمنثور جميعا

وان من يتقرى آثار كبار النقدة من القدماء والمحدثين ، لا يراها متهدية إلا بالطبع ولطف الحس ورهافة الذوق ، وبالعلم باللغة ، أعنى متنها ونحوها وصرفها ، وبالعروض كذلك

نقد المعرى

لم أقع للمعرى على نقد متسق مطرد مجتمع الشمل إلا في كتابه (عبث الوليد) فى نقد ديوان البحترى . وانى أسوق اليك صدراً يسيراً منه لتتعرف مذهبه فى النقد وتتذوق فنه ، قال :

قال البحترى : أشلى على منويل أطراف القنا ونجا عتيق عتيقة جرداء

ينكر عليه أنه قال : أشلى ، فى معنى : اغرى . والمعروف ان « الاشلاء » فى معنى : الدعاء ، لامعنى : الاغراء . وقد حكى أن « الكميت » استعمل « الاشلاء » فى معنى « الايساد » ويروى هذا البيت فى شعره :

خرجت خروج القدح ـ قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلى

وإنما ينكر ذلك من يرده الى السماع . فأما من يحمله على القياس ، فهو عنده جائز . لأنه يجعل « الاشلاء » : دعاء المشلى الى أذاة المشلى عليه

قال البحتري : كدن ينهبنه العيون سراعا فيه لو أمكن العيون انتهابه

فى النسخة : « كدن » وهو جائز . على أنه رديء ، لأن الصواب ان يقال : رأته النساء ، فيؤنث الفعل بالتاء . أو : رآه النساء . فأما المجيء بالنون فى الفعل المتقدم ، فهو قليل . وذلك على مذهب من قال : أكلونى البراغيث . ومنه قول الفرزدق :

ولـكن ديافيٌّ : أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

ولو قال : كاد ، لجاز ، وخلص من هذا الوجه . ويكون فى كاد ضمير المذكور ، فان جعله العيون فهو جائز أيضا . الا أن الضمير يجيء فى ينهبن ، فتنفر الغريزة من ذلك ، لخلو « كاد » منه

وانما حمل أبا عبادة على مجيئه بالنون فى « كدن » كون « ينهبن » بعدها فى بناء البيت

قال البحتري :

فغـدوت ذا بر لديك ونائل ورويت من اهل لديك ومرحب

هذا يحتمل ثلاثة معان :

أحدها : أن يكون يريد به كثرة الترحيب . من قوله : مرحبا وأهلا . وليس هذا بفائدة للممدوح ، الا أنه يدل على البشر والـكرامة

والثانى : ان يكون أراد أنى من قولك لى : « اهلا ومرحبا » رويت ، وهذا كما يقال للرجل : إذا رأيتك فقد استغنيت

والثالث : أن يعنى كونه فى اهل ـ أى : من ينوب منابهم ـ وفى مرحب ـ أى : محل واسع . انتهى

وبعد ، فنقد المعرى يريك مبلغ غنى الرجل ووفرة محصوله من اللغة ، وكيف أحاط بها من جميع اقطارها ، ما يكاد يجل على علمه فيها جليل ، او يدق عن فهمه منها دقيق . وتراه فى نقده يصرف الى اللغة أجل همه ، على أنه لافت صدراً منه الى النقد العروضى ما أصاب موضعا للانتقاد . أما نقد المعانى ، وتفقد وجوه الحسن والقبح ، والاشارة الى ما فى نظم الـكلام وما يتهيأ له من القوة والسلاسة ، او الترهل والفسولة ، فذلك ما لا يكاد يعنى المعرى كثيراً ولا قليلا !

على أن مما يلحظه مطالع المعرى الناقد ، أنه كثيراً ما ينكر الأمر على الشاعر . ويكشف عن جهة الخطأ فيه . ولـكنه سرعان ما يدور من هنا ومن هنا في طلب المخرج والتماس الوجه . وكذلك ترفق أشد الترفق بالبحترى فى نقد ديوانه ، وان سماه « عبث الوليد »

عبد العزيز البشرى

الهلال

الجزء الثالث ــ السنة ٤٧

أول يناير ١٩٣٩ ــ ١٠ ذو القعدة ١٣٥٧

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ــ البوستة العمومية

قيمة الاشتراك : مصر والسودان ٨٥ قرشا ، سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق ١٠٠ قرش ، البلدان الأخرى ١٣٠ قرشا أو ١/٧/ــ جنيه انجليزى ، أو ٦٫٥٠ دولاراً أمريكيا

AL HILAL — Cairo, Egypt
(1 January 1939)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 85. — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

هدايا الهلال

خمسة كتب قيمة نفيسة ، انتقاها الهلال لاهدائها المشتركين فيه فى هذا العام ، وهى :

(١) ١٠ قصص عالمية لعشرة من نوابغ الكتاب العالميين

(٢) الطاغية نيرون . من أروع الكتب التى أخرجها المؤلف الفرنسى أوجست بالى

(٣) على فراش الموت ، كتاب شائق موضوعه جديد ، يحوى عشرين مأساة من مآسى أعلام الشرق العربى فى العصر الحديث . تأليف الأستاذ طاهر الطناحى

(٤) مختارات من الشعر الغرامى . وهى مجموعة فريدة من أجمل الشعر الغزلى وأمتعه عند مختلف شعوب العالم ، ترجمة الأستاذ ابراهيم المصرى

(٥) تقويم الهلال سنة ١٩٣٩

وفضلا عن هذه الهدايا الخمس ، أعلنا أننا سنقدم هدية فاخرة إضافية ، الى كل مشترك يسدد اشتراكه قبل أول يناير سنة ١٩٣٩ ــ وقد أجلنا هذا الميعاد الى آخر يناير ، نزولا على طلب قرائنا الذين فى الأقطار البعيدة ــ وهذه الهدية هى :

« العرب والاسلام فى العصر الحديث »

ويتناول هذا المؤلف الضخم البحث فى شئون العالم الاسلامى والعالم العربى فيتحدث عن أبطاله وعظمائه ، وعن مفاخره وأمجاده ، وعن مشاكله ومعضلاته

موعد ارسال الهدايا

[illegible] تقويم الهلال » ومعه « الطاغية نيرون » و « مختارات الشعر الغرامى » فى أوائل يناير سنة ١٩٣٩ ــ أما كتاب العرب والاسلام والكتابان الآخران فترسل فى أوائل مارس سنة ١٩٣٩

السنة الميلادية الجديدة

اليوم يبدأ العام الميلادى الجديد (١٩٣٩) حسب التقويم الذى حدث فى عهد يوليوس قيصر سنة ٤٦ بعد الميلاد . ويستأنف العالم دورة جديدة من حساب السنين والأعوام منذ أشرق ضوء المسيح عليه السلام . وقد اختلف رجال الدين وواضعو التقاويم فى تاريخ هذا اليوم ، فالكنيسة الغربية تعتمد يوم ٢٥ ديسمبر عيداً للميلاد ، وفى هذا اليوم يحتفل الغربيون بمهرجان ميلاد السيد المسيح . وقد بدأت هذه العادة فى القرن الرابع الميلادى . ثم قلدهم المسيحيون الشرقيون ما عدا الارثوذكس الذين يحتفلون بمهرجان الميلاد فى ٧ يناير من كل عام . وقد ذكر عيد الميلاد لأول مرة فى وثائق رومانية يرجع تاريخها الى عام ٣٥٤ ميلادية ولم يعرف الانجليز الاحتفال بهذا العيد الا فى سنة ٥٩٨ . واحتفلت المانيا بميلاد المسيح أول مرة فى سنة ٨١٣ وأمر الملك هاكون ملك بلاد النروج بالاحتفال بهذا العيد فى سنة ٩٥٠



المكان المقدس الذي وضع [illegible]
[illegible] بيت الأم – أو « بيت لحم » كما يسميه العرب

العذراء وطفلها

« للفنان جوزيف لومبرج في احدى كنائس برلين »





« العائلة المقدسة »
في أرض مصر
هاربة من اضطهاد
اليهود في أورشليم
... البنان



ميلاد العام الجديد

في العام الجديد

وصيتي إلى شباب الشرق العربي

بأقلام أصحاب المعالى والسعادة . الدكتور محمد حسين هيكل باشا . والدكتور احمد ماهر . ومحمد طلعت حرب باشا . والدكتور حافظ عفيفى باشا

فى مفتتح كل عام تتطلع الأنظار الى ما عسى أن يأتى به هـذا العام من جديد . فتقف نفوس البشر ، وفى مقدمتها نفوس الشباب المملوءة بالآمال ، الطامحة الى المجد ، كتائب محتشدة فى استقبال مطلعه ، راجية أن تصيب فيه من التوفيق والنجاح ، ومن الخير والهناء ، ما يمحو آلام الماضى ، ويطيب به وجه الحياة ، ويهدى اليها السعادة ، لكنها فى حاجة الى من ينيرلها برأيه الصائب ، وتجاربه الحكيمة طريق الفوز بما ترجوه ، وسبيل الجهاد القويم للحصول على الغاية المثلى ، فما هي هذه الطريق ، وما هو هذا الجهاد النافع ، وما هو سلاحه الذى يشق به الشباب مصاعب الحياة حتى يصلوا فيها الى النصر . ذلك ما تقرؤه فى الكلمات الآتية

« المحرر »

معالى وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل باشا



نصيحتى الى الشباب ان يجعل كل لنفسه فى الحياة غرضاً يحقق به ما يعتقده مثله الأعلى ، وان يؤمن بهذا المثل الأعلى إيمانا لا يتزعزع ، وأن يوجه اليه كل جهوده فى الحياة ، وألا يسأم ، ولا يكل دون بلوغه ، وان رآه بعيد المنال

وليذكر كل شاب ان الثمرة تحتاج لظهورها الى تعهد وعناية طويلين ، وان المشقة التي أنفقها أبواه السنين الطوال حرصاً على نجاحه الدراسى ، يجب ان يتصل بها مجهود السنين الطوال لبلوغ النجاح فى الحياة . والنجاح الحق فى الحياة إنما هو تحقيق المثل الأعلى الذى يؤمن الانسان به ، وان خالفه الناس فيه

محمد حسين هيكل

معالى وزير المالية الدكتور احمد ماهر



وصيتى الى كل شاب فى مطلع العام الجديد ، ان تكون قوى الايمان بالآمال الجياش فى صدره ، عظيم الثقة بنفسه ، معتداً برجولته ، جريئاً فى طموحه ، ولكن فى تعقل وروية

كما انى أوصى كل شاب بأن يعمل جهده على ولوج ميدان الاعمال الحرة ، ففيها متسع للجميع ومجال كبير لاحراز الثروة ، وكل طارق لها يحرز النجاح ولا شك طالما جد وثابر

انه لا ينقص الشاب وفرة المال ليستثمره في ميدان الاعمال الحرة ، انما ينقصه العزيمة القوية ، والهمة الماضية ، والحصافة في المعاملات ، وشحذ الفطنة لاستثمار كل شيء . . هذه كلها هى رأس المال الحقيقى . وانى اعتقد ، وأحب ان يعتقد الشباب كذلك ، انه ما من شاب تدفعه الطموح وتعوده الامل وتدفعه العزيمة القوية ، إلا اصاب مغنما من وراء أى عمل حر يشرع فيه ، ولا بأس أن يبدأ صغيراً ، فانه لا شك سينمو ويسمو حتى يبلغ درجة كبيرة ، متى اتخذ الأمانة والاستقامة والنشاط سلاحا يعتمد عليه

وانى استنهض همم الشباب على ألا يقصر على البلد الذى يقيم فيه كل منهم ، بل ليرحل من شاء بعيداً عن بلده ، وليغامر فى الحياة ، فما فاز منها إلا كل مغامر غير هياب ولا وجل

احمد ماهر

صاحب السعادة محمد طلعت باشا حرب



اذا نصحت للشباب فأنصح أولا الذين يطلبون العلم منهم أن يعنوا العناية كلها بما يتلقونه من علوم فى وقت التحصيل ، وان ينصرفوا لدروسهم حتى يستوعبوها ويهضموها ، حتى إذا انتهت أيام الطلب استطاعوا أن يبدأوا الحياة العملية بما ينبغى لها من علم وأخلاق

وأنصح ثانيا اخوانهم الذين أتموا علومهم ألا يعتبروا الحصول على الشهادة او الدبلوم آخر محطات التحصيل . فانما هى جواز مرور لدخول الحياة العملية بعد المدرسة وبدئها من الالف . وألا يستنكفوا مزاولة اى عمل شريف يوكل اليهم ، ولو كان صغيراً . وان يتقنوا هذا العمل جهد استطاعتهم كأنه اعظم عمل . وقد جاء فى الأثر « ان الله يحب أحدكم اذا عمل عملا ان يحسنه »

كذلك أنصح هؤلاء وهؤلاء ان يعملوا دائما على ارتفاع صرح النهضة الاقتصادية ، وتثبيت قواعده بالاقبال على منتجات بلادهم ، وبالدعاية لها فى أوساطهم وبين اهليهم ومواطنهم فى الريف والمدن . ولست اريد ان احصى الفوائد الجزيلة التى تعود على مصر كلها من وراء ذلك ، فالشباب فى الغالب معروف بالذكاء ودقة الحس وسرعة الخاطر والوطنية الصادقة البريئة

محمد طلعت حرب

صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا



الحياة كفاح مستمر ، والنجاح فيه مرهون بمجهود الشاب لاتمام العدة لهذا النضال الطويل . وعدة الشباب للنجاح هى ان يكون سليم الجسم متين الاخلاق حاصلا على اوفى درجة من العلم والثقافة . فاذا أردت ايها الشاب النجاح في الحياة لتعيش عيشة راضية ، ولتستطيع ان تضع حجراً فى بناء هذا الوطن ، فعليك بتقوية جسمك بالرياضة البدنية ، وقاطع الاماكن المقفلة الفاسدة الهواء ، واقصد النوادى الرياضية حيث الهواء الطلق وضوء الشمس

اذا أردت النجاح فعليك بالصدق فى معاملاتك ، وبالوفاء بجميع تعهداتك ، وباحترام حقوق غيرك ، كن شجاعا ولا تؤمن بغير الحق . ثق بنفسك واعتمد عليها ، وادخل معركة الحياة مطمئنا الى النجاح فيها . . .

اذا اردت النجاح فلا تضيع دقيقة واحدة فى دور دراستك من غير استفادة ، ولا تقصر فى هذا الدور فى استمرارك على المطالعة والبحث والتنقيب . اقرأ فى المدرسة وخارجها وبعدها ، فانه إذا ضاع عليك هذا الوقت النفيس ولم تحصل فيه شيئا ، فقدت أمضى سلاح للنجاح فى الحياة

أيها الشاب لا تقبل ان تعيش عاطلا بعد المدرسة اذا لم تجد وظيفة بالحكومة فتتعود العطلة والبطالة ، بل اشتغل بأى عمل فجميع الاعمال والصناعات محترمة ، فلا عيب فى قبول أي عمل ، وانما العيب كل العيب ألا تعمل شيئاً

حافظ عفيفى

الديمقراطية والتعليم الأولى

بقلم الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

وضع الدكتور طه حسين بك كتاباً نفيساً عن الثقافة والتعليم بعنوان « مستقبل الثقافة فى مصر » . ويسر الهلال أن ينشر منه هـذا الفصـل الشائق الذى يدل على ما حواه الـكتاب من موضوعات قيمة تهم رجال التربية والتعليم وقراء العربية فى مصر والشرق العربى

لست فى حاجة الى الاطالة فى إثبات ان التعليم الاولى الالزامى ركن أساسى من أركان الحياة الديمقراطية الصحيحة ، بل هو ركن أساسى من أركان الحياة الاجتماعية مهما يكن نظام الحـكم الذى تخضع له ، فهذا شىء قد فرغ الناس منه منذ عصر طويل ، وقد فرغت منه مصر أيضاً منذ صدر الدستور الذى فرض هذا التعليم الالزامى فرضاً ، وكلف الدولة أن تكفله ، وأوجب على الآباء أن يرسلوا أبناءهم اليه . ونحن اذا أردنا أن نختصر الاغراض الأساسية التى يجب على الديمقراطية أن تكفلها للشعب ، لم نجد أوجز ولا أشمل ولا أصح من هذه الـكلمات التى ذاعت فى الديمقراطية الفرنسية منـذ عامين ، وهى ان النظام الديمقراطى يجب أن يكفل لأبناء الشعب جميعا الحياة والحرية والسلم . وما أظن الديمقراطية تستطيع أن تكفل غرضا من هذه الاغراض اذا قصرت فى تعميم التعليم الاولى وأخذ الناس جميعا به طوعا أو كرها

فلأجل أن تكفل الديمقراطية للناس الحياة ، يجب قبل كل شىء أن تكفل لهم القدرة على الحياة ، أى ان تكفل لهم التصرف فى هذه المذاهب المختلفة التى تمكن الفرد من أن يكسب قوته دون ان يلقى فى ذلك مضارة او عنتاً . ومن الطبيعى ان الحيـاة التى يجب ان تكفلها الديمقراطية للناس ، انما هى الحياة القابلة للتطور والرقى من ناحيتها المادية ، ومن ناحيتها المعنوية ، فليس يكفى ان يكون الفرد قادراً على ان يتنفس و يتحرك ليس غير ، وليس يكفى اذا بلغ الفرد طوراً من أطوار الحياة المادية ان يقف عنده ولا يعدوه حتى يموت ، وانما يجب أن تمـكنه الديمقراطية من ان يجوزه الى طور آخر خير منه ، فمن زعم ان الديمقراطية تستطيع ان

ترضى عن نفسها ، وترى انها أدت الى الشعب ما يجب ان تؤدى اليه حين تضمن للافراد ما يقيم أودهم ، و يعصمهم من الموت جوعاً ، فقد أخطأ خطأ شنيعا . يجب ان تضمن الديمقراطية للناس ما يقيم أودهم ، ويعصمهم من عادية الجوع ، ولكن يجب ان تضمن لهم مع ذلك القدرة على ان يصلحوا امرهم ، ويتجاوزوا ما يقيم الأود الى ما يتيح الاستمتاع بما أباح الله للناس من لذة ونعيم فى هذه الحياة

وليس ينبغى ان يطلب الى الديمقراطية ان توزع على الناس اقواتهم ، وتشيع فيهم اللذة والنعيم وهم هادئون مطمئنون ، فهذا شىء لن يتاح لنظام انسانى ، وانما موعد الناس به الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين . وانما الذى يطلب الى الديمقراطية ، ويفرض عليها ، أن تمنح افراد الشعب وسائل الكسب التى يسعون بها فى الارض ، و يلتمسون بها الرزق ، وأن تزيل من طريقهم ما قد يقوم فيها من العقبات التى تنشأ عن الظلم والجور ، وعن التحكم والاستبداد ، وعن مقاومة الطبيعة نفسها لتصرف الانسان

وأول وسائل الكسب التى يجب على الديمقراطية ان تضعها فى ايدى الافراد انما هو التعليم الذى يمكن الفرد من ان يعرف نفسه ، و بيئته الطبيعية والوطنية والانسانية ، وأن يتزيد من هذه المعرفة ، وأن يلائم بين حاجته وطاقته وما يحيط به من البيئات والظروف

وقد لا يكون من المعقول ، أو من الميسور ، ان يطلب الى الديمقراطية منح الافراد كل ما يحتاجون اليه او يقدرون عليه من هذه الوسيلة . ولكن الشيء الذى لا شك فيه ان الديمقراطية ملزمة ان تمنح الافراد حظا يسيراً لا سبيل الى العيش بدونه فى أى بيئة متحضرة

فالدولة الديمقراطية ملزمة ان تنشر التعليم الأولى وتقوم عليه لأغراض عدة ، اولها ان هذا التعليم الاولى أيسر وسيلة يجب ان تكون فى يد الفرد ليستطيع ان يعيش . والثانى ان هذا التعليم الأولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الدولة نفسها لتكوين الوحدة الوطنية ، و إشعار الأمة بحقها فى الوجود المستقل الحر ، و واجبها للدفاع عن هذا الوجود . والثالث ان هذا التعليم الأولى هو الوسيلة الوحيدة فى يد الدولة لتمكن الأمة من البقاء والاستمرار ، لأنها بهذا التعليم الاولى تضمن وحدة التراث الوطنى اليسير الذى ينبغى ان تنقله الأجيال الى الأجيال ، وأن يشترك فى تلقيه ونقله الأفراد جميعا فى كل جيل

وليس الأفراد فى حاجة الى دفع الضرائب التى تمكن الدولة من البقاء والعمل اذا

لم تضمن لهم الدولة أيسر ما يحتاجون اليه ليعيشوا ، وليكونوا أمة واحدة قادرة على الوجود ، ثم على الخلود

ليس من شك إذن فى ان من أبسط واجبات الدولة وأوضحها ، وأدناها الى البداهة ، أن تنشر التعليم الاولى ، وتقوم عليه . وقد فرض الدستور عليها ذلك ، فتقصيرها فى ذاته يلزمها إثم التفريط فى ذات الدستور

واذا كانت الديمقراطية مكلفة أن تضمن للافراد الحرية كما ضمنت لهم الحياة ، فان الحرية لا تستقيم مع الجهل ، ولا تعايش الغفلة والغباء . فالدعامة الصحيحة للحرية الصحيحة انما هى التعليم الذى يشعر الفرد بواجبه وحقه ، وبواجبات نظرائه وحقوقهم ، والذى يشيع فى نفس الفرد هذا الشعور المدنى الشريف ، شعور التضامن الاجتماعى الذى يجعله حريصا على احترام حقوق نظرائه عليه ليحترم نظراؤه حقوقه عليهم

واذا كانت الديمقراطية مكلفة أن تضمن للناس السلم الذى يحميهم من أن يعدو بعضهم على بعض فى داخل حدودهم الجغرافية ، والذى يحميهم من أن يعدو عليهم الأجنبى ، فان هذا السلم لا يستطيع أن يوجد لأن الدولة تريده على الوجود ، وانما هو محتاج الى مادة توجده وأداة تحققه . والمواطنون الأحرار وحدهم ــ هم القادرون على إيجاد هذا السلم ، هم مادته وهم أدواته ، ذلك ان الرجل الذى لا حظ له من الحرية عاجز بطبعه عن إيجاد السلم وعن حمايته ، بل عاجز بطبعه عن تصور السلم . انما هو قادر على أن يعيش ذليلا ، وعلى أن يكون عاديا باغيا إن أتيحت له فرصة البغى والعدوان . فلن تستطيع الديمقراطية أن تكفل للناس حياة ولا حرية ولا سلما إلا اذا كفلت لهم تعليما يتيح لهم الحياة ، ويبيح لهم الحرية ، ويمكنهم من السلم . ولكن ما هذا التعليم الذى يجب أن تذيعه الدولة الديمقراطية فى الناس وتأخذهم به لتكفل لهم هذه الأغراض الثلاثة التى أشرنا اليها ؟

أيسر هذا التعليم هو هذا الذى يمكن الفرد من أن يعرف نفسه وبيئته الطبيعية والوطنية . واذا أردنا تحصيل هذا المقدار اليسير من العلم ، فنظن ان الفرد محتاج قبل كل شىء الى أن يقرأ ويكتب ويحسب ، ويعمل أيسر العمل بعقله ويديه ، ليستطيع أن يفهم عن نظرائه ، وليستطيع نظراؤه ان يفهموا عنه . ويجب أن يعرف الفرد أنه عضو فى بيئة وطنية هى الأمة ، وأن هذه الأمة قد كانت قبل أن يوجد ، وهى كائنة فى أثناء وجوده ، وستكون بعد أن يموت . وإذن فلا بد من أن يعرف تاريخها معرفة يسيرة ، ولا بد من أن يعرف حالها الحاضرة ، ونظمها

القائمة ، ولا بد من أن يشعر بآمالها ، ويتصور مستقبلها على وجه ما

ثم ان هذه الأمة لا تحيا فى الخيال ، ولا تضطرب فى الوهم ، ولكن الله قد قسم لها مكاناً من الارض أقرها فيه ، ولهذا المكان حدوده الجغرافية التى تحصر أقطاره ، والتى يستطيع أفراد الأمة أن يضطربوا بينها ، ويعملوا وهم آمنون مطمئنون فى حدود ما ورثوا من عادة وتقليد ، وما شرعوا من نظام وقانون

فاذا تجاوزوا هذه الحدود كانت لهم سيرة أخرى غير سيرتهم فى داخلها ، وخضعوا لنظم أخرى لم يشرعوها ، ولعادات وتقاليد لم يرثوها عن آبائهم ، وقد يسمعون لغة غير اللغة التى يتكلمونها داخل حدودهم ، وهم على كل حال مضطرون الى كثير من الأوضاع وألوان العيش التى تضطر نفوسهم الى شىء من الحرج ، وتثير فيها شيئاً من الاستغراب . وجملة القول انهم غرباء اذا تجاوزوا هذه الحدود ، فيجب إذن أن يعرف الفرد هذه الرقعة من الارض التى قسمت لأمته فأصبحت لها وطناً تحبه وتؤثره ، وتفتديه بالأنفس والاموال ، وتحتمل الميسور وغير الميسور من الجهد فى سبيل حمايته من العاديات ، لا لأنها تعيش فيه فحسب ، بل لأنه مهد حضارتها ، ومستقر أجيالها القديمة ، فأرضه مكونة من رفات هذه الأجيال ، فالتفريط فيها تفريط فى الآباء والأجداد ، وإباحة لحرمتهم التى يجب ألا تباح . وهذه الارض هى مصدر الخير الذى يعيش منه الافراد ، ومصدر النعيم الذى يستمتعون به ، فهم حراص عليها لهذا ولأكثر من هذا ، هم حراص عليها لأنها ميدان حياتهم ونشاطهم ، ومسرح آمالهم ورجائهم ، ومستقر حضارتهم ومدنيتهم ، والملجأ الأمين لكل ما يحبون ويؤثرون . ولهذه الامة لغة تمكن أفرادها من أن يفهم بعضهم بعضاً ، ويفضى بعضهم الى بعض بذات نفسه ودخيلة ضميره وبأيسر حاجاته وأعسرها . فلا بد إذن من أن يتعلم الفرد لغة أمته ويتقنها ليحقق هذه الفكرة اليسيرة الاولية وهو انه حيوان اجتماعى ناطق . وإذن فالمقدار اليسير الذى يجب ان يشترك المصريون جميعاً فى العلم به ، وفى العلم به على أحسن وجه ممكن ، هو تاريخ مصر وتقويمها ولغتها ، ثم نظامها السياسى والمدنى والاجتماعى الذى تقوم عليه حياتها وتصلح عليه أمورها ، ثم هذا المقدار اليسير الذى يمكن الفرد من أن يعمل بعقله ويده الى حد ما

وواضح جداً ان أمر الدين هنا كأمره فى الفصل الماضى ، يختلف باختلاف النظرة التى تنظرها اليه الدولة . فان رأت إقامة التعليم على الفكرة المدنية الخالصة ، تركت أمر الدين الى

الأسرة ولم تقم فى سبيل تعليمه المصاعب والعقبات . وإن رأت إقامته على الفكرة المدنية الدينية قسمت للتعليم الدينى مكانه من هذا البرنامج

وليست الدولة مسئولة عن تكوين عقل الصبي وقلبه فحسب ، بل هى مسئولة أيضاً ، ومسئولة فى مصر بنوع خاص ، عن حماية جسمه من الآفات والعلل ، وتمكينه من النمو المطرد الذى لا يتعرض لاضطراب ولا فساد . فلا بد من ان يكون فى التعليم الاولى مكان ممتاز للتربية البدنية يضمن للامة تكوين أجيال صحيحة الاجسام والعقول معاً . وقد يستبيح المشرفون على التعليم الاولى لانفسهم فى بعض البلاد المتحضرة شيئاً من الاهمال فى حق التربية البدنية والنفسية ، ويكتفون بالفراغ للتعليم وتربية العقل ، لانهم يعتمدون على الاسرة فى تحقيق ما لم يحققوا ، والنهوض بما لم ينهضوا به من تربية الاجسام والاخلاق . ولكن هذا النحو من الاهمال مستحيل فى مصر الآن على أقل تقدير ، لان الاسرة المصرية فى هذا الجيل والجيل الذى يليه ، بعيدة كل البعد عن أن تستطيع النهوض بأعباء التربية الصالحة للجسم والخلق . ولا بد من مرور زمن طويل قبل أن تستطيع الدولة الاعتماد على الاسرة فى شئون التربية ، وانتظار معونتها على تكوين الاحداث والشباب

طه حسين

هدية الهلال الممتازة

العرب والاسلام في العصر الحديث

أعلنا فى عدد نوفمبر الماضى عن عزمنا على اصدار عدد ذهبي ممتاز من الهلال عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » وقلنا : إن هذا العدد سيكون هدية سادسة فوق الهدايا الخمس التى يهديها الهلال لقرائه فى هذا العام . وسيمتاز به المشتركون الذين يسددون اشتراكهم قبل يناير القادم ، وسيباع بعشرة قروش لغير المشتركين . وقد اتخذنا الأهبة لاصدار هذا العدد عما قريب وسيكون أكبر حجماً من الهلال العادي ـ فى مائتى صفحة من حجم تقويم الهلال ـ وسيتوج بكلمات لملوك العرب والاسلام ، ويضم طائفة كبيرة من الموضوعات الجديدة الهامة ، وسيحتوى على لوحات مصورة ممتازة ، وعلى عدد نفيس من التحف الفنية الملونة بألوان عدة . وسيشترك فى تحريره طائفة من الأمراء وكبار العلماء والأدباء الشرقيين والمستشرقين

أرباب المعاشات عندنا

بقلم المرحوم قاسم بك أمين

كان خمسة من أرباب المعاشات ، خمسة شيوخ مروا على فروع الأدارة المصرية القديمة ، ونقلبوا فى مناصبها العاليـة من مديرية الى مجلس الأحكام الى ديوان الاوقاف الى السكك الحديدية ، احتاروا بيت أحدهم – أكبرهم رتبة – وصاروا يجتمعون فيه من الصبح الى الظهر ، ومن العصر الى ما بعد الغروب جالسين على الكراسى فى بستان عتيق مهمل ، لكنه واسع الارجاء ، تطاول أشجاره السماء ، هواؤه معطر بروائح الزهور ، لايصل اليه شيء من ضوضاء الطريق ، ولا يسمع فيه غير تغريد الطيور . ماذا كانوا يقولون ويفعلون ؟

كانوا يقصون الأيام الباقية من عمرهم مؤتنسين بهـذا الاجتماع ، مكتفين به لسد فراغ حياتهم ، وفى بعض الأحيان يلعبون النرد ، فيتقدم منهم اثنان الى ميدان المبارزة ، ويلتف حولهما الباقون للفرجة . وإذ داك ترتفع أصـواتهم « شيش يك – بنج جهار – خانه – اضرب » ويتناقشون بحدة

هـذا يضحك لأنه غالب ، والآخر يغضب لأنه مغلوب ، فاذا انهوا من اللعب أخذوا يتحادثون ويذكرون ماضى حياتهم وسيرتهم فى أعمالهم بالتفصيل والتدقيق فى تواريخ السنين والشهور . ويخرجون من اعماق حافظتهم الأمينة حوادث مهمـة ووقائع غريبة رأوها أو سمعوها أيام حكم الخديويين السابقين ، يروونها ويكررونها مرات كلما عرضت لذلك مناسبة ، ويتخلل هـذا الحديث تهكم بقواعد الادارة الحديثة ، واستهزاء برجال الحكومة الحالية ، وملاحظات على فساد أخلاق هذا الجيل ، وعلى اختلال الأمن ، وضياع احترام الصغير للكبير ، والوضيع للرفيع ، والمحكوم للحاكم . ودلك بعبارات والفاظ هادئة مجردة عن حدة الشهوات والتأثر ، سوى نوع من التألم كان يبدو أثره أحياناً فى وجوههم

وفى يوم حضروا كعادتهم الى بيت زميلهم ، فوجدوه قد مات فى الليل ، فنقلوا مركز اجتماعهم فى اليوم التالى الى بيت أحدهم ، واستمروا على حالهم المعهودة ، ولـكن نفوسهم كانت تشعر دائما ببعض الحزن كأن روح فقيدهم كانت تطوف حولهم ، وتشكو اليهم انفرادها ، وتدعوهم الى الانضمام اليها ، فلبى ثلاثة منهم هذا النداء المستمر ، وماتوا واحداً بعد الآخر فى مدة قصيرة ، وبقى خامسهم الى الآن منفرداً كئيباً لايتكلم ولا يخرج من بيته ، لا يدرى ماذا يصنع بحياته ، ويرقب الموت الذى يخلصه منها

اهتمت وزارة المعارف المصرية فى هذا العام بمشروع جديد ، هو اقامة مؤتمر عربى كل عام لبحث شئون التعليم وتوحيد الثقافة بين الاقطار العربية ، لتوثيق الروابط القومية بينها . وقد ألفت لجنة برياسة الاستاذ احمد أمين لبحث هــذا المشروع ، والعمل لتنفيذه ، وقد رأينا أن نعرض لقراء العربية رأى صاحب العزة وكيل وزارة المعارف محمد العشماوي بك ، والدكتور طه حسين بك ، والاستاذ احمد امين رئيس هــذه اللجنة . ونحن نرحب بآراء رجال التعلم والثقافة فى الاقطار الشـقيقة الذين يريدون أن يساهموا فى بحث هذا المشروع

توحيد الثقافة بين الأقطار العربية

هو أهم الوسائل لتقدم نهضة الشرق العربى

رأى حضرة صاحب العزة محمد العشماوى بك

تسود البلاد العربية ثقافة متقاربة ، أساسـها وحدة اللغة ، ووحدة الدين بالنسبة لأغلبية السكان ، ووحدة التاريخ في حقبة طويلة منه ، حيث تأثرت هذه البلاد جميعها بالفتح الاسلامى والحضارة الاسلامية

ولما بدأت هذه البلاد تستعيد استقلالها ، وتبعث من جديد ، عملت على العناية بالنهضة الفكرية واتخذت مصر قبلة لها ، بمعنى أنها كانت تترسم خطاها فى الحركة العلمية والأدبية ــ وذلك يرجع الى أن نهضة مصر الحديثة كانت أسبق من نهضات هذه البلاد بما وفره لها محمد على باشا الـكبير من استقلال فى تصريف شئونها ، هيأ لها فرصة التوفر على استكمال مرافقها فى مختلف نواحي النشاط الفكرى والصناعي والتجارى

ولقد كانت مصر حريصـة على اجابة داعى شقيقاتها العربية بما قبلته من بعوث فى مختلف معاهدها ، وبمن أوفدتهم من أساتذة الى مختلف الأقطار العربية ، مع تحمل ما تطلبه هذا الايفاد من نفقات ، جاعلة نصب عينيها أن للزعامة اعباءها ، وأن للعلم كما للمال زكاة

وقد زادت هذه الخطوة فى توثيق الروابط الثقافية بين هذه البلاد ، بل انها كانت بالنسبة لـكثير منها بداية لعهد جديد فى ايجاد هذه الروابط ، فأصبح لمصر أساتذة فى العراق ، ولبنان ،

والحجاز ، وتطوان بالمغرب الأقصى ، كما أن معاهد مصر تضم المئات من طلبة البلاد الاسلامية والعربية ، من أفغانستان الى تطوان الى عدن

وكان من الطبيعي أن تؤدى هذه الصلات الى التفكير فى توحيد الثقافة بين هذه البلاد حتى تستطيع أن تتمتع بمواردها العلمية ، وتحقق نوعاً من الوحدة العربية فى أهم ناحية من نواحيها ، وهى الثقافة

وقد خطت الوزارة الخطوة الاولى فى هذا السبيل بأن عهدت الى لجنة تضم ممثلين من الوزارة وممثلين من الجامعة ، فى بحث الدعوة الى مؤتمر ثقافى دورى يعقد فى عواصم البلاد العربية والاسلامية لوضع خير الوسائل لتوحيد الثقافة . وقد رأت اللجنة قبل أن تخطو الخطوة الثانية أن تقف على رأى هذه البلاد فى هذه الفكرة . ويسرنى أن أعلن أن الوزارة قد تلقت رأياً اجماعياً فى تحبيذ الفكرة وضرورة العمل بها . وستشرع اللجنة قريباً فى بحث الوسائل العملية لتحقيق هذا المؤتمر ، وأظن ان رأيها فى الغالب سينتهى الى تكوين لجنة دائمة تضم ممثلى البلاد العربية وممثلى البلاد الاسلامية التي قبلت الفكرة ، لتحصر الموضوعات الكبرى التى يصح أن تكون محل بحث المؤتمر فى كل دورة من دوراته

ويلاحظ أن البلاد التى ستشترك فى مثل هذه المؤتمرات هى البلاد التى تسودها الثقافة العربية والاسلامية ، وتكون متأثرة بثقافة بعضها

وليس الغرض من توحيد الثقافة توحيد المناهج الدراسية ، أو توحيد الكتب المدرسية ، فان المناهج يجب أن تتأثر بالبيئة ، وتراعى فيها ظروف كل بلد ، حتى أن من رأيى ألا توحد المناهج فى البلاد المصرية نفسها ، وأن تقتصر الوزارة على وضع الاسس العامة ، وتترك للبيئات الاقليمية أن تعمل عملها فى التوجيه . وانما الذى أقصده أن نطبع الثقافات فى البلاد العربية بطابع واحد ، وترمي الى غرض واحد ، فتكون الثقافة العربية هى الأساس ، وتعمل هذه البلاد على مزج الثقافة العربية والثقافة الغربية مزجاً يؤدى الى ثقافة حديثة ذات طابع خاص يطبعها جميعها ثم يهيء لكل منها فرصة لاظهار شخصيتها

ولكى أوضح لك غرضى أشير الى بعض الأسس التى يصح أن يقوم عليها توحيد الثقافة بالمعنى الذى أقصده ، فهنالك اللغة العربية يجب أن يعنى بها ، ويعنى بجعلها أساس التعليم فى مختلف مراحله ، وعلى ذلك يتعين العمل بمسايرتها لنهضة الفنون والعلوم والآداب ، وبتبسيطها بما يجعلها فى متناول الطبقات المثقفة ، حتى تساعد على ابراز روح العصر . وبذلك يزول كثير من الفوارق بين البلاد العربية مما يرجع الى اختلاف اللهجات ، لأنه اذا لم يعن بالفصحي ، واتخاذ الاسلوب السهل فيها ونشره فى مختلف الطبقات المتعلمة فى جميع هذه البلاد ، وترك كل بلد يتجه اتجاها خاصاً في أساليبه تنكرت هذه البلاد لبعضها من حيث التفاهم والتوافق وضعفت أهم الصلات التى تربطها

ومن أهم ما تجب العناية به توحيد المصطلحات العلمية والأدبية باللغة العربية حتى يسهل الانتفاع بنتاج الفكر والعلم فى مختلف هذه البلاد ، كما يسهل تبادل الأساتذة وتبادل البعوث

وهناك توحيد الأسس العامة لبرامج التدريس حتى يستطيع الطلبة فى أى بلد من البلاد العربية أن يسايروا المرحلة التى أتموها فى بلد آخر ، دون أن يجدوا صعوبة فى مواصلة الدراسة ، وبذلك يمكن الانتفاع بجامعة فؤاد الأول ، وبمعاهد المعلمين لتكوين الطلبة الذين يبعثون من البلاد العربية . كما أن الانتفاع بالأساتذة المصريين يكون انتفاعا أكمل اذا كانت المناهج التى يطبقونها تقوم على أساس مشترك من المناهج المصرية

وهنا لك العناية بالتاريخ ، بمعنى أن تقوم مناهج التاريخ على أساس ابراز الماضى المجيد الذى اجتازته الأمم العربية جنباً الى جنب تحت راية موحدة ، ثم ابراز خصائص كل بلد ، وما ساهمت به فى دائرة الحضارة العربية

وانى لكبير الأمل فى أن توحيد الثقافة بين البلاد العربية سيؤلف منها حلفاً ثقافياً يرفع من مكانة هذه البلاد ، ويمكنها من أن تتباهى بحضارتها ، وتساهم بثقافتها فى خدمة الانسانية ، ويزيل كثيراً من الفوارق بينها ، ويقوى أواصر القربى بما يجعلها شعباً واحداً مع الاحتفاظ لكل منها بكيانه واستقلاله

رأى الدكتور طه حسين بك

أنا من الدعاة الى هذه الفكرة . وقد اظن انى نجحت في هذه الدعوة حين اجتمعت في مصر جماعة من علماء الشرق العربى فى سورية وفلسطين ومصر . وقد ألفت لجنة للتعاون العلمى بين الهيئات العلمية فى الاقطار العربية ، ووضعت لهذه اللجنة نظاماً اقرته ، وانتخبت لها رئيساً هو الاستاذ احمد امين . وكان من أهم ما تباحثت فيه هذه الجماعة العمل لتوحيد برامج الدراسة الابتدائية والثانوية فى الأقطار العربية . ولكننا اتفقنا على أن تكون الدعوة الى هذا رفيقة حتى تظفر بعض البلاد الشرقية بحظ من استقلالها السياسى يمكن من الجهر بهذه الدعوة دون أن تثير السياسة فى سبيلها صعوبة ما

وأظن أن ابرام المعاهدة بين سورية وفرنسا ، وبين لبنان وفرنسا من المشجعات على الجهر بهذه الدعوة ، فلما أحسست حسن استعداد وزارة المعارف المصرية لهذه الفكرة ارتبطت بهذا الارتباط كله ، على أنى انتهزت فرصة انعقاد المؤتمر الطبي الشرقي بالقاهرة منذ نحو عامين فتحدثت فى ذلك الى أعضاء المؤتمر من اخواننا السوريين ، وحضر هذا الحديث الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، فوجدت منهم استعداداً حسناً ، بل رغبة صادقة فى الفكرة ، وهى كما ترى قيمة

ومستقرة فى نفوس المشتغلين بها جميعاً ، وأنا واثق بأنها أقوم ما فى موضوع الوحدة العربية من العناصر ، بل أسيرها وأنفعها . وسترى انى أدعو الى ذلك دعوة حارة فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى يظهر قريباً

ومن المحقق ان هذه الفكرة يجب أن تقوم على احترام الشخصيات الوطنية للامم العربية ، بمعنى ان اتحاد برامج التعليم والثقافة لن يغير ما ينبغى أن تعنى به كل أمة من حعل تاريخها الخاص وجغرافيتها الخاصة أساساً للدراسة فيها ، فأما اللغة فواحدة فى هذه البلاد

رأى الاستاذ احمد امين

مهما اختلف اولو الرأى فى توحيد الروابط السياسية والاقتصادية ، بين الامم العربية فلا يصح أن يختلفوا فى توحيد الثقافة العلمية والأدبية بين تلك الشعوب لعدة أسباب

(١) أن العوامل الطبيعية والاجتماعية هيأت خير الاسباب لهذا التوحيد فهذه الشعوب لغتها واحدة ، ووحدة اللغة تيسر الى أبعد حد توحيد الثقافة ، وهذه الشعوب أدبها واحد ، فقد ظلت منذ الفتح الاسلامى تتكلم عن الأدب العربى مهما كان اقليمه ولا تقول إنه أدب عراقي أو شامي أو مصرى ، ولم توجد هذه النعرة الا فى العصور الحديثة ، وان وجد منها شىء للقدم فللتعريف لا للعصبية ، وحتى ان وجدت للعصبية فكان معها عصبية أقوى منها وهي العصبية للعربية على غيرها من الآداب الاخرى — وهذه الشعوب دينها واحد فى الاعم الاغلب ، وحتى اخوانا غير المسلمين يستنشقون دائماً جو الاسلام فى اللغة والادب والاجتماع

فهذه الروابط كلها تجعل توحيد الثقافة أمراً سهلا ميسوراً لا يكلف عناء ولا مشقة

(٢) وسبب آخر هو أن الموقف السياسى للامم العربية يكاد يكون متحداً ، قلوبها تنبض بآمال واحدة ، وكلها تشعر بآلام متقاربة . فالنزعة الوطنية القومية التى تغذى الادب والثقافة تكاد تكون مشتركة . واذا اتحدت المقدمات اتحدت النتائج

(٣) وسبب ثالث وهو أن الامم الشرقية العربية متى اتحدت أغراضها ومراميها فى الحياة فخير لها أن تسير في طريق واحد حتى يشد القوى ازر الضعيف ، ويحمل البطل شيئاً من عبء المتخلف حتى يصل الجميع الى الغاية ، ولا سبيل أسلم وأحكم من طريق الثقافة الموحدة

(٤) وسبب رابع ، وهو أن عدد القارئين والكاتبين فى كل أمة عربية ما يزال قليلا محدوداً لا يصلح لترويج مجلات أو كتب ، فاذا اقتصرت كل أمة على ثقافتها لم تستطع أن تشجع المؤلف النابغ والكاتب القدير والمجلة الحية ، فتوحيد الثقافة يجعل عقول هذه الشعوب كلها تألف نتاج كل منها ، فاذا كتب كاتب مصرى أو عراقى أو شامى أو ألف أقبل المثقفون فى الامم الاخرى على

كتبه أو مجلته او روايته ، وفى ذلك تشجيع للمؤلف ومضاعفة للنتاج الثقافى.

(٥) وسبب خامس وهو ان توحيد الثقافة يستتبع توحيد الروح ، واذا توحدت روح الشرق استطاعت ان تقف بجانب روح الغرب ، تبني فى بناء العلم والادب الذى يبنون ونشيد فى صرح المدنية الذى يشيدون ، واضطر العالم العربى الى ان يحترم هذا الروح الشرقى الثانى العامل الذى يحترم نفسه ، فلا يسمح لأحد ان يعتدى عليه ويحترم غيره فلا يسمح لنفسه ان يعتدى على احد

* * *

هذه فى نظرى أهم الأسباب عند دعاة توحيد الثقافة ولا أظن أحداً يخالفنى فيها

ولكن مما يؤسف له أن هذه الأفكار العامة المقبولة محتاجة فى تفاصيلها الى البحث والأخذ والرد ووضع الأسس الصالحة ، ومن جهة أخرى محتاجة الى وضع خطط التنفيذ

فمثلا . ستصطدم هذه الفكرة ــ فكرة توحيد الثقافة ــ بفكرة القومية ، فاذا وضعنا برنامجاً عاماً فى الجغرافيا ، فهل نشترك كل العالم العربى فى دراسة الموضوعات على نمط واحد ، أو نجعل أسساً مشتركة وتفاصيل مختلفة تسمح للسورى أن يعنى فيها بجغرافية الشام أكثر من جغرافية مصر وبالعكس ؟ أظن ان الثانى هو الواجب ومثل ذلك يقال فى التاريخ والأدب . فنكون بذلك قد حافظنا على الوحدة العربية . وبجانب ذلك قد حافظنا على النزعة القومية هذا مثل بسيط جداً مما يعترض الموضوع عند التفاصيل من صعوبات

وهكذا فى ناحية التنفيذ ، كيف تدعى الأمم الشرقية ؟ وأين تجتمع ممثلوها ؟ وكيف يحصلون على السلطة التى تمكنهم من أن تقولوا كلمتهم فتكون هى كلمة أمتهم من غير اعتراض ومن غير أن تلعب أمم اخرى فى الخفاء فتفسد المشروع ؟ وكيف يضمنون الاجتماعات المستقبلة حتى يدخلوا التعديل على المناهج بعد ما تبديه التجارب من حاجة الى الاصلاح ؟ وهل من المستحسن أن يتخذ المشروع شكل مؤتمر يجتمع كل عام فى قطر من الأقطار الشرقية ؟ وهل يستحسن ان يكون له مجلة دولية شرقية تكون مجالا لأقلام كبار الباحثين . هذه أمثلة قليلة مما تحتاج التنفيذ اليها فهل يخرج المجمعون على وحدة الثقافة العربية من الحياة الذهنية الى الحياة الواقعة ، فيضعون الخطط ويرسمون المنهاج ويذللون ما يظهر من صعاب ؟ . ذلك ما أرجو فى المستقبل القريب

الخديو اسماعيل فى المنفى

بقلم سعادة قليني فهمى باشا

احتفل فى ديسمبر الماضى برفع الستار عن تمثال المغفور له الخديو اسماعيــل ، وهو التمثال الذى أقامته الجالية الايطالية فى الاسكندرية تخليداً لذكرى الصداقة بين هذا العاهل العظيم والملك امبرتو ملك ايطاليا السابق الذى ضيف الخديو مدة طويلة فى بلاده فى أثناء منفاه . وقد كان فى ذلك الحين يتردد بين ايطاليا والمدن الاوربية الاخرى ، وقد أتيح لسعادة قليني باشا فهمى أن يتشرف بمقابلته ، وهنا ننشر ذكرياته عن هذه المقابلة — المحرر

اتفق ذات يوم وانا فى مدينة فيشى بفرنسا ان قابلنى درانيت باشا — ودرانيت باشا هــذا كان أحرجى باشــا المغفور له الخديو اسماعيل — فقال لى : « افندينا اسماعيل لاحظ وجودك هنا منذ ومين ، واستغرب عدم زيارتك لسموه » فأجبته بما يأتى : « انى صغير جداً فى سنى ومركزى . وليس لى أن أكون من زوار سموه » فقال : « ولــكن أفندينا سر برؤيتك ، وهو الذى أمرنى باخبارك بذلك » . فطلبت منه موعداً للمقابلة ، فقال : « من الساعة الثانية الى الخامسة فاحضر فى الساعة التى تريدها ، والخديو ساكن فى فيلا تسمى فيلا رور » . فسعيت فى اليوم التالى للحصول على طربوش ألبسه ، وذهبت فى الساعة الثانية تماما الى الدار التي يقطنها سموه ، وهى دار جميلة جداً فى وسط حديقة غناء

وكنت أعرف ان افندينا ذو لحية تركية ، وشواربه تتناسب معها ، فلما أتيت الفيلا ، وجدت رجلا جالساً ببابها ، شواربه ممتده ولحيته مسترسلة طويلة ، فدنوت منه ، وقلت له : « أنا عندى موعد لمقابلة أفندينا فى هذه الساعة » فقال « تعالى معى وانا أودبك عنده » ووضع يده فى يدى ، ودخلنا صالونا بالدار كانت به نفائس . ومن بينها « كنبة » صغيرة لطيفة تسع شخصين فقط ، فجلس وأجلسنى بجواره ، وقال امكث حتى يأتى افندينا ، وبعد ان استرحنا قال بالعربية : « انا مسرور برؤيتك يا قليني بك » فقلت له : « اشكرك ، هل حضرتك سكرتير افندينا ؟ » فقال :

— أنا هو افندينا . . .

فوقفت فى الحال ، وقلت : « استغفر الله يا افندينا » فقال لى : « ما ألطف هــذه المناورة الصغيرة التى سرت قلبى اجلس » فأطعت الامر وجلست ، ولــكن تولانى خجل عظيم من هــذا

العطف الكريم ، ثم بادرنى سموه معلناً سخطه على الحركة العرابية ، وما ترتب عليها من خسارة البلاد أدبياً وسياسياً ، وعزا استفحال أمرها الى ضعف الخديو توفيق . ثم استرسل فى نقد أعمال الخديو توفيق مما أحرج مركزى ، فقلت لسموه ان الخديو توفيق من المخلصين لذاتكم الكريمة ، ويعد نفسه أنه قائم مقامكم مدة غيابكم . ثم استطرد وقال :

« لو كان الخديو يعرف واجباته لقضى على زعماء العرابيين فى اربع وعشرين ساعة ، ونجى البلاد مما وقعت فيه من الاحتلال الاجنبي » ، ثم استمر فى السؤال عن كثير من ذوى المقامات فى البلاد ، وكان لطيفاً معى فى كل حديثه ، بشوشاً ، مطلعاً كل الاطلاع على ما يجرى فى مصر

ومن الحوادث التي جرت والمغفور له الخديو اسماعيل فى منفاه ان المرحوم سلطان باشا كان باوربا يستشفى من مرضه ، وكنت ارافقه فى هذه السياحة ، فلما وصلنا الى فينا ، ونزلنا فى فندق يسمي « جولدن اسلام كونتننتال » علمنا ان الخديو اسماعيل نازل فيه ، وكان المرض قد اشتد إذ ذاك على سلطان باشا ، فعاقه عن التماسه الحظوة بمقابلة الخديو ، ولكن سموه ما لبث ان استدعانى ، واستفهم منى عن صحة سلطان باشا ، فقلت لسموه ان المرض اشتد عليه ، ولكنه سيأخذ مسكناً من المورفين حتي يمكنه من التشرف بمقابلة سموكم لأنه شغوف برؤيتكم ، فقال لى : « أفهمه أن لا يتعب خاطره ، وسأحضر أنا لمشاهدته ، لانى أحب الرجل كثيراً . وقد خدمنى وخدم البلاد خدمات عظيمة . فسرنى ان اراه . وقل له : ان الامتثال خير من الأدب »

فشكرت لسموه هذا العطف الكبير . واستأذنته فى ان ابلغ الامر لسلطان باشا . وعندما دخلت عليه وأخبرته خبر هذه الحادثة . فرح جداً . وقال : « هذا كثير . وعطف كبير . وانى أخجل كثيرا من أن جناب الخديو هو الذى يكلف خاطره ويأتينى . فكررت عليه مانطق به الخديو من ان الامتثال خير من الادب . وفى أثناء ذلك دخل علينا سموه . فكانت مقابلة مؤثرة جداً . وأخيراً قال له : « ارجو الله ان تصل لمصر سالماً . وان تأتينى أخبار تبشرنى بتقدم صحتك » ثم هم للانصراف وقال لى : « اسهر الليل والنهار على صحة الباشا . هذا الوطنى العظيم والخادم الامين للبلاد » فقبلت يد سموه وقلت سمعا وطاعة . . لكن سلطان باشا . . توفى فى اليوم التالى





الخديو اسماعيل مجدد مصر الحديثة



تمثال اسماعيل

أقيم فى الاسكندرية فى صباح يوم الاحد ٤ ديسمبر الماضى احتفال كبير شرفه حلالة الملك فاروق الأول ، حيث أراح بيده الكريمة الستار عن تمثال حده الخديو اسماعيل وهو التمثال الذى صنعته الجالية الايطالية على نفقتها وأهدته الى الحكومة المصرية وقد حضر من ايطاليا رئيس مجلس الشيوخ الايطالى الشيفالييه فيدرزونى ممثلا للحكومة الايطالية فى حفلة ازاحة الستار عن التمثال

دقة الفن الايطالى وروعته ، تتحليان فى هذا التمثال الذى يكاد ينطق بعظمة اسماعيل





التقطت هذه الصورة في الليل ، فظهر الجمال والبناء الزخرفي الذي [illegible]
شكل [illegible] [illegible] الكنانة ، والتي [illegible]



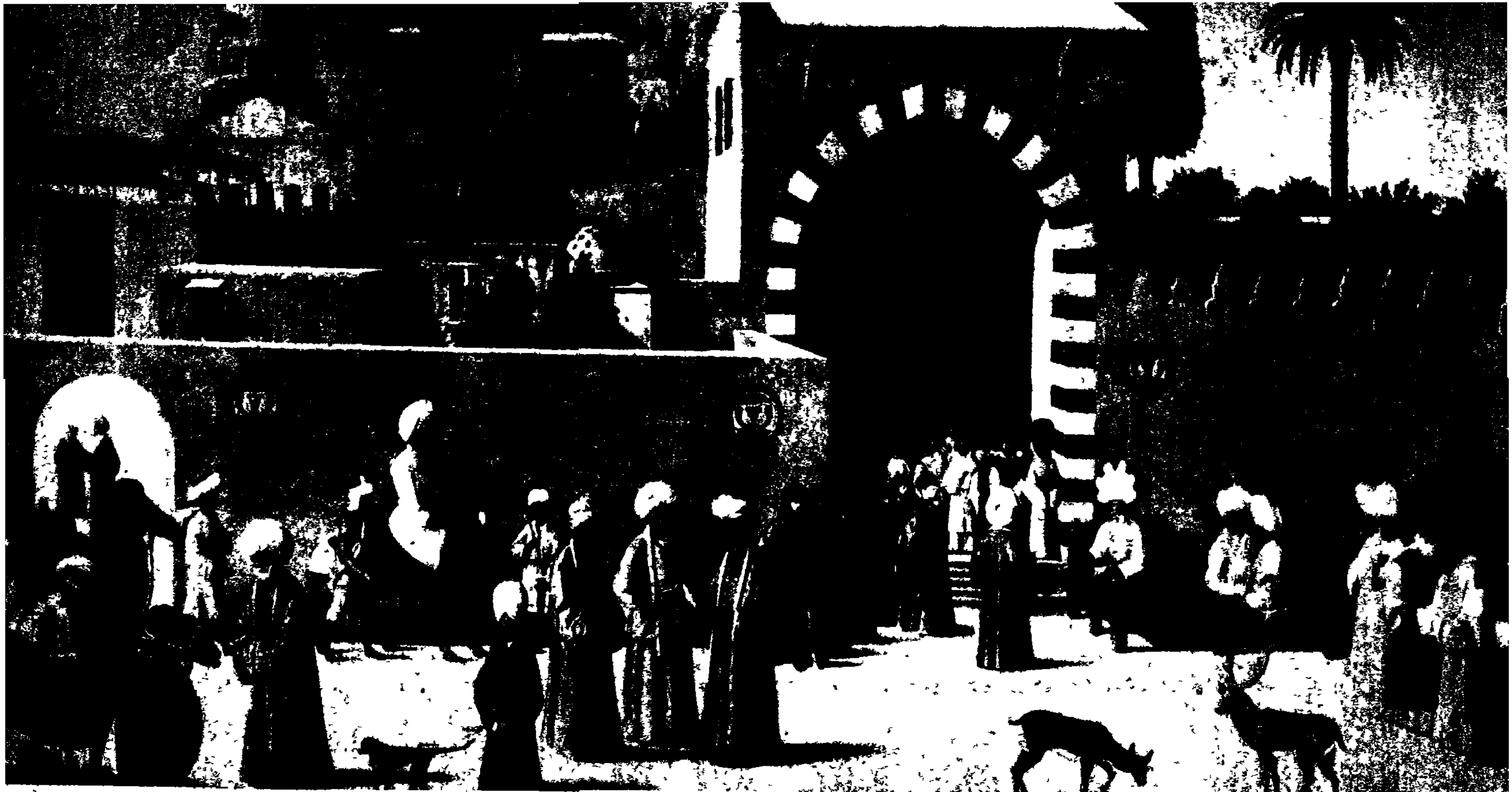


مأدبة الملك

أقام جلالة الملك فاروق الاول فى يوم الاحد ٤ ديسمبر الماضى مأدبة بقصر رأس التين ، تكريماالشيفاليه فيدرزونى ممثل الحكومة الايطالية فى حفلة ازاحة الستار عن تمثال اسماعيل . وترى فى الصورة جلالة الملك يتصدر المائدة الرئيسية ، والى يمين جلالته الضيف الكريم ، فدولة عبد الفتاح يحيى باشا وزير الخارجية والى يسار جلالته رفعة على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى

وثيقة الاهداء

الوثيقة الرسمية التى تثبت اهداء الجالية الايطالية تمثال اسماعيل الى الحكومة المصرية تكريما [illegible] وقد [illegible] الى [illegible] قبل
[illegible]



كان العهد الاسلامى فى مصر من أزهر العهود وأرخاها . فكانت البلاد مقر الحكم ومثابة الخلافة الإسلامية ، وكانت ممر التجارة الصادرة والواردة بين الشرق والغرب ، وكذلك كانت تضم جاليات أجنبية كبيرة غنية ، لهذا كانت الدول توفد إليها سفراءها ومفوضيها ليرعوا شئون هذه الجاليات ومصالحهم التجارية . وترى هنا صورة تاريخية نادرة تمثل حفلة استقبال أحد السفراء الأجانب فى مدينة القاهرة فى العصر الوسيط

[من عمل الفنان بللينى]

أثر الأزمة الدولية

في العالم العربي

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

كان للأزمة الدولية الأخيرة أثرها فى أوربا . فعيرت من جغرافيتها ، ووجهت رحال السياسة الى طرق أخرى فى معالجة المشاكل الدولية ، وعدلت فى العلاقات السياسية بين الدول الكبرى . وكان لها أثرها فى مستقبل الحالة الاقتصادية أيضا . أما العالم العربى فماذا كان أثر هذه الأزمة فيه ؟ . ذلك ما يتحدث عنه فى هذا المقال القيم الأستاذ عباس محمود العقاد «المحرر»

كان تقسيم المعسكرين الأوربيين فى الأزمة الدولية الماضية تقسيما مريحاً للأمم العربية فى الشرق الأدنى ، لأن وجود انجلترا وفرنسا وروسيا فى معسكر معناه أن تركيا ورومانيا وغيرهما من دويلات أوربا الوسطى والجنوبية ستكون في هذا المعسكر ، ومعنى ذلك أن الأمم العربية ستحارب فى صف الدول الكبرى المجاورة لها أو المتصلة بشئونها ، وأنها وزنت كفتيها وزناً لا تردد فيه ، وأنها واقفة على أسلم الطريقين

أما الآن فالمعسكران غير محدودين . لا يدرى أحد إلى أين تتجه روسيا فى الحرب القادمة ، ولا يدرى أحد هل تكون بولونيا حمى لألمانيا أو خطراً عليها ، ولا يدرى أحد هل يتم توصيل الدانوب والرين فيغلب نفوذ المانيا المالى والسياسى على أوربا الوسطى والشرقية ويصعب على أممها الكبيرة والصغيرة أن تتخذ لها موقفاً معارضاً لها . . . أو تحول الحوائل دون ذلك فلا ترجح الكفة الألمانية هناك هذا الرجحان . بل لا يدرى احد كيف تستقر اليابان فى داخل الصين وعلى شواطئها . فانها اذا استولت على الارض الصينية ضعف شأن القواعد البحرية الانجليزية فى سنغافورة ، واحتاجت بريطانيا العظمى الى مضاعفة التعويل على طريق البحر الأبيض المتوسط ، اما اذا اضطرب مقام اليابان في الصين فالأرجح ان يهبط التعويل على البحر الأبيض المتوسط من المنزلة الاولى الى ما دون ذلك عند اشتداد الاخطار واقترابها من صميم البلاد الانجليزية

هذا الشك فى الموقف الدولى المقبل سيفيد البلاد العربية على الجملة ، وقلما يضيرها او يهون من امر المساعدة التى تستطيعها فى الساعة العصيبة

لأن الدول العظمى ستعتمد على زيادة التسليح دون الحلفاء والانصار ، وستعجز عن توفير السلاح لها ولأمم الشرق العربى المربوطة بسياستها ، وستعلم ان قوة هذه الامم امر لا مناص منه لدفع الغارات عن حدودها ، إذ ليس فى طاقة الدول العظمى إبان الخطر ان تزودها بجميع ما تحتاج اليه من سلاح ، اما اذا تركتها عزلاء مفتوحة الثغور والمقاتل ، وأبت عليها القوة كما كانت تأباها من قبل ، فهى ، ـ أى الدول العظمى ـ اول من يصار بهذه السياسة الفاشلة ، لأن خصما من الخصوم الذين لا تعلم من هم الآن سيضربها لا محالة فى ذلك المقتل المفتوح

فالنتيجة الاولى من نتائج الأزمة الدولية واشتباه الامور فى الازمة المقبلة ، انها ستؤدى الى زيادة فى قوة الامم العربية من الوجهة العسكرية ، وانها ستكون عاملا من العوامل التى يحسب لها حساب فى ميدان الحرب القادمة وفى ميدان المسائل العالمية عامة ، ومن هنا تكسب حرية لم تكن لتكسبها بغير هذه الوسيلة ، وتعنى الدول العظمى بآرائها وميولها عناية لم تكن معروفة ولا منظورة فى اوائل القرن الحاضر ، وسيصحب هذا ما لا بد ان يصحبه من ثقل التبعات والتكاليف وشراء الاسلحة والذخائر وتدريب الجنود والضباط ، فتزداد الصلة بين أبنائها و بين ابناء الدول العظمى ، وتدخل العلاقات بين الفريقين فى دور جديد من المصافاة والمساواة

يقول قائل : ولماذا تختار الدول العظمى هذا الطريق ولا تختار الطريق الآخر ، وهو إضعاف الأمم العربية و ارغامها واضطرارها عنوة الى متابعتها فى سياستها وحروبها ؟

ونقول : إنها لا تفعل ذلك لانها إن فعلته كانت مضطرة الى ابقاء جيش كبير فى كل منها ذى غرضين مزدوجين بدلا من غرض واحد ، أول هذين الغرضين هو تهدئة البلاد وقمع ثوراتها ، والثانى هو مكافحة الخصوم المغيرين ورد هجماتهم والتربص لحركاتهم ومساعيهم فى تلك البلاد المقهورة ، ولا مصلحة لسياسى حكيم فى ارتكاب مثل هذه الغلطات التى تزيد الاعباء وتزيد الاعداء

***

واذا بقى الوفاق بين بريطانيـا العظمى وفرنسا على ما يبدو الآن من تقارب المصالح فى

السياسة الدولية ، فمن المنظور جداً ان تيسر كلتاهما اسباب التحالف والتآلف بين بلدان الامم العربية ، لأن هذا التحالف يضمن لها قوة واحدة وسداً منيعاً بين خصومهما واقطار آسيا وافريقا ، ويجعل العالم العربى بمثابة دولة واحدة معروفة الوجهة عند انقسام المعسكرات الدولية ، ويقرر العلاقات البريطانية والفرنسية بالعالم العربى تقريراً يمنع المنافسة والاشتباك ، ولاسيما اذا تيسر الاتفاق على الأسواق التجارية فى اقطار الشرق الادنى وهو يسير

* * *

لكن هل يبقى الوفاق بين بريطانيا العظمى وفرنسا على ما يبدو لنا الآن ؟

المرجح انه يبقى

لأن انجلترا لن تأمن ايطاليا كما تأمن فرنسا ، إذ ليس فى « تطورات » السياسة الفرنسية — مهما تبتعد فى مقبل الايام — ما يهدد بريطانيا العظمى فى أملاكها ومواصلاتها ، ومتى كان الحذر من ايطاليا قائماً فليس من المعقول أن بريطانيا العظمى تقدم على محافاة فرنسا و إيطاليا فى وقت واحد ، فلا بد لها من مجاراة السياسة الفرنسية التى تلتقى وسياستها فى اتجاه واحد ، سواء نظرنا الى الاشتراك فى اتقاء أعداء البحر الأبيض المتوسط ، أو الى الاشتراك فى اتقاء طغيان اليابان على أملاك الدولتين في آسيا الشرقية ، أو الى الاشتراك فى طلب السلم واقصاء المشكلات جهد المستطاع

هذا من جانب بريطانيا العظمى

أما من جانب فرنسا فهى تحتاج الى النفط والى الجنود الوطنيين فى شمال افريقا وغربها ، ولا غنى لها فى كلتا الحالتين عن مسالمة بريطانيا العظمي ، وهى تحتاج الى من يحمى ظهرها يوم تستهدف للهجوم من جانب الألمان أو الطليان أو لهجوم كلتا الأمتين من جانب الأسبان

فالسياستان الانجليزية والفرنسية أقرب سياستين الى التكافل والتعمير الطويل فى جميع المشكلات المحذورة ، ومن هنا لا يبعد أن تتفقا على اراحة البال من ناحية الشرق الادنى بتشجيع حلف عربى كبير تسير سياسته فى اتجاه معروف مأمون ، وبالتساهل فى وجوه الخلاف التى ليست من الخطر والجسامة بحيث تحجب هذه الغاية الكبيرة ، ومنها ترويج الثقافة والتجارة بغير تنافس أو ملاحاة بين الدولتين ، ولا بين الأمم العربية المختلفة . وسيكون لذلك أثره فى تعظيم شأن الجامعتين المصريتين ، واحياء الصناعات المحلية وتبادل التجارة فيها ،

واختلاط الأسواق وتخفيف المكوس أو مشقات التبادل بينها

فاذا منع هذه السياسة الرشيدة مانع فلن يكون هذا المانع صعوبة تحقيقها أو بعدها عن المنطق والاحتمال ، وانما يمنعها فيما نعتقد ذلك الدأب الذى درجت عليه السياسة البريطانية من قديم الزمن ، ألا « تراهن على حصان واحد » ، أولا تكشف اعتمادها على صداقة دولة واحدة ، وكأنها تخشى أن تطمئن فرنسا الى المعاونة البريطانية فتهمل رعايتها ولا تؤدى الثمن المتجدد لتلك الرعاية فى كل أزمة ذات شعب ومناوشات ، وتؤثر من أجل هذا أن ترسل يديها طليقتين تصافحان باليمين والشمال ، ولا تدعان صديقاً أو عدواً على يقين مما يصنعه قد يبطل المساومة والمناورة فيما يلى من الازمات

إلا أن هذه الحيطة لا تمنعها أن تغض الطرف عن السياسة التي ترى لها مصلحة فيها إذا جاءت من قبل الأمم العربية وسارت فى الوجهة المأمونة

* * *

وعلى هذا نرجح أن الأزمة الدولية ستفيد العالم العربى (١) زيادة فى الحرية ، و (٢) زيادة فى القوة الحربية ، و (٣) زيادة فى القيمة السياسية ، و (٤) اتصالا حسناً فيما بين الامم العربية كافة وما يجاورها من الأمم الشبيهة بها فى المصالح الدولية كتركيا وايران ، و (٥) اتصالا حسناً فيما بين هذه الأمم والدولتين الكبيرتين بريطانيا العظمى وفرنسا ، و (٦) انتفاعاً من سائر الدول التى تسعى فى استرضاء العالم العربى واغرائه بصفقات المال والسياسة ، و (٧) اطمئناناً الى المستقبل أوثق من اطمئنانه قبل عشر سنوات

يقابل هذه الفوائد من جانب التكاليف زيادة التبعات والأعباء ، وقد تصلحها زيادة الرواج واتساع الأسواق ، وقد نكون فى جميع ما تقدم ناظرين الى المصير نظرة التفاؤل الذى يعززه أنه أحب من التشاؤم ، وأنه أصدق وأوضح فيما نركن اليه من دواعيه

عباس محمود العقاد

أتيح للاستاذ كريم ثابت منذ مدة غير طويلة أن يسافر الى استانبول ، وان يزور انقرة عاصمة تركيا الجديدة . وقد اجتمع في أثناء زيارته بفخامة الرئيس عصمت باشا . وحادثه وسمع منه ورأى من أعماله العظيمة واعجاب الشعب التركي به مادونه فى هذا المقال النفيس

عصمت باشا

السياسى الداهية ، والرئيس المحبوب

بقلم الاستاذ كريم ثابت



عصمت باشا

عصمت فى الحركة الكمالية

يقول الذين كانوا مع الغازى كمال أتاتورك فى الاناضول لما شرع فى أعداد معدات حركته العظيمة انه لما بلغه ان عصمت باشا نزل الاناضول لينضم إلى الحركة قال فى جمع حافل من القواد والانصار : «الآن ارتاحت نفسى وازددت ثقة بالنجاح فها هو ذا صديقى وأخى فى الشدائد جاء يعضدنى فى حركتى »

أما كيف وصل عصمت الى الاناضول يومئذ فأشبه شيء بالروايات الخيالية . فقد كان جواسيس حكومة استامبول يراقبونه فى ذلك الحين مراقبة شديدة أسوة بجميع الوطنيين الذين كان يخشى من انضمامهم الى الحركة الكمالية ، فانتهز ليلة كثيرة المطر والعواصف ، واجتاز البحر فى استامبول إلى الشاطىء الأسيوى (الاناضولى) بزورق صغير ، وما زال يجدف بنفسه ويصارع الامواج ويعالجها فى تلك الليلة الظلماء ، حتى بلغ ساحة الاناضول قبيل طلوع الفجر ، ومن هناك اتجه الى أنقرة على قدميه فى أسمال بالية متنكراً بشكل الرعاة ، فتسلق الجبال وهبط الاودية وافترش العبراء ليالى كثيرة حتى وصل إلى قلب الاناضول . وكان الغازى قد سمع بقدومه فخف الى لقائه وهو فى الطريق الى أنقرة فتعانقا وبكيا

رأى القيادة العامة الالمانية فيه

وما كاد عصمت يصل إلى أنقرة حتى أسندت اليه رياسة أركان الحرب العامة وقيادة الساحة

العربية ، فكان قراراً موفقا . وليس هنا مقام التبسط فى سيرة عصمت ولكن حسب الكاتب للدلالة على ما أظهره فى أثناء الحرب العظمى من مقدرة وكفاءة ان يذكر عنه أنه لما زار الامبراطور غليوم الثانى استامبول فى خلال تلك الحرب ، طلب رؤيته ، ولما اجتمع به علق على صدره بيده نيشان الصليب الحديدى من الطبقة الاولى ، وكان أرفع الياشين العسكرية الالمانية فى عهد الامبراطورية ، وقد اشتهر فى جميع المعارك التى خاض غمارها بانه القائد المفاجىء الذى يأخذ العدو على غرة وينقض عليه بسرعة البرق حتى ان القيادة العامة الالمانية كتبت عنه فى إبان الحرب العظمى تقول : « انه يضارع زميله مكنسن الالمانى فى سرعة الانقضاض على العدو »

سياسى داهية فى مؤتمر لوزان

ولم يظهر عصمت بمظهر السياسى الداهية الا فى مؤتمر لوزان ، فأدهش العالم بكياسته وبراعته وسعة حيلته حتى قيل يومئذ إنه يتظاهر بانه مصاب بشىء من الصمم كسباً للوقت فلا يرد على سؤال قبل أن يحيط بكل ما ينطوى عليه ، وصفوة القول انه لم يعد الى بلاده الا بعد ما مزق معاهدة « سيفر » ، وحمل الدول العظمى على الاعتراف باستقلال تركيا استقلالا تاماً وعلى احترام سيادتها القومية احتراما كاملا

ومن ذلك الحين والحكومة الكمالية تستفيد بمواهبه السياسية والادارية العظيمة ، ولولا فترتان قصيرتان من الزمان تخلى فيهما فخامته فى أثنائهما عن الحكم لأمكن القول بأنه ترأس تلك الحكومة منذ انتخاب الغازى رئيساً للجمهورية حتى آخر أيام حياته

مكانة عصمت فى تركيا

وكل من يزور تركيا الحديثة ويدرس أحوالها وأحوال حكومتها يتحقق من أن عصمت كان الرأس المحرك للاداة الحكومية كلها ، وكل من له المام بما كانت عليه حالة الحكومة التركية فى العهد القديم يستطيع أن يصور المجهود الجبار الذى بذله فخامته لتنظيمها وتطهيرها ، فهو لم يكن يد الغازى اليمنى ومستشاره الأول فقط ، بل كان خير من اعتمد عليه الغازى فى النهوض بمهام الحكم الشاقة ، فى دولة ناهضة ، كان عليها — وما برح عليها — أن تنشىء كل شىء وأن تنظم كل شىء

واعترف الترك لعصمت بنبوغه ومكانته ، فلا تدخل مصلحة حكومية أو معهداً علمياً أو بيتاً مالياً دون أن ترى صورته معلقة بجانب صورة الغازى أو في الجهة المقابلة لها

بل انى رأيت الوزراء أنفسهم يعاملونه معاملة الرئيس الحقيقى ويحيطونه بكل مظاهر الاحترام والتبجيل لما يعهدونه فيه من كفاءة نادرة

كيف رأيته في أنقرة

وأبرز صفاته التواضع ـ اجتمعت به أول مرة فى سفارة السويد فى انقرة ، فى حفلة الشاى التى أقيمت فيها لسمو ولى عهد السويد عند زيارته للعاصمة الكمالية فأبصرته ينتقل من جهة الى أخرى مسلماً على الحاضرين برقة وابتسامة تكاد تكون مطبوعة على شفتيه وهى الابتسامة التى قيل عنها : « إنها أذابت أسارير العبوسة والقطوب التى كانت مرتسمة على وجه اللورد كرزن فى مؤتمر لوزان »

ثم رأيته مرة ثانية يتعشى فى مطعم « كارلتش » فى أنقره مع بعض أصدقائه ، ولولا معرفتى له لما شعرت بأن رئيس الحكومة وقطبها جالس الى مائدة من تلك الموائد كأنه فرد من الأفراد العاديين،وكان اذا دخل صديق له وحياه ينهض عن كرسيه قليلا ويحنى رأسه مسلماً والابتسامة على شفتيه دائماً

والمرة الثالثة التى شاهدته فيها كانت فى ميدان سباق الخيل وقد جلس فى مقصورة الوزراء وسفراء الدول مع السيدة قرينته وكريمته الصغيرة ، وكان تارة يحادث بعض زملائه الحاضرين وطوراً يداعب ابنته ، وقد عرف بين قومه بأنه رب عائلة صالح ، فكان هذا سبباً آخر من أهم أسباب حبهم له ، وتلطف فى تلك المناسبة فقدمنى للسيدة زوجته وللآنسة كريمته

والسيدة حرمه من فضليات السيدات ولها فى تركيا ـ ولا سيما فى أوساطها النسائية ـ منزلة خاصة ، اكتسبتها بعلمها وفضلها ، ومما يذكر أنها لما كانت جالسة الى جانب قرينها فى سباق الخيل جاءت سيدة عجوز تعرفها وجلست بجوارها ، فلم يكن من عصمتها إلا أن نهضت لها ولثمت يدها

وصف وجيز له

والرئيس عصمت ربعة نحيل الجسم ، لعب الشيب بشعر رأسه وحاجبيه ، أما لون شاربيه فما زال أسود . له عينان كبيرتان ارتسمت حولهما علائم التعب ولكنه نشط الحركة سريعها

كثير الصمت ، يترك المجال لمحدثه حتى يفرغ من كلامه ، ثم يبدأ هو بالكلام فلا يقول إلا قليلا غير أن هذا القليل يترك أثراً عميقاً فى النفس

حلو الحديث ، يتكلم الفرنسية بسهولة ، وعندما يحادث أحداً يدنى رأسه منه ويحدق بعينيه الواسعتين اليه ، ويعزو العارفون ذلك الى ضعف سمعه ، وهو لبق فى حديثه جذاب لم يخطىء من قال فى وصفه : إن دماثة خلقه هى الظاهرة الحساسة التى تبدو جلية فى شخصيته العظيمة

شعوره نحو مصر

قدمنى له صديقى عبد الملك حمزة بك ، وكان إذ ذاك وزيراً مفوضاً لمصر في تركيا ، فحيانى أطيب تحية ، وبعد حديث قصير قال له مدير المطبوعات التركية : « ان الأستاذ ثابت قدم تركيا ليمثل

حريدته فى المؤتمر البرلمانى الدولى » . فقال لى فخامته : « لقد أيدكم الوفد التركى فى المؤتمر في مسألة الامتيازات الأجنبية تأييداً تاماً ، وقد سرنى ذلك حداً ، فمن الواحب علينا أن نساعدكم وأن نشد اررکم » . فقلت : « ان الموقف الشريف الذى وقفه الوفد التركى فى هذه المسألة سيكون له وقع عظيم فى مصر » . فقال : « ان وفدنا لم يصنع أكثر من تأدية الواحب عليه »

اننا نعمل بكل قوانا

وذكر له مدير المطبوعات انى أقضى أيامى فى انقرة فى زيارة معاهدها ومشاهدة مؤسساتها ، فقال فخامته بتواضع : « ليس فى أنقره شىء كثير يرى » . فقلت : « بل اظن يا سيدى الرئيس أن هناك أشياء كثيره ترى » . فلمعت عيناه وقال باسماً : « مثل ماذا ؟ » . فقلت : « هناك قبل كل شىء الرغبة الصادقة فى البناء والعزم الموطد على ان تكفوا أنفسكم بأنفسكم » . فقال : « هذا صحيح . هـذا صحيح . ولـكن لا تنس فى حولاتك ان كل شىء فى انقرة شاب ، فالعاصمة شابة والأشجار التى تراها فى الشوارع شابة ... » وهنا ابتسم وقال : « ونحن شبان أيضاً » . ثم مضى فى حديثه الأول فقال : « ولـكننا ماضون فى العمل بكل قوانا وبكل جهودنا »

ارتياح الدول الى انتخابه

وقد قوبل انتخاب عصمت حلفاً لـكمال أتاتورك بسرور وارتياح كبيرين فى أوربا كلها ، لاسيما فى البلدان المجاورة لتركيا وفى مقدمتها دول البلقان ، فان هذه الدول تذكر للرئيس الجديد الجهود العظيمة التى بذلها لتركيز علاقات تركيا بها على قاعده متينة من الصـداقة والود المتبادلين ، واليه يرجع الفضل الاكبر فى عقد ميثاق الصداقة وعدم الاعتداء مع اليونان بعد عداء دام سنين طويلة، واهتز فخامته فرصة عقد هذا الميثاق فزار اليونان فقابلته حكومة وشعباً ، بأعظم مجالى الترحيب والتبجيل ، اعترافا بما كان له من يد طولى في محو ذكرى الماضى

هذا من ناحية الدول العربية ، أما الدول العربية فاستبشرت خيراً بهذا الانتخاب لأنها تعرف ان سياسة عصمت الخارجية رمت دائما الى تعزيز علاقات تركيا بالشعوب الشرقية والعربيـة دون ان تنطوى على مطمع فتح أو استعمار ، وقد برهن عصمت على ذلك بسياسته مع العراق ممـا بعث المغفور له الملك فيصل على زيارة انقرة زيارة رسمية ، يوثيقاً لعرى الصداقة مع رجال تركيا الحديثة

ولـكن ما كاد عصمت يعتزل رياسة الوزارة حتى نشأت مشكلة الاسكندرونة وأصر الترك على احتلالها غير مكترثين لاحتجاجات سورية ، ويقول العارفون بأنه لوظل فخامته رئيساً للحكومة لما تعذر حل هذه المشكلة بشكل آخر ، ولاستمرت علاقات تركيا وسورية سائرة فى طريقها الطبيعى لا تشوبها شائبة

كريم ثابت

رأس السنة عند قدماء المصريين

المصريون يبتكرون هدايا العيد

بقلم الاستاذ محرم كمال

الأمين المساعد بالمتحف المصرى

وضع المصريون القدماء منذ أقدم العصور قواعد معينة لتقويمهم السنوى أصبحت بعد شيء من التهذيب والتحوير أساساً للتقويم العام المستعمل حتى اليوم . فقد قسم المصريون السنة الى اثنىعشر شهراً ، وقسموا الشهر الى ثلاثين يوما ، فأصبحت السنة بذلك مكونة عندهم من ٣٦٠ يوما . ولما لاحظوا أن السنة الحقيقية تزيد على ذلك ، أضافوا الى نهاية السنة خمسة أيام (تقابل ما يعرف الآن بأيام النسىء) فتكونت سنتهم من ٣٦٥ يوما تكويناً نهائياً . ثم عادوا فقسموا الاثنى عشر شهراً الى ثلاثة فصول بكل فصل منها مائة وعشرون يوماً (أى أربعة أشهر) ، وأطلقوا على هذه الفصول أسماءالفترات الثلاث الهامة فى الزراعة المصرية ، فسمى أحد هذه الفصول ، فصل الفيضان (بالمصرية القديمة «أخت») ، وسمى الثانى فصل التخضير (الشتاء ، بالمصرية القديمة « برت ») ، وسمى الثالث فصل الحصاد (الصيف ، بالمصرية القديمة «شمو») ، واعتبروا اليوم الأول من فصل الفيضان هو رأس السنة المصرية وسموه «أوبت ربت» أى افتتاح السنة ، وكان هذا اليوم حوالى اليوم العشرين من شهر يوليو بحسب تاريخنا الحالى

على أن هذا التقويم الذى سبق وصفه والذى كان مستعملا حتى فى عصر الدولة القديمة أدى الى جملة مصاعب نشأت عن أن هذه السنة المكونة من ٣٦٥ يوما كانت تنقص عن السنة الحقيقية (وهى بالحساب الفلكى نحو ٣٦٥ يوما وربع يوم) ربع يوم فى كل سنة.وانبنى على هذا أن أصبحت سنتهم تنقص يوما كاملا كل أربعة أعوام عن السنة الحقيقية الفلكية (إذ أنهم لم يلجأوا ، كما نفعل نحن ، الى اضافة يوم كل أربعة أعوام فى السنة الكبيسة) وأصبحت سنتهم أيضا تبعاً لذلك تتقدم عن السنة الحقيقية الفلكية بشهر كامل كل ١٢٠ عاما تقريباً ، فاذا فرضنا أن يوم رأس السنة فى عام ٢٧٨٢ ق . م . وقع فى مبدأ فصل الفيضان ، فان هذا اليوم نفسه يقع عام ٢٥٤٢ ق . م قبل الفيضان بمدة شهرين ، وفى عام ٢٣٠٢ ق . م يصبح الفرق عظيما بحيث يقع الفصل الذى

بسمونه الفيضان فى الاشهر الأربعة التى يجمعون فيها محصولاتهم (زمن الحصاد) . وكان من اللازم لكي تتعادل السنتان ــ سنتهم الاصطلاحية والسنة الحقيقية الفلكية (التى لم يتوصلوا الى معرفتها ولم يتمكنوا من استعمالها) ــ أن تمر مدة طويلة تبلغ نحو ١٤٦٠ عاما ، فيصبح يوم رأس السنة فى عام ١٣٢٢ ق . م متفقاً مع اليوم العشرين من شهر يوليو ، أى المبدأ الرسمى للفيضان عندهم

تغير مواعيد رأس السنة المصرية

عند مابدأ المصريون فى وضع تقويمهم اتفق يوم رأس السنة مع ظهور نجم الشعري اليمانية . وبهذا الحادث الفلكي ــ أى اليوم الذى ظهر فيه كوكب الشعرى اليمانية فى السماء قبل شروق الشمس بقليل وذلك بعد احتجاب هذا النجم مدة من الزمن ــ حدث عند منفيس فى اليوم التاسع عشر من شهر يولية بحسب التقويم الجوليانى حول الوقت الذى بدأ فيه النيل فى الفيضان ، ولو أن المصريين اتخذوا هذا الوقت دائما مبدأ لسنتهم لبدأ فصل الفيضان « أخت » لديهم دائما حول منتصف يولية الى منتصف نوفمبر ، ولوقع فصل الشتاء « برت » بين منتصف نوفمبر ــ ومنتصف مارس ، ولوقع فصل الصيف « شمو » بين منتصف مارس ومنتصف يوليو . ولكن المصريين باتباعهم سنتهم الاصطلاحية التى اصطلحوا على تكوينها من ٣٦٥ يوما فقط (أى بنقص ربع يوم فى كل سنة عن السنة الحقيقية) جعلوا الصيف الحقيقى يقع فى بعض الأحيان فى فصل الشتاء على حسب سنتهم الاصطلاحية والعكس بالعكس

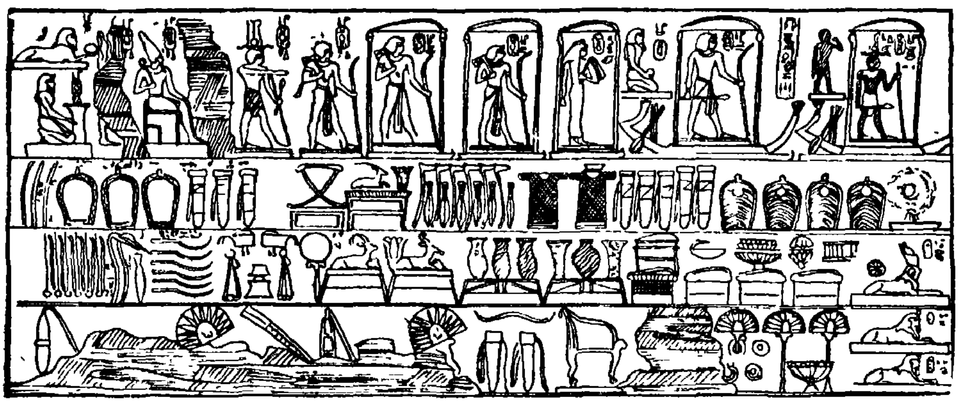
فيتضح مما سبق أن سنة المصريين كانت متغيرة المواعيد ، فالفترات فيها والشهور التى تكونها لم تكن تتفق فى المعتاد مع فترات الطبيعة ومع ذلك فقد ظلوا يستعملونها لما فيها من فوائد عملية ، أما رجال الزراعة والكهنة من المصريين فقد كانوا يجرون فى زراعتهم وفى بعض احتفالاتهم على سنة الطبيعة ، وكانوا يحتفظون بالتقاليد القديمة التى كانت تقضى بأن اليوم الذى يجب أن يعتبر مبدأ للسنة وللفيضان هو اليوم الذى عاد كوكب الشعرى اليمانية الى ظهوره فيه فى السماء صباحا لأول مرة

هدايا العيد

كان يوم رأس السنة من الأيام الممتازة التي يحتفل بها . وكانت العادة تقضى عند المصريين القدماء بتقديم الهدايا وتبادلها لهذه المناسبة السعيدة . فقد ورد فى نصوص أسيوط نص بمقبرة « حب حفا » ذكر فيه « ان أهل المنزل يتقدمون بالهدايا إلى رب الدار فى هذا العيد » . فهذه العادة ــ عادة تقديم الهدايا ــ ليست افرنجية كما يتبادر إلى ذهن البعض ، وانما هي عادة مصرية قديمة يرجع عهدها الى آلاف السنين . وهناك صور عدة وردت على جدران مقبرة أحد كبار

الموظفين فى عصر أمنحتب الثالث ترينا جانباً من الهدايا التى قدمها هذا الموظف الكبير الى الملك « هدية العام الجديد » فنرى بينها عربات من الفضة والذهب وتماثيل من العاج والآبنوس ، وقلائد مختلفة الانواع ، وجواهر وأسلحة وقطع فنية عديدة . وكانت هذه التماثيل تمثل الملك وأسلافه فى أوضاع مختلفة وبملابس متباينة ، بل إن بعضها تجاوز ذلك الى تمثيل الملك على هيئة أبى الهول . أما الاسلحة فاننا نرى بينها الخناجر والحراب والدروع ومئات من جعب السهام المصنوعة من الجلد ونحو ٦٨٠ من التروس المصنوعة من الجلود النادرة ونحو ٣٠ هراوة من الآسوس المغطى بالذهب والفضة ، و١٤٠ خنجراً من البرونز و ٣٦٠ سيفاً من البرونز على هيئة المنجل

يضاف الى كل ذلك جملة أوان من المعادن الثمينة ذات أشكال أسيوية مختلفة ، وكذا قطعتان كبيرتان من العاج تمثلان بعض الغزلان وفى فمها عدد من الازهار ، ولعل أهم مافى هذه الهدية قطعة فريدة على شكل بناء تعلوه نباتات تحمل أزهاراً ضخمة يمرح بينها عدد من القردة يطارد بعضهم بعضا . ولعل هذه القطعة كانت فى الأصل جزءاً من أدوات توضع على المائدة قد صنعت من معدن ثمين



بعض الهدايا التى قدمت للملك « أمنحتب » الثالث فى عيد رأس السنة . وترى بينها (فى الصف العلوى) تماثيل للملك ، يليها (فى الصف التالى) عدد من التروس وجعب السهام والأسلحة والعصى ، يليها (فى الصف الثالث) عدد من الاوانى . والصناديق والأسلحة التى على شكل المنجل ، وكذا قطعتان كبيرتان تمثلان نوعا من الغزلان ، فى فمه بعض الأزهار . أما (الصف السفلى) فترى فيه بعض التماثيل والمراوح والآنية والأقواس وجعب السهام . . . الخ

إذا ابتسم الطفل

بقلم الدكتور أمير بقطر
رئيس قسم التربية بالجامعة الامريكية

إذا ابتسم الطفل تمثلت فى ابتسامته عظمة الكون
ونعيم الايمان . . إذا ابتسم الطفل ، ابتسم العالم بأسره

بالأمس طلبت إلىّ « الهلال » أن أكتب فى موضوع « اذا ابتسمت المرأة » ، واليوم تطلب إلى أن أكتب فى موضوع « اذا ابتسم الطفل » ، ولعلها تريدنى ضمناً أن أوازن بين ابتسامة وابتسامة ، أو قد تريدنى أن أقول ان هناك من وجوه الشبه ووجوه التفاوت ، بين ابتسامة المرأة وابتسامة الطفل ، ما يلذ للقارىء سماعه

قسمت الكاتبة الانجليزية جانيت ستوارت عمر الانسان الى سبع مراحل ، أطلقت على كل مرحلة منه لونا من ألوان الطيف ، او قوس قزح ، السبعة . وستوارت راهبة من راهبات الدير قضت زهرة عمرها صامتة ، ولكنها تركت لعشاق الأدب الأخلاقى النفسى ، مذكرات عميقة المعنى ، دقيقة التحليل ، خصيبة الخيال . وقد اختارت للمرحلة الأولى ـ الى نهاية السنة السابعة ـ من عمر الانسان ، اللون الاحمر . وذكرت ان الذى حدا بها الى تخير هذا اللون ، هو ان الحياة فى مرحلة الطفولة الاولى تكون فطرية أوليـة ، وتكون أشعتها قليلة الانكسار ، ولونها احمر قاتما . ولا يخفى ان الاحمر هو أول ألوان الطيف التى يتحلل عنها اللون الابيض ، وهو أقل الالوان انكساراً ، كما ان البنفسجى هو آخر الألوان وأكثرها انكسارا . وتستطيع أن تطلق على كل مرحلة من مراحل العمر السبع ، اللون الذى يلائمها ، على الترتيب الذى تراه اذا ما سلطت شعاعا من الشمس على منشور زجاجى . فانك ترى اللون الاحمر يليه الاخضر ، فالبرتقالى ، فالاصفر (الذهبى) ، فالأزرق ، فالنيلى ، فالبنفسجى . ومتى أخذ العمر يطوى أيامه ، كما يطوى البدوى الرحالة خيامه ، تأخذ الألوان فى الذبول تدريجا حتى تصبح ناصعة

البياض . ومن مبادىء علم الطبيعة فى الضوء ان الابيض ليس لونا ، وانما هو مجموعة الالوان ، فاذا ما حللناه كما يحدث فى قوس قزح ، أو المنشور البلورى الذى أومأنا اليه ، انبسطت أمامنا الالوان السبعة على الترتيب السابق . ومتى أشرف العمر على الزوال او كان فى طريقه اليه أصبح بياضه ناصعا ، وهو ضوء تام ، عديم الانكسار ، متجمع ، إذ انه ضوء الأبدية . ومتى أغمض الانسان جفنيه لمه ذووه فى أكفان حالكة السواد ، والسواد كما نعلم ليس لونا ، ولكنه دليل على انعدام اللون ، كما ان الصفر ليس رقما ، ولكنه دليل على عدم الوجود

نعود الى لون الطفولة الأولى ، الأحمر لون الفطرة ، لون الوحشية ، لون الهمجية والاستهتار وعدم الاكتراث ، لون العصر الحجرى او ما قبل العصور التاريخية . وابتسامة الطفل فى المرحلة الاولى ابتسامة حمراء ، فطرية ، همجية ، مستهترة ، لا تعبأ بالماضى ، ولاتفكر فى المستقبل، ابتسامة أنانية ، لا يفكر صاحبها في شيء او فى احد ، إلا ذاته ، لانها كما يسميها علماء النفس « فعل منعكس » كطرفة العين ، وسائر الافعال المنعكسة ، التلقائية « الأتوماتيكية »

وابتسامة الطفل تكاد تكون على الدوام دليل الارتياح ، بعكس ما نراه فى غيره من البالغين . بيد ان ابتسامته قصيرة المدى ، فقد لا تستغرق الفترة بينها و بين العبوسة ثانيةواحدة. وهنا تلتقى المرأة بالطفل فى احدى ابتساماتها ، وقد سمينا ابتسامات المرأة فيما كتبناه بالامس ، بأسماء الالوان تبعا لما ينطوى تحت كل نوع منها من المعانى والمرامى ، و بين هذه ذكرنا الابتسامة الحمراء ، تلك الابتسامة الهوجاء المتقدة ، المتأججة ، الهمجية ، المستعرة . تلك التى لا تقل عن ابتسامة الطفل الفطرية ، الانانيــة ، المستهترة ، التى لا تفكر إلا فى ذاتها ، وتنسى ماضيها ، ولا تعبأ بمستقبلها . بيــد أن هناك وجها آخر من وجوه الشبه ، وهو أن ابتسامة الطفل على أنانيتها ، تغزو الآباء والأمهات ، وتتغلغل فى أحشائهم ، فيضحون فى سبيلها المــال والسعادة والحياة باسرها ، كما ان ابتسامة المرأة ، الحمراء ، برغم أنانيتها ، تغزو قلوب العشاق والمحبين ، فيضحون فى سبيلها المال ، والقوة ، والشرف والسعادة ، والحياة بأسرها . وهناك وجه ثالث من وجوه الشبه وهو ان الابتسامة الحمراء عند المرأة ، قصيرة العمر ، تتنقل بها من فريسة الى فريسة ، كما يتنقل الطفل بها من شيء الى شيء ، والطفل كما نعلم لا يفرق الى سن معلومة بين الاشخاص والأشياء ، كما ان المرأة ذات البسمة الحمراء أو القرنفلية ، قلما تفرق بين رجل ورجل ، إذ أن عندها كل الرجال سواء . أما سائر الألوان التى فصلناها فى مقالنا عن ابتسامة

المرأة ، فتتفق وسائر مراحل العمر الانسانى ، والـكلام عنها خارج عن نطاق هذا المقال

* * *

ولـكن ، لعمرى ، مالى أرانا نشوه هـذا الجمال ، بهذا التحليل الذى كاد يكون علمياً ؟ أليس فى ابتسامة الطفل سلاسة وسذاجة ، وهوادة وعذوبة ،تغنينا عن التحليل العلمى ؟ أليس فيها خفة تمازج الارواح ، وان كان صاحبها جافى الخلقة ، تنبو عنه الاحداق ؟ وهل يستطاب البحث العلمى فى الـكلام عن الجمال الفنى ؟ ألا يقبح الـكلام عن تحليل الماء الى أوكسيجين وهيدروجين ، عند وصف الغدير ومائه الصافى ، والتحدث عن مساقط المياه المتدفقة من قمم الجبال إلى بطون الوديان ؟ انظر الى الطفل فى المهد ، فى بضاضته وطراوته ، يبتسم فيفتر ثغره ملاحة ، وتجلل عينيه روعة . انظر الى الأم وقد أفضت الى الوليد بيدها ، فألفته رخصاً ، لين الملمس ، واذا بابتسامة تشرق من فمه كما تشرق الشمس من وراء الافق ، واذا بها تطبع على ثغره قبلة تحمر لها وجنتاه ، كزهرة طللها الندى قبيل الصباح

بيد أنه مهما قيل فى جمال هذه الابتسامة ، فاننا لا نستطيع البقاء طويلا محدقين النظر الى لوحة فنية ، إعجابا بها ، بغير أن نجنح بأنفسنا قليلا ، وننتحى ناحية من نواحى التأمل العميق، أو العلم ، أو الفلسفة إذا شئت تسميتها . هـذه الابتسامة الساذجة ، النقية ، الصافية ، كيف تحمل فى طياتها عبوسة بسمرك ، وغطرسة نابوليون ، وظلم نيرون ، و بطش الاسكندر ؟ ومن كان يجرؤ على التنبؤ بأن تلك الابتسامة المطرية القرنفلية ، الوقتية ، تستحيل فى الطفل أدولف، إلى قسوة هتلر ، وقوته الفولاذية ، وعزيمته التى تفل الحديد ولا تفل ؟ ومن كان يقول إن بسمة الطفل بنيتو فى ذلك المهد المتواضع ، فى ذلك الـكوخ الخامل الذكر ، تستحيل إلى نظرات موسولينى الحادة الجبارة ، وفمه الحازم المـكفهر ، وعضلاته التى تتأهب للغزو ، وتستجمع للوثوب ، فى اليقظة والمنام على السواء ؟

ومن ذا الذى طاف برأسه أن ذلك الطفل المغولى ، الذى أفرغ فى قالب الجمال ، وترقرق فى وجهه ماء الطهر والصفاء ، تتصلب بسمته اللينة المرنة بعد حين ، و يجتاح صاحبها قارات بأسرها باسم جنكيز خان أو قبلاى خان أو أوغداى خان أو تيمورلنك ؟

ومن ذا الذى كان يظن أن تلك الطفلة الاغريقية المصرية الساذجة ، وما يفتر عن ثغرها الباسم من ثنايا كاللؤلؤ المنظوم . سوف تدوخ القواد والملوك ، وتغزو الافئدة والجوانح باسم كليوبطرة ، وتبهتر لجمالها البلدان من ضفاف التيبر الى ضفاف النيل ؟

ومن كان يدرى أن ابتسامة مارى الهادئة الشفافة التى كانت تعكس نوراً سماويا على عينيها الزرقاوين فتزيدها نقاء وطهراً ـ من كان يدرى أن هـذه الابتسامة تستحيل سحراً ، يفتتن به العظماء والـكبراء ، فيجلب على صاحبته باسم ملـكة الاسكوتلنديين العار والفضيحة وجز العنق ؟

أترى لو كان للاطفال قوة خارقة العادة تخترق بها أنظارهم حجب المستقبل ، هل كانوا يبتسمون حقا ؟ وكيف كان يبتسم لويس الصغير وهو يعلم أن قواد الثورة الفرنسية سيفصلون رأسه عن جسمه باسم لويس السادس عشر ؟ ، وكيف كانت تبتسم الاميرة الصغيرة مارى وهى تعلم أنها ستلاقى حتفها على أيدى شعبها ، وهى رطبة العود بارعة الجمال لأنها مارى انطوانيت ملـكة فرنسا . وكيف كانت تبتسم تلك الفتاة العربية النابهة ، وهى تعلم أنها ستقضى العمر فى نظم الشعر بكاء على أخيها صخر ، وأن العالم بأسره سيعرفها باسم الخنساء سيدة الرثاء ؟

واـكن . . كم كانت الطبيعة حكيمة ! أليس العالم فى حاجة إلى طفل يبتسم فى بدء عهده بالحياة فى وداعة وحلاوة وهدوء ، ثم ينقلب بعد حين كالريح الزعزع يكسح كل شىء أمامه ، ويغرق البشرية فى لجة من الدماء والنيران والحروب ، فتطهر وتنقى وتصفى ؟ . أليس العالم فى حاجة إلى طفل يبتسم فى المهد والشيخوخة وعلى حافة اللحد وهو ينادى على الدوام « على الأرض السلام وفى الناس المسرة ؟» . كان علماء تحسين النسل « Eugenics » منذ سنوات قليلة مضت يزعمون أنهم على حق فى تعقيم البلهاء والمجرمين ومدمنى المخدرات حتى لا يبتلى العالم بذرياتهم الفاسدة ، أما اليوم فقد أخذوا يشكون فى هذه الاجراءات الصارمة بدعوى أن العالم فى حاجة الى بعض هؤلاء على الاقل ، حاجته الى العباقرة

قال أحد الخياليين ان الطفل برغم ابتسامته الحلوة ، تشف طبيعته منذ نعومة أظفاره عن نفس قد تـكون حديدية أو عاجية أو بلورية ، فالنفس الحديدية يكون صاحبها قويا كالجلمود، وكأنه خلق للنضال والـكفاح والسجون والهموم واجتياز العقبات والعيش فى جو من الضوضاء والاضطراب والغليان

أما النفس العاجية ، فقوامها العقل والقلب معاً ، ويذكرنا صاحبها بتاريخ القطعة العاجية وما مر بها من حوادث ، تاريخ تمثلت فيه الحرية الطليقة فى الادغال والغابات . وما كان يتخللها من مرح وسعادة وخـلو من كل هم ، ثم تلا ذلك تحول غريب ـ موت

ثم حياة جديدة كلها نقاء وعفة ولذة أبدية ، حلوة . انظر الى تمثال من العاج وتأمل فى تقاطيعه وخطوطه التى تنبىء أن المادة التى صنع منها تكاد تذب فيها الحياة ، والتى هى رمز الصفاء والطهر . والنفس البلورية لا تحتاج الى تفصيل أو ايضاح ، اذ أنك تقرأ فيها صاحبها كما تقرأ الكتابة على لوحة الزجاج . هى النفس الصادقة التى لا يشوبها غمام ، أو رياء ، أو تقليد ، أو طلاء حارجى . هى النفس التي تبصر فيها كل ما يمر بها من الألوان التى ترى بالعين المجردة وغير المجردة

وهناك النفس النارية ، التى لا تشبع ، ولا ترضى بقليل أو كثير . هى التى تمتد مطامحها إلى ما وراء الأفق . وصاحب هذه النفس إما ان يكون نبياً مصلحاً ، عظيما عبقرياً ، أو سفاحاً هداماً مجرماً ، عدو الانسانية

ومن نعم الطبيعة على العباد ان ابتسامة الطفل في بدء عهده بالحياة ، لا تكشف عما تخفيه وراءها من الحديد أو العاج او البلور أو النار ، وان كلا من هذه النفوس تعيش وتترعرع وتملأ العالم بؤساً وشقاء ، او سعادة وسلاماً ، والا لكان العالم جنات تجرى من تحتها الانهار ، وأصبحت الحياة فيه تجرى على وتيرة واحدة ، ولا تطاق

* * *

اذا ابتسم الطفل تمثلت فى ابتسامته عظمة الكون ومعنى الابدية ونعيم الايمان ، وراحت امه تقرأ فى جبينه آيات الآمال والأمانى ، كما يقرأ الفنان لغة السحاب والماء والرياح والصخور ، وأخذت فيها الروح تتجرد عن قيود المادة وتؤمن بالخلود . إذا ابتسم الطفل ابتسم له العالم بأسره ، وانطلق أبناؤه فى احضان الطبيعة يتأملون فى أسرارها كأنهم يبحثون بمصباح ديوجين عن نبى جديد ينقذ البشرية من ويلاتها

أمير بقطر

الى مشتركى الهلال فى البرازيل

تتشرف ادارة الهلال باعلان حضرات المشتركين فى البرازيل انها عهدت في وكالتها الى الاديب السيد رشيد سليم الخورى بسان باولو

كيف تؤثر الأمراض في الأخلاق

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

الجسم والنفس وحدة متماسكة . وأصل المرض أن يحدث فى الجسم ما يقلب هذا التماسك رأساً على عقب

يمكن حصر جميع الامراض مهما تعددت أسبابها وتنوعت ضمن دائرة لا تتعدى أمرين ، الأول كائنات حيـة أو شبه حية تؤذى الجسم بما تحدثه من التوالد داخله ، أو بما تحدثه من التغييرات البيولوجية ، المتسببة عن وجودها أو بما تفرزه من السموم

والأمر الثانى مرض الجسم بفعل السموم ، وقد تـكون هذه السموم من فعل الجراثيم أو من فعل العقاقير أو من فعل الـكحول ، أو من اختلال عمليات التمثيل فى الجسم

بهذا التقسيم البسيط يمكن رد جميع الأمراض ضمن دائرة ضيقة ، ويبقى خارج هذه الدائرة شىء واحد بالغ الأهمية قد نسميه مرضاً أو لا نسميه ، ذلك هو مرض الأعصاب ، الناشىء عن اضطراب وظيفى لا علاقة له بميكروب ولا بتغيرات باثولوجية

ويهمنى أن أؤكد أن الجسم وحدة متماسكة لا يمكن فصل الصفة التشريحية منـه عن الصفة الفسيولوجية ولا عن الصفة السيكولوجية . ولقد قال المرحوم السبر دافيد ويلـكى فى احدى خطبه الشهيرة : إن من أهم اكتشافات الطب الباطنى فى الأيام الأخيرة ، أهمية نفسية المريض فى العلاج

تأثير المرض الميكروبى

نعود الآن الى تقسيمنا الذى بدأنا به ، فعن الامر الأول ـ المرض بسبب الـكائنات الحية أو شبه الحية ـ نقول إن هذه الـكائنات هى الميكروبات واللولبيات (كالزهرى) والطفيليات (كالبلهارسيا) واقصد بشبه الحية ، الأورام التى تنمو وتتوالد ولا ندرى بالضبط شيئاً عنها الى الآن كالسرطان والأورام الأخرى الحميدة . أما الأمراض الميكروبية ، فمنها الحادة ومنها المزمنة ، وليس للحادة تأثير خاص فى الأخلاق ، بل بالعكس يكون الانسان تحت تأثيرها فى شبه طوفان من الألم والذهول ، أما فى الامراض المزمنة فأهم الامراض التى تؤثر فى الاخلاق ـ « الـسل » . وقد ذكر ليونارد وليمز فى كتابه « العلل الصغرى » أنه يشخص السل قبل أن تتميز علاماته ، وذلك لأنه يضع قدمه على

نفسية المريض قبل أن يضعها على صدره ! . .كل المسلولين يتفردون بدقة الاحساس ورقه الشعور وعبادة الجمال ، ويتفردون أيضا بالاشراق والأمل والتفاؤل

ويتفردون أيضا بالنشاط الجنسي . وقد يعده الواحد منهم دليلا على الصحة والقوة ويزداد به تفاؤلا واستبشاراً وأملا فى الحياة

ويتفردون أيضا بالحيوية الفائقة والبديهة الحاضرة

ولهم سحنة خاصة . الوجه الوسيم الشاحب ذو العينين الواسعتين اللامعتين مع أهداب طويلة ساحرة

انظر الى كيتس وشيلر وكارن ماسفيلد ولورنس . . .

انظر الى هؤلاء العباقرة ، لقد لمعوا كالشهب وانطفأوا بسرعة ، وكانت تلك لمعات السل وتأثير « توكسينه » المنشط العجيب . لقد كان لورنس يعتقد أن أساس كل شيء الحاسة الجنسية ، لأنه لم يكن يدرى أن حاسته الجنسية المتيقظة عنده انما كانت من تأثير السل الذى مات به فيما بعد

أما الزهريات فأهمها « الزهرى » . والزهرى يبدأ كقرحة للاهمال والجهل . وينتهى بالنورستانيا والجنون ، وقد لا ينتهى بالجنون بل بالعبقرية ، لا فى المريض ذاته بل فى نسله

لا شك فى أن الزهرى من أهم الامراض صلة بالاخلاق من حيث مبدئه ومن حيث منتهاه . أما من حيث مبدئه ، فهو يطوى تحت جناحه إهمال والدين وصبياً عابثاً ورقابة ضائعة ورفاق سوء ، وهوساً ملوثة ، وأماكن لهو قذرة ، ثمرضا ، فاستشاره ، فعلاجا مبتورا مستترا ، أما نهايته فعرفها نحن الاطباء تماما ، فهى الفصل الختامى لرواية يحكى الفصل الأخير منها بعد الأول بعشرين عاما ، أعراض غامضة ، صداع ، دوار ، صعوبة فى النطق والحركة ، اضطراب في القلب والمفاصل ، الى آخر تلك الصوره التى تشير الى مرض يتناول الجسم بأجمعه ، واذا سئل المريض فهو لا يزال ينكر ونحن نعرف أنه ينكر ، لأنه الآن قد كبر وصار من المخجل أن يبوح بعبث الماضى ، نحلل له الدم والنخاع فنكتشف سره الماضى ، وينصرف الى علاجه ولكن بعد ما يكون المرض قد أنشب حدوره فى الأعصاب أو القلب . وصار الشفاء منه مستحيلا

ولقد عرفت بالتجربة أنه حتى بعد الشفاء تبقى دائما « عقابيل » الداء القديم ، تلك اللدغات الصغيرة المنغصة التى هى بمثابة التكفير الطويل عن خطيئة لحظات !

وشبيه بالزهرى وان كان أقل منه خطراً وأثراً — « السيلان »

فهو أيضا شديد الصلة بالأخلاق ، ومبتداه يطوى تحت جناحه ما انطوى تحت مبتدإ الزهرى ولكنه فى أيام علاجه القصار يقض مضجع المريض ويجعله سيء الخلق برما بالحياة ناشداً للعزلة نفوراً منطوياً على نفسه ، وكثيراً ما أدى به ذلك الى النورستانيا التى تبقى حتى بعد الشفاء ، وأعرف مرضى لا يصدقون أنهم قد شفوا

أما الطفيليات ، فعندنا فى مصر البلهارسيا والانكلوستوما ، وهما تؤثران فى أخلاق الفلاح تأثيراً واضحاً . ونظرة واحدة الى الفلاح تكفينا لندرك أنه يعيش على الصبر والايمان لا على الجسم السليم والدم الموفور . ان رأيي الخاص الذى لا أحيد عنه هو أن الفلاح مدين بكل أخلاقه ــ من الصبر والتسليم والادعان ــ للبلهارسيا والانكلوستوما ، من أحلهما عاش أجيراً ، ويوم نخلصه منهما وترد اليه الدم القوى السليم نخلق منه سيداً لايرضى بالدون من الطعام والطين

أما السرطان ، فهو فى نظرى شبيه بأمة عاصية متمردة ثائرة ، داخل أمة كبيرة يسيطر عليها الهدوء والأمان ، فاذا عرفنا أى تأثير خلقي تحدثه الفوضى فى النظام ، والتمرد فى الطاعة ، والسحب فى الجو الصافى ، فهذا موجز لحياة المريض بالسرطان ، وهذه صورة لأخلاقه ، على أنه لا يعيش طويلا وهذا من رحمة الله به

تأثير المرض الناشىء من السموم

أما السموم فهمنا أن نذكر منها اثنين

المخدرات ، والكحول ، وتتفقان فى أنهما « تحرثان » شخصية المريض ، أى تمشى الصفة التشريحية فى طريقها ، والفسيولوجية كما تحب . والسيكولوجية تسيطر على الجميع سيطرة الجاهل الجامح

ويختلف السكير عن مدمن المخدر بأنه يمرض دائما بالكبد

ومرضى الكبد لهم طابع خاص ينفردون به فى اخلاقهم ، فهم أبداً صفر الوجوه غائرو العيون ضيقو الصدور ، لا يقر لهم قرار ، ولا يستطيعون أن يركزوا الرأى على شيء

تأثير المرض العصبي

يبقى المرض الوظيفى ، أى اختلال الأعصاب بغير تغيرات باثولوجية . وأريد أن اذكر من جديد أن الاختلال الوظيفى يؤدى دائماً الى التغيرات الباثولوجية فى النهاية ، فان المرض سلسلة من التطور تبدأ بالبسيط وتنتهى بالمعقد

وعند النقطة التى نحن بصددها الآن قد نحسن ان نعكس الموضوع فنقول « علاقة الأخلاق بالأمراض » ! ما دمنا قد خرجنا من دائرة المرض الحقيقى الى الاختلال الوظيفى ، وهذا التقصير الوظيفى دائما منشؤه اعصاب مريضة منهوكة ، والأعصاب المريضة منشؤها أمر هو من الأخلاق فى الصميم

ما هى الأخلاق

راجعت نفسى وراجعت أصحابى فى كلمة « الأخلاق » فوجدنا كثيراً من الغموض حول هذه

الكلمة المألوفة . ولعل العلم استفاد من مراجعة المألوف أكثر مما استفاد من مراجعة الخوارق

أخلاق هذا وشخصية ذاك ، سلوك فلان وسجايا فلان ، الفاظ واجبة التحديد علمياً ولا يجوز اطلاقها جزافا

فطريقتنا الآن في معالجة موضوع الأخلاق والأمراض أن نحدد الأخلاق ما هى ، والأمراض ما هى ، ثم نرى أثر كل منهما فى الأخرى ، فسيرى القارىء فائدة كبيرة من ذلك التحليل

لكى نتكلم عن « أخلاق » أى شخص فى الحاضر يجب ان نرجع الى الماضى . كان ذلك الشخص طفلا ذات يوم ــ كان ولا يزال ــ مكوناً من جسم ورغبات ، أى من مادة وروح ، لندع المادة الآن لنتكلم عن الرغبات التى تكون روحاً أو ذاتاً أو نفساً أو « ايجو » أو سمها ما شئت

هى على كل حال مجموعة من الرغبات الأولية ، مشتركة فى جميع الناس متشابهة . وسم هذه الرغبات ــ الغرائز ، أو سمها نتيجة للغرائز . ذلك سواء ما دمت تعرف أن هاته الرغبات هى الطفل أولا وهى الرجل أخيراً . هاته الرغبات موروثة ، وكل رغبة يصحبها انفعال ، وعددها ثلاث عشرة مذكورة فى كل كتب علم النفس

وسأعيد ذكرها هنا للفائدة . الراحة الجسمية ، الشعور بالطمأنينة ، النجاة ، استرضاء القادر ، حب الظهور . المقاتلة والهجوم ، التزاوج ، الرعاية والحماية ، الغريزة الاجتماعية ، التقليد ، المطاردة ، الارتياد ، العودة الى المألوف

وهم الحى اشباع هاته الرغبات . فكلما حصل على فائدة رسخ فى نفسه طريق اشباع هاته الرغبة وصارت عادة اعتادها . وصار الطريق اتجاها يسلكه للحصول على تلك الفائدة

هنا يتبين جلياً أثر البيئة فى اشباع تلك الرغبات ، والحصول على الفائدة المرجوة

والبيئة تختلف ، فهناك الوالدان والاصحاب والمدرسة

فاشباع الرغبة والحصول على الفائدة (على أية صورة) يتوقفان على تفاعل الحى مع البيئة التى يعيش فيها واستجابتها لرغباته . فكلما استجيبت رغبة وتمت فائدة ، رسم طريق ورسخت عادة ، وهكذا حتى تتكون مجموعة من تلك الاتجاهات و « السجايا » . وخلاصة هاته المجموعة « أخلاق » الشخص الذى نحن بصدده ، وما هى إلا وليدة لقانون الاستمرار فى النمو ، وتجمع تجربة فوق تجربة ، واتجاه فوق اتجاه ، وعادة فوق أخرى ، ووليدة المواقف التى مرت عليه ، والمعاملة التى لقيها من الاهل والاصحاب والمربين

وما شأن التكوين الوراثى إذن ؟ اننا لا نرث الخلق الفردى مطلقاً ، أى اننا لا نرث السلوك ولا العاطفة . ولكننا نرث تركيباً كيمياوياً خاصاً يجعل التفاعل نحو ناحية واحدة محتملا ، ولكنه لا يحدده

أما العبقرية فلا جدال فى أنها تورث

ولعل من الفائدة ان أذكر وصفاً رائعاً لخلق العبقرى عثرت عليه فى « امرسون » فى كتابه «المقالات» ، وهو أن «ذات العبقرى» تتميز بشيئين : الاول شدة «تماسك» هاته الذات ، والثانى أن المغناطيسية متجمعة فى القطب الشمالى بها ، وعلى ذلك تطير نحوها الحوادث والايام والناس لتلتصق بها ، بينما تكون المغناطيسية فى الذات العادية متقلقلة أو منحدرة من مكانها نحو الجنوب ! كأنما هى تطلب من العالم « مستندات » تنفى عن نفسها حجة العجز !

والخلاصة أن الاخلاق هي تلك « الوحدة » المكونة من النزعات الفطرية والمكتسبه من التجارب والبيئة والتعليم . فاذا أعطيتها قيمة « تقديرية » سميتها « الاخلاق » وإذا أعطيتها صورة تجريدية روحية سميتها « الذات » وإذا أعطيتها صورة ملموسة مادية سميتها « الشخصية »

سمة الشخصية السليمة وميزتها التماسك والقوة والمغناطيسية الطبيعية ، وقد ذكرنا العوامل التى تتناول « الذات » الانسانية من أول امرها ، وقلنا انها ما هى إلا رغبات ، ثم تجارب ، ثم عادات ، وان البيئة من الوالدين الى الاهل الى الرفاق الى المدرسة ، لها أثر هائل فى بناء هاته الذات وتكوين هاته « الشخصية »

وأشد أثر تحدثه البيئة هو « صراع » داخلى بين الرغبات ونضال خفى يصرف الشخص عن تركيز قواه لمواجهة الحياة الخارجية وإعداد العدة لها

نضال ينهك قوته فيما لا يفيد . ويضيع حياته فى حرب تفكك بناء شخصيته وتنزل بمغناطيسيته الى الصفر

هذا النضال الخفى والصراع الدفين دائما مرجعه الى أمر فى الطفولة . وله صلة بالماضى حتما . ومن هنا كانت أهمية « الاخلاق » فى « الامراض » التى تنتاب أعصاب الشباب وتجعلهم غير صالحين للقيام بمواجهة أعباء الحياة

وخلاصة هذا المقال أن الجسم والنفس وحدة متماسكة ،وأن الجسم بكل محتوياته وحدة متماسكة، وأن النفس بكل ما اشتملت عليه من العناصر المختلفة وحدة متماسكة ، واصل المرض أن يحدث فى الجسم ما يقلب هذا التماسك رأساً على عقب ، وأصل العطب السيكولوجى حدوث ما يفكك الشخصية ويهد بناءها ، ولا يهد بناءها غير نزعات جامحة متضاربة ، غير مسيرة بعنان ولا محكومة بلجام

ومن ذلك يتبين جلياً تأثير الامراض فى الاخلاق ، والاخلاق فى الامراض

ابراهيم ناجى

فى المجمع اللغوى

في السابع عشر من شهر ديسمبر الماضى افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية عامه السادس ، أى انه طوى خمس سنوات مند انشائه . أحرج فى حلالها ثلاثة أجزاء من مجلته ، لا أدرى هل اطلع عليها قراء الهلال أو لم يطلعوا ، وهل استفاد جمهور الكتاب والقراء من هذا المجمع فى خلال هذه السنين الطويلة ، أو لم يستفيدوا . . فكثيرون لا يستطيعون أن يزعموا انهم قرأوا شيئاً للمجمع ، أو عن المجمع ، إلا فى يوم افتتاحه السنوى . وكثيرون يشعرون بأن مجمع مصر اللغوى لا يؤدى رسالته لقراء العربية ـ وان كان يؤديها للغة العربية نفسها بين أعضائه ، وفى حدران داره ، فما من شك فى أن الجهود التى يقوم بها هدا المجمع الموقر ، جهود نافعة ، وهى اذا شجعت ونشرت أثمرت ، واستفاد منها العالم العربى كله ، لكن وزارة المعارف قد وضعت لهذا المجمع خطة جعلته كبعض المنشآت الشرقية التى لا يقصد منها غير الوجاهة والتقليد

فالناس فى الشرق والعرب الآن يعلمون ان عندنا مجمعاً للغة العربية . وقد مضى على هذا المجمع خمس سنوات دون ان يستفيد جمهور اللغة العربية من وجوده شيئاً . وليسمح لنا أعضاء المجمع المحترمون بان يصارحهم الهلال بهذه الحقيقة ، فالثقافة لا تعرف الخاملة واللغة لا تخدم بالوجاهة فقط ، ولكنها تخدم بما يفيد أصحابها . وليست اللغة ملكا لطائفة معينة ، ولا وقفاً على الخاصة ، ولا خاصة الخاصة ، بل هى ملك للجمهور ، والجمهور لا يجرى وراء اللغويين ، بل هم الذين يجرون وراءه ليأخذوا منه ويعطوه ما تقوم به لسانه ، وتصلح به بيانه ، ويرقى به لغته

وهذه هى حال علماء اللغة مند أقدم العصور ، فلم يفرضوا على الجمهور شيئاً ، ولم يعيشوا فى ابراج عالية ، بل نزلوا الى الناس ، وعاشوا معهم ، واستقرأوا لغتهم ، وعرفوا ما فيها من أصيل ودخيل ، وفصيح وضعيف ، ودونوا ما اصطلح عليه الاكثرون ، ونبهوا الى كل معرب عن اللغات الأخرى ، وأذاعوا ذلك بين القراء بمؤلفاتهم ودراساتهم واتصالهم بهم ، وكانت مدارسهم جامع تحفل بكبار علماء اللغة والدين والعلوم والفنون ، وكانت مجامعهم مدارس يحضرها آلاف التلاميذ ، وكان العلم والأدب واللغة تستفيد من هذه الحياة نماء وازدهاراً وحياة متجددة

وعلى هذا النسق تلك المجامع الاوربية التى قلدناهم فى انشاء مجمعنا اللغوى ، ولم نقلدهم فى الطرق التى يعمدون اليها لاستفادة الجمهور وتوجيهه ، وحمله على اتباع قراراتهم . وقد أعجبنا

ما أشار اليه الدكتور فيشر فى خطبته التى ألقاها فى حفلة افتتاح المجمع ، إذ قال :

« يجب أن تجرى الابحاث العلمية فى حو بعيد عن العالم ، إلا أن نتائج هذه الابحاث يجب أن تقدم للجمهور اما مطبوعة ، أو فى صورة محاصرات علمية شعبية . والمجامع العربية تعنى دائماً بالاتصال بالجمهور . وهذا ينطبق على المجامع الالمانية التى اعتادت أن تحي سنوياً حفلتين تذكاريتين عامتين . وقد شعرت المجامع الالمانية بالحاجة الى أن تقدم فى حلال الشتاء ثلاثا أو أربعا من المحاضرات العامة »

وتحدث الاستاذ عبد القادر المغربى عن هذه الناحية أيضاً من وحوب اتصال المجمع بالجمهور واثبات وحوده له بالاتصال بالصحف والكتاب والمؤلفين واقامة الحفلات العامة . وقد أحسن الاستاذ فى هدا الرأى ، فالحى لا يستطيع أن يدفع الأحياء الى الاعتراف بحياته ما لم تقم آثاره أمامهم شاهدة له على هده الحياة . والبدرة الكامنة فى نطن الارض ، لا يعرف لها وحود إلا ادا شقت قشرتها وخرج نباتها للأنظار .وعندنا أن الوسائل لذلك تتلحص فيما يأتى :

أولا ــ تنظيم محاضرات عامة ، تلقى فيها قرارات المجمع ، ويسمح بمناقشتها ، بل يؤخذ رأى الحاضرين فيها . وطبيعى أن المدعوين الى هذه المحاضرات من الممثلين للطوائف المتعلمة ، ثم تنشر هذه المحاضرات والقرارات فى الصحف

ثانياً ــ اشراك مجمع اللغة العربية بدمشق وسائر الهيئات العلمية والأدبية فى الاقطار العربية فى قرارات المجمع بأخذ رأيها . أو بالقيام بأعمال لغوية يستفيد منها المجمع فى هذه القرارات ، كما تفعل المجامع العلمية في المانيا

ثالثاً ــ الاتصال بالصحافة ، واصدار بلاغات « رسمية » كل أسبوع ، أو كل شهر عن بعض الاخطاء اللغوية التى تراها لجنة مختصة بالمجمع فى الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية ، مخالفة لقراراته . ولهذه البلاغات أثر كبير فى التوجيه العام

رابعاً ــ السماح لبعض المؤلفين بعرض مؤلفاتهم على المجمع لمراجعتها وتصحيحها ، والارشاد الى المصطلحات التى يقرها

خامساً ــ الاتصال بكبار الكتاب من الصحافيين والأدباء الذين يأخذ عنهم الجمهور ، ويتأثر بكتاباتهم وأساليبهم ، ويحاكيهم فى ألفاظهم ومصطلحاتهم . فما دام هؤلاء الكتاب بعيدين عن الاتصال بالمجمع ، فمن العسير أن يكون لقراراته الأثر المرجو فى اصلاح اللغة . فالكتاب فى جميع الأمم هم قادة الجمهور ، وهم الذين يستطيعون أن يملوا عليه ما يريدون من اصلاح بفضل رسالتهم الروحية ، التي طالما كان لها من الاثر الادبى والاجتماعى واللغوى والسياسى ، ما ليس لغيرهم من رجال اللغة ورجال الحكومات

وحى سبارطة الدكتاتورية

هو انجيل الشعوب التى تعصف بها الأزمات

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

ان مبدأ سيادة الدولة وفناء الفرد فيها وهو المبدأ الذى تعتنقه الديكتاتوريات الحديثة ، قد انحدر اليها من النظام الذى كان متبعاً فى سبارطة والذى أنشأه ليكورجوس .

فوحى سبارطة ، هو المسيطر اليوم على أذهان الديكتاتوريين ، وهو المثل الأعلى الذى ينشده كل ديكتاتور لشعبه

ولقد أصدر شباب النازى فى المانيا مجلة باسم « العمل » Die Tat غايتها ترويج المبادىء والتعاليم الاسبارطية ، وأصدر شباب الفاشست فى ايطاليا صحيفة باسم «الطريق السوى» ، لتحقيق نفس الغرض

وأصدر أخيراً شباب الفاشست فى البرتغال مجلة باسم « شعارنا » ترمي الى تمجيد فلسفة ليكرجوس مؤسس سبارطة

والغريب ان أول صرخة اعجاب بتعاليم الاسبارطيين وأسلوبهم الفذ فى الحياة ، انطلقت من فرنسا الديموقراطية نصيرة حرية الفرد ، وحق الفرد فى الاشراف على شئون الدولة

فقد تحدث الكاتب الفرنسى المشهور موريس باريس عن عبقرية سبارطة حديثاً ملؤه الحماسة والتمجيد ، وكان الزعيم الملكى شارل موراس يلوح منذ أكثر من ربع قرن فى صحيفة (الاكسيون فرانسيز) بفضائل الروح الاسبارطية باعتبار أنها خير مثل يضرب لشباب فرنسا . ولكن الفكرة القديمة التى أحياها باريس وحددها موراس وأنعشها ، لم تصادف هوى من قلوب الفرنسيين عشاق الحرية ، وأنصار الديموقراطيــة ، فاستكنت وتضاءلت ، وطغى عليها الفوز الذى أحرزته فرنسا الجمهورية الحرة عقب الحرب الكبرى

والواقع أن فكرة سيادة الدولة وفناء الفرد فى المجموع رغبة فى اعلاء شأن الدولة وبسط نفوذها وتوطيد سلطانها ، هي فكرة تستهوى الشعوب الضعيفة أو المهزومة التى تخشى على كيانها ، وتذود عن مستقبلها ، وتخاف ان هى سلمت بحرية الفرد أن تستحيل هذه الحرية إلى فوضى

ولقد شاعت تلك الفكرة فى فرنسا عقب الهزيمة التي منيت بها فى حرب السبعين ، وهاهى ذي تنمو وترسخ فى أفئدة الألمان الذين اندحروا فى الحرب الكبرى ، وفى نفوس الايطاليين

الذين أضعفت الثورة الشيوعية نفوذ بلادهم السياسى الرأسمالى بعد الحرب ، وأقلقت طبقاتهم الغنية والمتوسطة على مصيرها

واذن فالشعوب التى تعصف بها الازمات الحربية أو الاقتصادية هى التى تتجه بأبصارها صوب الديكتاتورية ، وتأخذ بنظرية سيادة الدولة ، وتقاوم الحرية الفردية ، وتجد فى وحى سبارطة ما يشجعها على مكافحة أزماتها وتجديد قواها واسترداد عزها التالد ومجدها القديم

ما هو وحى سبارطة ؟

ولكن ما هو وحى سبارطة ، وكيف كانت الحياة فيها ، وما خصائص تلك الروح الاسبارطية التى يشيد بها الآن كل ديكتاتور ويحاول أن يطبع شعبه على غرارها ؟

لقد أنشئت سبارطة فيما مضى لتكون مدرسة للبطولة . ولقد أراد بها ليكورجوس ابتداع كتلة بشرية منتظمة متراصة قوية تؤمن بوحدة الجماعة ، وتعمل لمصلحة الجماعة ، وتنكر كل فكر مستقل شخصى من أجلها ، وتقدس الطاعة والنظام ، وتروض النفس على الخشونة والتقشف ، وتعبد فضائل القوة والمغامرة والبطولة

وكان الفرد في نظر الاسبارطيين لا شىء ، والدولة هى كل شىء . وكان يعهد أمر صبيانهم حتى سن الثلاثين إلى مدربين تعينهم الحكومة ، يسهرون على تربيتهم فى شبه جمعيات رياضية تلهب فى نفوس أعضائها عواطف الاباء والكرامة ، وتضرم فى قلوبهم نار الفتوة وحب الجرأة والمخاطرة

ولم يكن يسمح للشاب بالاقدام على الزواج قبل سن الثلاثين . وكان الزواج نفسه خدمة لا متعة ، خدمة يؤديها الفرد للدولة ، من طريق رعاية البيت وحماية الأم والاكثار من النسل

ولم يكن الحب مقدساً أو محترما أو مرغوبا فيه عند الاسارطيين ، بل كان رمز الخنوع والضعف والذل . ومن أبلغ الأدلة على ذلك أن تمثال فينوس إلهة الجمال كان يبدو فى سبارطة محطم الرأس ، مسلخ الصدر ، نصف محجوب ، ترسف قدماه فى الاغلال

فالدولة كانت شبه ثكنة كبيرة ، أو دير عسكرى ، والفرد كان مسلوب الفكر ، مسلوب الارادة ، مسلوب الحرية ، يصدع بالأوامر التي يتلقاها ، ويجد فى الطاعة العمياء لذة لا يعادلها فى نفسه غير لذة اعتقاده بان فناء شخصيته هو العامل الرئيسى فى مجد وطنه

والاعجب من ذلك ان الحكومة كانت تحرم على الفرد ممارسة التجارة ، وطلب الربح ، وجمع المال ، الا بقدر محدود ، وكانت فى مقابل هذا الحرمان ، تعنى بتلبية رغائبه الجوهرية ، كى تشعره بضرب من التحرر والاستقلال الشخصى فى ظل الطاعة والرضوخ ، وفى ظل التجرد المادى والمعنوي الذى تشيعه فى النفس والاحساس طبيعة الحياة العسكرية

ولم يكن فى سبارطة أى أثر لتمجيد الفنون ، بعكس ما كان شائعاً إذ ذاك فى بلاد اليونان . بل

لقد كان الفن صنو الحب ، تعرف عنه نفوس أهل سبارطة وترى فيه ما تراه فى الحب من عبث بالرجولة وهوى بالكرامة وانحدار بمواهب العقل والقلب

والواقع ان سبارطة لم تخلف للعالم أية وديعة ، فلا هى تركت آثاراً فنية عظيمة ، ولا هى أنتجت شعراً عالمياً ، ولا هى ابتدعت فى فن العمارة شيئا رائعاً حقيقاً بالخلود

ولقد كان حكام سبارطة ينظرون الى الفنون الجميلة بنفس العين التى ينظر اليهـا بها معظم الديكتاتوريين فى هذا العصر . وكانوا يعتقدون أن العمل الفنى أو الادبى دخيل على الحياة العامة يصرف الفرد عن واجبه الاجتماعى ، ويعيش على حساب هـذا الواجب ، ويخلق فى الفرد نزعة منكرة الى الحرية ، وينحرف بقواه العاقلة متجها بها وجهة انسانية مجردة لاتمت بصلة الى الحاجات اليومية والفروض الدائمة التى يطالبه بها المجتمع وتقضى بحسن أدائها مصلحة الدولة

فالكمال الذي ننشده الفنون الجميلة فى دائرة العاطفة والفكر ، كانت سبارطة تستنكره وتأبى إلا أن تحققه فى الحياة الواقعـة بفضل الطاعة والنظام ، وغرس مبادىء القوة والرجولة ، وبث روح الرياضة العسكرية ، وتكوين شعب صحيح سليم معافى ، يمثـل كتلة واحدة منسجمة هى الدولة التى لا تغلب لها ارادة ولا يقف فى سبيلها شىء

فبلاد اليونان أوجدت فناً خالداً ، وأدباً خالداً ، ولكن سبارطة وحدها أرادت ان تبتدع الانسان الاجتماعى كما يجب ان يكون فى زعمها ، وكما يجب ان يعيش ، لاباعتباره جزءاً من دولة ، أو حجراً فى زاوية دولة ، بل باعتباره أداة للدولة تستخدمه فى مصلحتها فقط وتلقى فى روعه أن سعادته المثلى كامنة فى فنائه المطلق لتحقيق تلك المصلحة العليا

ولهذه الاسباب مجتمعة كان الاسبارطيون يكرهون الثقافة اجمالا ويتبرمون بنوابغ المفكرين الاحرار أصحاب الشخصيات الثائرة والعقول الجامحة والملكات المستقلة ، ويرون أن خير ثقافة هى الثقافة التى تخلق نفساً جريئة وروحاً متوثبة وبدناً صحيحاً وعضلا جباراً وخلقاً طيعاً متأهباً للهجوم والانقضاض عند أول اشارة

وهذه الثقافة لن تبلغ حد الكمال فى عرفهم إلا متى اقترنت باحتقار المال ، وازدراء الترف ، والاستخفاف بمتع الحياة ، وتوديع مفاتن المادة التى تنهك الجسم وترهق العصب وتغرى بالخمول وتفتك آخر الامر بفضائل الصبر والجلد ، والعزم والكفاح ، والاستبسال والتضحية

واذن فلا ثقافة ولا حب ولا أدب ولا حرية فى سبارطة ، بل هناك نشوة البـدن القوى المتفوق على ضعفه ، نشوة الكبرياء الصادرة عن نظام عسكري صارم ، نشوة الطاعة الصادرة عن مساواة الكل فى الخضوع والتسليم ، نشوة الانسياق الاجتماعى الذى يمرح به القطيع الهائم ، نشوة الاحساس بأن الكتلة تحمى الفرد وان الفرد رقم غامض ، وأن المجموع المتراص القوى لا يمكن أن يخطىء أو يقاوم أو يغلب

أوجه شبه

هده هى عناصر الحياة التى يستمدها الديكتاتوريون فى هذا العصر من وحى سبارطة

فنى سبارطة كانت حرية الفكر مصطهدة ، والثقافة الحرة مبغوصة ، والعواطف الانسانية محتقرة ، وكدلك الامر الآن فى البلاد الديكتاتورية

وفى سبارطة كانت جميع السلطات السياسية فى يد الدولة ، والتفوق العسكرى هو المثل الاعلى والحرب هى اللذة الكبرى ، والحياة فى حالة حرب دائمة هي شعار الدولة . وكذلك الامر الآن فى معظم البلاد الديكتاتورية

وفى سبارطة كان الحق يؤخذ بحد السيف ، وكان يقرر بحد السيف أيضاً . أما العدل فكان ما تفرصه الدولة ، وأما الخير فكل ما يصدر عن الدولة وما ممكن ان يتحقق بواسطتها

وكدلك الامر الآن عند الامم الديكتاتورية

وفى سبارطة كان مجلس الشعب بجتمع فى الشهر مرة ، ويقترع دون مناقشة وبكلمة نعم أو لا ، على مختلف مشاكل الحرب أو السلم التى يطرحها عليه مجلس الشيوخ ، وفى البلاد الديكتاتورية يفرض الحرب النازى أو الفاشستى أمر الحكومة على المجموع فرصاً

وفى سبارطة كانت الحكومة تعين عدداً من المفتشين تدحلون فى الشئون الخاصة ، ويقتحمون بيوت الاهالى ، ويعاقبون المواطنين الاحرار ، ويعزلون القضاة والقواد وكل من يجرؤ على المصارحة برأى يناقض رأى الحكومة

وفى البلاد الديكتاتورية يقوم رجال الحرب الحكومى السائد بهده المهمة

وفي سبارطة كانت لا تقدر المرأة لشرف سلوكها ودماثة أحلاقها ورقة قلبها واتقاد دكائها ونبل عواطفها ، بل كانت تحترم فيها القدرة على منافسة الرجل فى القوة العصلية فقط ، وعلى منافسة أترابها فى انتاج أوفر عدد ممكن من الذكور الاصحاء

وكذلك الامر الآن فى البلاد الديكتاتورية

وفى سبارطة استحالت الأمة الى ثكنة ، واستحال الشعب الى جيش ، وفى البلاد الديكتاتورية الحديثة تبذل أقصى الجهود وأشقها لتحول الأمة الى ثكنة ، والشعب المتحمس المأحود الى جيش

ولكن ماذا بقى من سبارطة ؟ لا شىء ! ومادا أفاد العالم من حضارة سبارطة ؟ لا شىء !

لا أدب ولا علم ولا فن ، بل تجربة فى الحكم خيالية ، قامت على القوه ، وبدل ان تعلمنا احتقار الألم والموت فى سبيل نصرة الحق واعزاز الضعيف ، علمتنا بطولة سلبية معكوسة لا تحتقر الألم والموت الا لتفخر وتزهر بنشر الجوع والألم والموت ! . .

ابراهيم المصرى

الذوق الأدبي
عند جلالة ملك العراق

بقلم الدكتور زكى مبارك

رعاية الملوك للأدب والأدباء من أهم أسباب تقدم النهضة الأدبية . وقد كان لهذه الرعاية فضل عظيم على تاريخ الأدب فى الجيل الماضى ، وفى الأجيال السابقة . ويسرنا أن نرى ملك العراق ، الوارث لعرش العباسيين يعنى بالأدب والأدباء ويشملهم بحسن الرعاية

واجهنى أحد الأصدقاء بهذا السؤال : كيف سكت عن جلالة ملك العراق مع أنك أكثرت من الكتابة عن شئون العراق ؟

وهذا حق ، فأنا لم أكتب شيئاً عن جلالة الملك غازى الأول ، إلا فقرات قصيرة فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

ولكن هذا السكوت من جانبي له سوابق ، فأنا أتجنب الكتابة عن الملوك ، وأبتعد عامداً متعمداً عن التقرب الى الملوك . والسر فى ذلك يرجع الى صلتى الوثيقة بمراجع الأدب القديم ، وهى تضع صنوفا من الآداب لمن يتصل بالملوك ، وقد درست نفسى حق الدرس فوجدتنى لا أصلح إلا لحياة الجندية فى الميادين العلمية والأدبية

وقد اتفق لى أن أهدى كتاب (الأخلاق عند الغزالى) الى جلالة الملك فؤاد الأول ، طيب الله ثراه ، ولم أطلب التشرف بمقابلته لأقدم الى جلالته ذلك الكتاب ، وقد نبهنى الدكتور طه حسين بك مرة الى هذا الواجب ، فاعتذرت بأنى أهديت الكتاب الى جلا الملك فؤاد الأول بوصف أنه صاحب الفضل الأكبر على الجامعة المصرية التى قدمت اليها ذلك الكتاب لنيل الدكتوراه فى الآداب

وفى صيف سنة ١٩٢٧ دعانى الدكتور الديوانى مدير البعثة المصرية فى باريس ، وسألنى بلطف : « هل يسرك أن أعطيك تذكرة لاستقبال جلالة الملك يوم يشرف فى باريس ؟ » فقلت : « ذلك يسرني جداً ، إذا سمحت أن أذهب لاستقباله مع المستقبلين بلا طربوش ، لأنى لا أستبيح لبس الطربوش فى باريس » فابتسم وقال : « يظهر أنك تلميذ متمرد ! »

وأعطانى تذكرة الاستقبال

مضيت الى المحطة يومئذ بلا طربوش ، فرأيت جميع الطلبة مطربشين ، وكان فى ذلك ما آذانى ، فقد شعرت بأنى بينهم غريب ، ولما نزل جلالة الملك من القطار اقتربت منه وأنا متهيب وقد أخفيت القبعة خلف ظهرى ، فابتسم جلالته ابتسامة لطيفة دلت على أنه فطن لهذا الشذوذ !

وفى سنة ١٩٣٢ تفضل جلالة الملك فؤاد بزيارة البناء الجديد لمعهد الليسيه بالقاهرة ، وكنت يومئذ مدرساً بذلك المعهد ، وتقرر فى برنامج الزيارة أن يحضر جلالته درسين ، درساً فى اللغة الفرنسية ودرساً فى اللغة العربية ، أما الدرس الفرنسى فعهد بتحضيره الى المسيو رابنوى وقد اختار أن يكون خاصاً بتاريخ مصر فى عهد اسماعيل « والد الملك فؤاد » وهو اختيار لا يخلو من لباقة وذكاء

وأما الدرس العربى فعهد بتحضيره الى ، وسألنى المسيو دى كومنين عن موضوع الدرس ، فأجبت بأنه الدرس المقرر إلقاؤه من قبل ، فابتسم وقال : « ماعندك موضوع خاص ؟ » فقلت : « ما أحب ان أغير موضوع الدرس بمناسبة زيارة جلالة الملك . وانما أحب أن يرى درساً عادياً كسائر الدروس التى ألقيها على تلاميذى فى كل يوم » فضغط المسيو دى كومنين على يدى وقال : « إن ما أعرف من شمائل الملك فؤاد يبشر بأنه سيرتاح الى درسك البسيط كل الارتياح »

وتفضل جلالة الملك فؤاد فحضر درسى بمعهد الليسيه ، وقد أديته تأدية حسنة فى نحو عشر دقائق ، ولم يشأ أن ينصرف إلا بعد أن صافحنى وحيانى

وبهذا الخلق الذى يتهيب التقرب الى الملوك دخلت بغداد

فماذا أصنع فى سبيل التشرف بمقابلة ملك العراق ؟

كنت أعرف أن جلالة الملك غازى الأول يسره أن يستقبل الأساتذة المصريين ، وقد تشرف كثير منهم بمقابلته فى قصر الملك أو فى قصر الزهور ، ولكنى مع ذلك لم أطلب التشرف

بمقابلته ، لأني كما قلت أتهيب الاتصال بالملوك ، وإن كنت أديت بعض الواجب بتقييد اسمى فى دفتر التشريفات يوم دخلت بغداد

وبالرغم من هذا التحفظ كنت أتحرق شوقا الى معرفة الذوق الأدبى عند صاحب الجلالة غازى الأول ، فهو من أسرة هاشمية لها ماض مجيد فى رعاية الأدب الرفيع ، وهو يجلس على عرش العراق الذى ازدهر الأدب فى رحابه حيناً من الزمان

ماذا أصنع لمعرفة الذوق الأدبى عند هذا الملك ؟ ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

أيجوز أن أعرف كل شيء من مظاهر الأدب فى العراق ، وأجهل الذوق الأدبى عند ملك العراق ؟

أترك هذا الكلام وأتحدث عن قضية اهتزت لها المقامات الرسمية فى بغداد

قضيت أول مساء فى فندق تايجرس مع الدكتور محمود عزمى ، فحضر شاب عرفت أنه سكرتير الاذاعة اللاسلكية وهو السيد فؤاد جميل ، وقد طلب أن أواجه الجمهور العراقي بكلمة فى الاذاعة اللاسلكية ، فاعتذرت ثم اعتذرت ، لأن الدكتور طه حسين بك كان أوصانى بأن أترك «الهوسة الأدبية» أيام إقامتى فى العراق ، وكان الدكتور طه حكيما حين خصنى بهذه الوصية ، فهو يعرف أخلاقى ، ويرجو ألا تنتقل مشاغباتى من الميادين المصرية الى الميادين العراقية

ولكن السيد فؤاد جميل عاود الطلب وألح إلحاحاً عنيفاً ، وانضم اليه الاستاذ محمود عزمى وعاونه سائر الحاضرين ، فقلت : أنا مشغول باعداد الدروس التى ألقيها على تلاميذى فى بغداد ، وما أستطيع الفرع لدرس موضوع أواجه به الجمهور العراقى ، فقال السيد فؤاد جميل : يكفى أن تقول كلمة موجزة عن رمضان

وهو كذلك !

ومضيت فأعددت كلمة عن « الاسمار والأحاديث فى ليالى رمضان » وازنت فيها بين القديم والجديد فى استقبال شهر الصيام

وبعد أسبوعين طال فيهما استنجاز السيد فؤاد جميل ، مضيت ، فألقيت ذلك الحديث بمحطة الاذاعة العراقية

وما كدت أخرج من باب الاستوديو حتى رأيت السيد فؤاد يصيح وهو مبهور :

تليفون ، تليفون ، تليفون !

مضيت الى التليفون وأنا أنتظر أن أتلقى تحية من أحد المعجبين ، ولـكنى سمعت صوتاً رصيناً يناقشنى فى دقائق المحاضرة

فقلت : أستطيع أن أعرف حضرة المتكلم ؟

وما كدت أفوه بهذه العبارة حتى عرفت أنه ألقى السماعة وانصرف

من هذا المعترض ؟ لا أعرف !

ونظرت الى سكرتير الاذاعة اللاسلـكية فرأيته فى صفرة الأموات ، أسأله فلا يجيب

من ذلك المعترض ؟ ليتنى أعرف !

و بعد لحظات طوال ، دخل السيد يونس بحرى فراعه أن يرى سكرتير الاذاعة مكروباً مغموماً ، فقال : إيش بيك يا فؤاد ؟ إيش بيك يا فؤاد ؟ إيش بيك يا فؤاد ؟

وأخيراً هتف فؤاد : جلالة الملك ! جلالة الملك !

فوقف يونس بحرى وقفة الاجلال

أما أنا فقلت فى صوت هادىء رزين :

« يسرنى أن يكون جلالة الملك سمع حديثى واعترض عليه » وانصرفت

وفى اليوم التالى طلبنى الدكتور محمود عزمى بالتليفون ، ودعانى الى مقابلته مساء فى فندق مود ، فلما التقينا عرفت أن هذه المحادثة الملـكية كان لها رنين فى المقامات السياسية ، وأشار بأن أقابل رئيس الديوان الملـكى وأشرح له مغازى الحديث الذى ألقيته بالاذاعة اللاسلـكية ، فرفضت ، وكانت حجتى أن الحديث لا غبار عليه ، وقد أرسلت نصه الى جريدة الأهرام قبل أن ألقيه ، وسيطلع عليه جلالة الملك ، ومن المؤكد عندى أنه سيتلقاه بقبول حسن

* * *

كان السيد فؤاد جميل يحب أن أتحدث فى الاذاعة اللاسلـكية مرة كل أسبوع ، وكان مفهوماً أننى سأتلقى من المكافآت المالية ما يغرينى باعداد تلك الاحاديث

ولـكن السيد فؤاد انصرف عنى قطعاً ، فعرفت أنه لن يدعونى إلا إذا فهم أن جلالة الملك يسره أن يسمع صوت الدكتور زكى مبارك

و بعد نحو خمسة أسابيع صار تليفون دار المعلمين العالية لا يكاد يعرف غير السؤال عنى ، وممن ؟ من سكرتير الاذاعة اللاسلـكية !

ولم يكتف سكرتير الاذاعة بذلك ، بل كان يمضى الى منزلى فيطرقه بعنف ، وكان من

عادتى وأنا فى بغداد أن لا أجيب من يسألون عنى فى البيت ، لأن بيتى كان فقيراً لا يزينه أثاث ولا رياش ، ولأنى كنت أكتب فى كل يوم نحو عشر صفحات ويهمنى أن أهرب من الناس ، فكان سكرتير الاذاعة يكتب على الباب بالطباشير :

« فؤاد جميل يريد مواجهتكم بوزارة المعارف »

وأخيراً مضيت لمواجهة السيد فؤاد جميل بوزارة المعارف ، فقال : يا مولانا ، أين وعودك ؟

فأسررت اليه أنى أخشى أن أتلقى بالتليفون درساً جديداً من جلالة الملك

فابتسم ، وقال : ومن أين عرفت أن جلالة الملك لا يسره أن يسمع صوتك ؟

وكان معنى ذلك أن جلالة الملك يقبل كل شىء من ضيوف العراق

ودارت الايام بالسعد فكنت ألقى فى الاذاعة العراقية كل ما أشاء ، ولكنى كنت أراعى كل مرة أن جلالة الملك قد يسمع حديثى فأبذل فى اعداده كل ما أملك من ذوق وعقل ، فان كان اهل بغداد أعجبوا باحاديثى فى الاذاعة اللاسلكية ، فليعرفوا أن الفضل يرجع الى رقابة ذلك الملك الأديب

والواقع أن غازى الأول ورث الذوق الأدبى عن فيصل الأول

فقد كنت أسمر مرة مع الأستاذ حسين بستانة المتخرج فى دار العلوم بالقاهرة ، وهو أديب موهوب سيكون له فى خدمة العراق مجال . فحدثنى عن قصيدة لشاعر عراقى كبير قالها فى هجاء الملك فيصل ، وأنشد منها أبياتاً ، فقلت : « أنت تعرف أنى أكره اغتياب الملوك » . فقال : « عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء . ويجب أن تعرف أن الملك فيصل حين سمع بهذه القصيدة طلب أن يسمعها من الشاعر نفسه ومنحه جائزة سنية » !

هل فى الدنيا ملوك يحبون ان يسمعوا ما يقال فيهم من هجاء ؟

ذلك ما وقع من الملك فيصل الاول ، وهو تذكير بعهود الحضارة فى بنى العباس

***

اما بعد فان الجماهير فى البلاد العربية لا تنظر الى صورة الملك غازى الأول إلا مقرونة بحبه للطيران ، فليعرفوا ايضا انه يحلق من حين الى حين فى جو الأدب والخيال

وليعرفوا إن شاءوا أنه مولع بالفنون ، وأنه يعطف على الاغاني العربية

أيها العراق : قد أنسى كل شىء ، ولكنى لن أنسى أيامى فى حماك

زكى مبارك



جلالة ملك العراق غازى الاول



موسولينى : رجل ايطاليا الحديدى

ننشر صورته بمناسبة الضجة التى أثارتها مطالب ايطاليا الأخيرة ، وموقفها العدائى من فرنسا

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

الاكثرية والاقلية : قلنا فى مقالنا الماضي انا سنبحث مبدأ الاكثرية والاقلية ونفسر مغزاه ، فانه يسوءنا والحق يقال ان نقرأ أخبار أوربا فنسمع هذه الكلمة تكرر وتعاد حتى محتها الاذهان ،وحتى عجبنا لهؤلاء الاوربيين الذين اتخذناهم مثالا يحتذى فى تشريعنا وفى نظمنا البرلمانية ، كيف لا يزالون فى غيابة الجهل تعميهم العنصرية حيناً ، والمذهبية حيناً ، عن رؤية الهدف الاسمى للمدنية ، ألا وهو تعاون الجميع - كل أبناء الامم - على ترقيـة الانسانية وتنظيفها مما هو عالق بها من أقذار العزيزة والجاهلية الاولى . وانا نعتقد اعتقاداً هو أقرب إلى الايمان منه إلى المنطق ،ان العالم لا نجاة من ويلاته الا بنظام أممي ينحو فى مجموعه نحو الاشتراكية المعتدلة فى داخل مملكة واحدة

وها نحن أولاء نفي بما وعدنا ، فنقول :

— مبدأ الاكثرية والاقلية شرعه الانجليز قاعدة فى نظامهم البرلماني ، يتوسلون به إلى اسناد دست الحكومة الى زعيم الاكثرية ، وذريعة الى تعرف رأى الناخبين

ولم يكن هـذا المبدأ كما هو عليه الآن إلا منذ أربعين سنة أو خمسين ، فقد نما وترعرع واحتكر آلة الحكم فى أيام الملكة فكتوريا ، التى كان شبابها فى أول ملكها ،ثم اقترانها بغير انجليزى ثم اعتكافها حزنا على هذا القرين ، أسباباً قوت ساعد البرلمان على حساب العرش

وظاهر انه لا يتيسر لحكومة تستمد سلطانها من دار منتخبة الا ان تتجه وجهة الاكثرية فيها ، فكان هذا النظام الذى يقضى ببقاء الحكومة تتولى الامر ما دام لها أكثرية تسندها

وقد كان الملوك قبل ذلك - الدستوريون منهم والمطلقون - يولون الوزارات من يشاءون ، ولم يكن النواب المهيمنون ذوى لون سياسى ظاهر كما هو الآن ، فكان الوزير الكبير يميل بأكثريته حسب المنفعة وحسب الهوى ، وحسب مقدرته ومكانته فى أعين العرش وفى أعين الرأى العام

ولكن النظام الحالى قضى على كل ذلك إما للخير أو للشر ، وبقى قائما نسنده أكثرية ، فان تضاءلت هذه أو زالت ترك الوزير كرسى الحكم لزعيم آخر تؤيده الاكثرية إما كما هى أو متغيراً ولاؤها ، واما بالالتجاء الى الناخبين

وانه لواضح بالبداهة ان أساس الحكم فى هذا النظام هو شيء سياسى متحول لا يستقر على حال ، شأن كل السياسات التى تبغى الخدمة والنفع العام

فقد تكون الاكثرية اليوم هنا ثم تزول وتصبح هناك ، وقد تكون اشتراكية ثم تتغير فتصبح محافظة . وقد تدين لزعيم ولته أمرها لما ظنته فيه من كفاءة ممتازة وحب للحر ، ثم اذا بها تتخلى عنه فيفقد أكثريته ويخلو له عقر داره

ولا يعقل ان تكون الاكثرية دائما أبداً على حال سياسية واحدة ، فالدنيا فى تقدم والناس يسعون ما عاشوا الى التبدل والتغيير

فقاعدة الاكثرية والاقلية لا تفهم ولا يقام لها وزن الا إذا كانت متغيرة متبدلة متقلبة ، فانها تتبع الآراء الاجتماعية أو التطورات الاقتصادية ، فكان الاستقرار عدواً من أعدائها

وبهذا وحده تفهم أداة للحكم ، والا لأسن مذهب السياسة ولعصت ادارة الشئون

فالذين يحاجون بالاكثرية وبالأقلية يدركون ان هذا النظام مقصور على الأمور التى تتخذ محورها فى نظام برلمانى يرتكز على الانتخاب

ليس فى الأمر شك ولا يحتاج الى دليل

أما اذا كانت الاكثرية أو الاقلية كيانا قائما على غير السياسة فلها شأن آخر

هب ان بلداً متمدناً عامراً بالناس انقسم أهله الى أكثريات وأقليات دينية أو عنصرية ، فما حكمه ؟

هل نطبق المبدأ السياسى فنحكم الاكثرية فى الاقلية ؟ كلا ان فى هذا لظلماً مبيناً

ذلك لأن نظام حكم الاكثرية قائم على انه متغير لا يستقر ـ اليوم هنا وغداً هناك ـ وأما الاكثرية أو الاقلية القائمة على العنصر أو على المذهب الدينى ، فثابتة لا تتزحزح ، مستقرة لا تهزها عواصف العقل أو المنطق ، فلا يصح ان تكون آلة للحكم

ومن هنا نشأت هذه الحمايات التى يفرضها بعض الدساتير لحماية الاقليات الدائمة ، ومن هنا نشأ التقلقل فى البلاد المصابة بأقليات دائمة لا هى تقنع ولا تنصفها الاكثرية

وقد قلنا فى المقال الماضى ان القوم فى سويسرا والقوم فى انجلترا عرفوا كيف يداوون هذا الداء فلم نعد نسمع باختلاف بينهم على مبدأ أكثرية أو أقلية

أما فى سويسرا فجاءوا بالعناصر التى تكون القومية السويسرية ، وساووا بينها فى كل الحقوق ومتعوها متاعا متساويا لا يزيد أحد العناصر شيئا على العنصر الآخر . فاللغة ليست واحدة فى سويسرا فجعلوا كل اللغات رسمية وواجبة الاحترام

والعادات والتقاليد ليست واحدة ، فتركوا لكل عنصر عاداته وتقاليده يضافان الى لغته ، ووسعوا مبدأ اللامركزية وعمموا قواعدها

فلم يعد لأي عنصر من العناصر ميزة على الآخر فارتضى الجميع
على أن الانجليز فعلوا أحسن من هذا
فهم ألغوا الأقليات ومحوها بالمعاملة الحسنة وبالتسامح الشريف

كان هناك نزاع انجليزي اسكتلندى ، فتوحد العرشان ، ولم يقل الانجليز لجيرانهم نحن أعز نفراً وأكرم يداً وأرفع محتداً وأعظم ثروة ، بل أباحوا لأبناء اسكتلندا الميدان السياسى والصناعى والتجارى حتى كاد أبناء الشمال يتبوأون كل ما فى الجنوب من نعمة وفخار ، فلم يحسدهم الانجليز وانما قالوا نحن اخوان وكلنا خدام بريطانيا

وهكذا فعلوا مع الكاثوليك بعد أن مر على هؤلاء زمن حرموا فيه من عضوية البرلمان ومن كثير من المرافق العامة . ثم عقبوا وأباحوا الامر لليهود

لذلك أخلص الجميع ـ عنصراً وديناً ـ لبريطانيا ، وما ذاك الا بنعمة خلق التسامح ورحابة الصدر ، فاذا فتحت الاكثرية فى أية بقعة من أرض الله صدرها للاقلية ، لا تنقم عليها نشاطا أو ذكاء أو ثروة أو جاهاً ، ونظرت اليها على انها جزء لا يتجزأ منها ، زال كل ما هنالك من شعور يجرح الوحدة القومية

هذا مبدأ خير من تخصيص حقوق للاقليات وتعيين واجبات . وهذا مبدأ أخذه الدستور المصرى قاعده من قواعده فخار بذلك فضلا على كثير من الدساتير الاوربية

* * *

جمعية الامم : وما دام البحث اليوم يتناول مبادىء أفلاطونية أكثر منها عملية ، فلابد من نظره الى جمعية الامم . فقد نصت فى نظامها على حقوق للاقليات فى بعض بلاد أوربا ، وقد كان هذا خطأ منها فى المبدأ وخضوعا للعوامل السياسية المحلية ، فانها لو تركت الامر يمشى الناس وراءه طبقا للمنفعة الحقيقية لانتهى بهم المطاف الى اقرار المبادىء الانجليزية ، أو على الأقل الى اقرار النظام السويسرى حيث يتيسر تطبيقه

وانه ليسوء كل عاقل يتجرد عن هوى العنصر والمذهب ويطمح الى مثل أعلى من هذا فى الحياة أن يرى فشل جمعية الامم فيما انتدبت له من غرض . ان الذى ينعاه الناعون على جمعية الامم ليس دستورها ولا المبدأ الأساسى فى تكوينها ، انما هو هذه السيطرة التى كانت لانجلترا ولفرنسا فى تسيير دفتها واستئثارهما بالسيادة يتوليانها اما منفردتين أومتحدتين وتسييرالدول الاخرى وراءهما

جمعية الامم أمل ظنه الرئيس ويلسن قاب قوسين من التحقيق ، ولكن دولته ابتعدت عنه ، وجعلته فرنسا آلة فى خدمة سياستها التقليدية الموروثة عن ريشيليو ، وجعلته انجلترا حيلة تدفع الامم الى نزع السلاح وأخذت هى تنزعه عنها فعلا لا حباً للسلام بل إبقاء على ما بين يديها وقد امتلأتا إذ ينزع العالم كله سلاحه فيبقى الغنى الشبعان آمناً لا خوف عليه ولا هو يحزن . اما

مبدأ الجمعية ـ مبدأ الحقوق الاممية والدفاع عنها ـ مبدأ الالتجاء الى وسيلة غير وسيلة السلاح فى الذود عن الحياض ـ فهذا لا يغنى عن الحق شيئاً إذا جاء الاعضاء المفندون وجعلوا المبدأ مقلوب الآية وفى خدمة المنافع الخاصة بالدول القوية . فكان مثلهم مثل أمة وضعت قانوناً عصرياً راقياً أخذاً بأعدل المبادىء وأدنى الاسباب الى خدمة الشعب ثم وضعت لتنفيذه قضاة يأتمرون بأمر القائم بالحكم فتفسر المبادىء وتعالج الحقوق على ضوء رغبة الحكومة . وهكذا عهد عصبة الامم . فانه سليم فى الغرض الأعلى الذى يسمو اليه ، ولكن هدمه أمران قضيا على كيانه

أما الأمر الأول فهو هذا التمييز الذى اختصت به دولة دون أخرى ، وهذا البعد عن مبدأ أن لا غالب ولا مغلوب ، وهذا التقسيم الجائر بين الدول الممثلة فى العصبة إذ ظهر بعضها شبعان امتلأ جوفه فلا يفتأ يقول قطنى ، وبعضها جائع منحصر الى العيش والى التمثل بجيرانه

فلو حسنت النيات ولو مكن الامركيون عقاد الدولار لرئيسهم ولسن فى الارض فأيدوا سياسته ، إذن لرأينا قوة عظيمة تجبر أوربا على السير فى صراط مبادىء العصبة ، وإذن لرأينا الامم تعيش فى الامن فينمو الاقتصاد وتشتد السواعد العاملة على هدم حواجز الصناعة والتجارة ، وإذن لرأينا ما هو أبدع وأبقى وأوفى ـ لرأينا عصراً تموت فيه روح القوميات وتأخذ روح الاممية فى الانتعاش وفى جمع العالم فى جمعية هى أشبه بالاشتراكية ضمن حدود دولة واحدة

على أن الأمل لم يتحقق وقد تكون من المستحيل تحقيقه . وهذا ما يجعلنا نميل الى الأمر الثانى الذى هد كيان العصبة وجعله الفاشل الاصلى . وهذا الامر هو الغريزة البشرية والعوامل الطبيعية التى تفعل فى تكوين الشعوب وفى خلق المدنيات . فقد كان الأمر منذ الأزل حتى الآن خاضعاً للقوة . القوة تحفزها الحاجة الاقتصادية دائماً ، وبعض العوامل الروحية فى بعض الأحيان . لذلك كتب على المدنيات أن لا تدوم وضرب على الدول أن تنتقل ملكوتها وتتداوله واحدة بعد أخرى

فاذا كان حقاً ان المدنية المصرية والمدنية الاشورية والمدنية الفينيقية قد زالت . واذا كان شيئاً لا ريب فيه ان المدنية الاغريقية غلبت على أمرها ورثها الرومان سلطانها . واذا كان حقيقة راسخة ان الدولة الرومانية حكمت ما كان العالم فى ذلك الزمن مدة هذا مقدارها ، ثم أمست كأن لم تغن بالامس . فلماذا تتاح لهذه المدنية الحالية التى تتولى الزعامة فيها بعض ممالك أوربا أن تدوم ولا يعتورها تغيير أو تبديل

وهل رضى العالم من أقصى الارض الى أدناها أن تكون قيادته فى يد الامبراطورية البريطانية تساعدها فرنسا حيناً وأمريكا حيناً آخر

ألا يجدر ـ فى نظر العالم ـ ان يعبر ورازنه فيتولاها يابانى مثلا او المانى او روسى

ومن يدرينا فلعل ربان السفينة قد شاخ وهرم وارتجفت يداه فلم يعد أهلا للقيادة . او لعله بعد هذه الحرب وزن بالموازين فوجد ناقصاً فأخذ سلطانه وأعطى لآخرين

ان كانت القوة هيَ العامل الاكبر في تسيير دفة الأيام ، فأخلق بمن تتهيأ له اسبابها ان يفرض حكمه على الناس ويملى ارادته على المستضعفين . اما نرى الايمان بهدا المبدأ دون سواه اكبر عامل هدم جمعية الامم التى استحدمت فى سبيل بقاء رياسة بعضهم على بعص . فتمرد المتمردون وآنسوا عجزاً وضعفاً عند المترعمين وقوة أعادوها بين أيديهم يهددون بها ويتسلطون

فكأنه كتب على الاسانية ان تتداولها الايدى القوية

« وتلك الايام نداولها بين الناس »

فادا كان الامر للقوى بعرض حضارته على الآحرين ، فاىا نعمى عن الحقيقة ادا ما رأينا دولة الحرمان تمثل الفوة أحسن تمثيل . إننا ما نزال نذكر صلحاً عقد فى فرساى صرت فيه الذلة والمسكنة على الألمان فسامهم المتصرون ما شاءوا من مظاهر العلبة

ثم ماكاد حبر المعاهدة يجف حى اخد هؤلاء الألمان يطمون حياهم تنظما تناول شى نواحيها وعادت تلك الامة التي صرب علهـا أن تـكون عرلاء ، أقوى مما كانت فى ١٩١٤ وحى ضمت ابناء جرمانيا صما محكما الى احصانها وكان اطهار مثل هـده النية قبيل ذلك يدعو الى امتشاق الحسام تستله فرنسا وحليفاتها الشرفيات فتفبض المانيا يدها . وحتي دار الرمن دورته فاذا بنا نرى المانيا سيدة اوربا ولم تمص ربع فرن على وفوعها فى الحصيص

فاما ان سكون الحيونة الـكامنة فى اعصاب هؤلاء الىاس مما لا يقاوم او ان يكون الانحلال قد دب الى حصومها بالأمس إد يرون سلاحها نزداد ويزداد ، أما سلاحهم فيبلونه اما قصداً او عجزاً

فسواء أصح هدا أم صدق داك فالنتيجة واحده تدفع القوى الى استلام الرعامة فى حضارة حديده ، فان الله ما قضى نأن يحتكر العالم شعب واحد او شعبان ابد الدهر

ان الارض برثها عباد الله الصالحون ، وليس أهلا لأن يكون من هؤلاء الصالحين إلا من أخذ نأسباب العزم والحد فى شئون الحياة كلها ، أحداً بجمعه قولك : القوى القوى

سامى الجريدينى

اعتذار للكتاب

على الرعم من زيادة عدد الصفحات فى هذا العدد ، اضطررنا الى تأجيل بعص مقالات لبعض حضرات الـكتاب الذين تفضلوا بمعاونتنا في تحرير الهلال . وما كان تأجيلها الا لورودها والمجلة ماثلة للطبع . ومن هذه المقالات : « وجوه النقص فى التعليم المصرى » وهو مقال لحصرة صاحب العزة محمد بك فهيم المراقب المساعد للتعليم الثانوى بوزارة المعارف . وسننشره فى العدد القادم

بين الفيلسوفين

هربرت سبنسر والشيخ محمد عبده

من مذكرات مستر ويلفريد بلنت

بقلم الاستاذ راشد رستم

وضع مستر ويلفريد بلنت محامى زعماء الثورة العرابية مذكرات صافية عن حوادث مصر فى أثناء مقامه بها . وقد خص فيها صديقه الحميم الشيخ محمد عبده بجزء كبير ترجمه الاستاذ راشد رستم وهنا ننشر من هذه الترجمة ما رواه بلنت عن مقابلة الاستاذ الامام للفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر بانجلترا وما دار بينهما من حديث طريف

المستر « ويلفريد بلنت » ارستقراطى المولد والنشأة ، ولد سنة ١٨٤٠ ، وعاش حتى سنة ١٩٢٢ وكان فى حياته حركة دائمة ، كما كانت له فى حياته مناح كثيرة واسعة ، وذلك بما وهبته الطبيعة من الصفات المتنوعة ، وما هيأت له من الوسائل المتعددة ، فقد كان رحالا يتعارك فى الدوائر السياسية والدبلوماسية ، وكان بطبعه ثورويا ، كما كان شاعراً ذا باع طويل ، وهو فنان حفار ، وقد تزوج حفيدة « بيرون » الشاعر الانجليزى المشهور ، وهو كذلك غنى واسع الغنى يملك الضياع والغابات ، وقد شغف بتربية أصايل الخيل العربية

وقد عاش زماناً بمصر ، وكان له فيها بيت بالشيخ عبيد بالقرب من المطرية ، واسع الارجاء ذو حديقة غناء ، ترك أشجارها تنمو كما تشاء وما عليه إلا أن يسقيها الماء

له صلات بجميع من اشتغل بالسياسة المصرية ، من مصريين وأجانب منذ عهد عرابى الى أن مات . وقد عمل فى سبيل مصر كثيراً ، وفضح الانجليز وحكمهم ، حتى أغضب قومه ، وأول من غضب عليه هو الملك إدوارد السابع الذى جعل الخديو عباس يمتنع فى آخر لحظة عن زيارته بانجلترا ، وكان بلنت قد استعد لهذه الزيارة استعداداً عظيما . وقال يومها كلمة تدل على الخلق الانجليزى الغريب وهى : أنه اذا كان الخديو قد أطاع الملك ادوارد وهو ليس من رعاياه ، فان بلنت أولى بطاعته وهو من رعاياه

٩ أغسطس سنة ١٩٠٣

لقد قضيت وقتاً سعيداً فى الأيام الأخيرة مع المفتى ، واليوم بينما كنا نسير فى (نيوبلدج وود) تحدثنا حديثاً طويلا عن الدين ، وسألته خاصة عن اعتقاده فى اللائكة والجن ، فقال عن الجن إنه وإن كان لا ينكر وجودهم ، إلا أنه « ليس هناك من شاهدهم ، وليس فى الوسع ان نعرف شيئاً عنهم . وأما عن الله سبحانه وتعالى فمن المحال ان نعرف شيئاً »

ثم سألته عن الحياة الآخرة فقال إنه ستكون هناك حياة نعم لأناس وحياة شقاء لآخرين ، ولكن على أي طريق وشكل هى ، فذلك ما لا علم له به

وهو لا يعتقد مع ذلك بالعذاب الدائم المقيم

وتحدثنا عن حوادث سنة ١٨٨٢ وقد قرأنا الجرائد التى نشرت أخبار محاكمة عرابى ، وحثنى كثيراً على نشر تاريخ ذلك العصر ، والصعوبة التى اعانيها هى ان أكثر وثائقى ما هى إلا خطابات كتبها أشخاص ما يزالون على قيد الحياة قد يعترضون على نشرها . مع العلم بأنه بغيرها لا يمكن وضع صورة حقيقية عن دسائسا الانجليزية فى تلك الفترة . على أنه ليس فى تلك الخطابات شيء شخصى . وانما هي وثائق تاريخية نزيهة لا بد يوماً أن تنشر وحبذا لو كان ذلك سريعاً وقريباً

وأخيراً تحدثنا عن القضاء وحالته الحاضرة فى مصر . وهى المسألة التى سألنى محرر جريدة المانشستر جارديان معلوماتي عنها . والآن فى وسعى ان أحييه وذلك بمعونة المفتى

١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣

ذهبنا الى مدينة بريتون لزيارة الفيلسوف هربرت سبنسر الذى جاء المفتى من أجله الى انجلترا إذ يعتقد أنه فيلسوف عظيم ، وقد عرب كتابه الذى الفه عن التربية ، وكنت قد كتبت الى سبنسر عن ذلك وعن طلب تحديد موعد للقاء

وقد أرسل سبنسر عربته وسكرتيره لمقابلتنا بالمحطة . وقد وجدنا الرجل العجوز بالفراش منذ ابريل ، على أن الصدمة التى انتابته لم تؤثر فى عقله ، وقد رأيناه سلس التفكير ، نير الذهن ، كما أنه قوي الصوت ولكنه هزيل جداً

وجلسنا معه مدة قصيرة قبل الغداء ، ثم جلسنا جلسة أخرى بعد ذلك . وقد حاول أن يتكلم بالفرنسية فلم تسعفه ، فتحول بسرعة الى الانجليزية وقمت بعمل المترجم ، وقد أظهر حسرته على اختفاء « الحق » من عالم السياسة الاوربية الحديثة ، كما استنكر حرب الترنسفال وعدها خروجا على مبادىء الانسانية . وقال بأن حكم « القوة » آت لا ريب فيه ، وان حربا عامة ستقوم فى سبيل السيادة العالمية تستعمل فيها كل أنواع الوحشية

. بينما في جلسة بعد الظهر فقد تحول الحديث الى الفلسفة ، وقد سأل المفتى : هل الشرق يسير في تفكيره على النمط الذى يسير فيه الفكر فى أوربا ، وقد أجاب الاستاذ الامام عن ذلك بقوله : « ان ما يتعلمه الشرق من الغرب هو الخبيث دون الطيب على انه لا يزال أنضج الفكر عند الاثنين سواء ». ثم قال سبنسر : « اذا رجعنا الى جوهر الامور فانى أظن ان الفكرة السائدة عن القوة الخفية المحركة للعالم والتى تقولون عنها (الله) ونقول عنها نحن (God) أى الرب ، ليس فيها خلاف بيننا »

وقد أجاب الاستاذ عن ذلك اجابة أبان فيها الفرق بين الفكرتين مما لفت نظر سبنسر ، وعده جديداً طريفاً ، قال الشيخ : «انا نعتقد ان الله كائن وانه ليس بشخص » ، وقد سر بذلك سبنسر ولكنه قال : « ان التمييز فى ذلك صعب الفهم والادراك » ، ثم قال للاستاذ : « يظهر لى انكم تعتقدون بقصور العقل عن الادراك الالهى ، وهذا يشبه نظرية الذين يجهلون الله وهي النظرية الموجودة بين كثيرين فى أوربا »

والى هنا وقف بنا الحديث الطريف مع سبنسر لانه ممنوع من الكلام طويلا . على انى فى العودة الى المحطة تحدثت مع الأستاذ فى الموضوع ذاته بوضوح أكثر فقلت له : « هل تعتقد أن الله وعياً وأنه يعلم بأنك موجود وانى موجود ؟ وألا يدل هذا العلم على وجود الشخصية ؟ »

فقال الشيخ : « نعم انه يعلم »

فقلت له : « اذا كان هو يعلم ذلك فهو يعلم كذلك انك طيب وانى غير ذلك » وقد وافق الشيخ على ذلك

فقلت : « اذن فهو راض عنك وغير راض عنى » ؟ فقال الأستاذ : « انه يقر أشياء ولا يقر أشياء أخرى »

فقلت : « انه يقر اليوم لان أعمالك صالحة ولا يقر غداً لأنها غير صالحة ، أليس هذا التحول فى الاقرار من خصائص الشخصية ؟ فكيف إذن لا يكون الاله شخصاً ؟ »

وقال الاستاذ : « ان الله يعلم كل شيء فى كل وقت ، وليس له يوم وليس له غد ، وهو واحد أحد صمد ، وعلمه دائم ، ولا تبديل لكلماته ، مدرك لكل شيء ، خالد ، لا ينتابه الحدوث ، وانى أسمى هذا كائناً ولا أسميه شخصية »

فقلت : « والمادة ؟ أليست المادة هى كذلك دائمة ، أو ان الله هو الذى يخلقها ؟ فاذا كان هو الذى يخلقها فهو بذلك يقيم تعديلا وتبديلا وتغييراً ! »

فقال الشيخ : « ان المادة دائمة كما ان الله دائم »

إلى هنا ينتهى الحديث ويتضح بذلك أساس اعتقاد الشيخ الامام ، وقد اتفقت معه على ان أفكارنا واحدة

بين الفيلسوفين

هربرت سبنسر والشيخ محمد عبده





صورة الاستاذ الامام محمد عبده وقد قال عنها الشيخ رشيد رضا انها أخذت للاستاذ الامام بلندن وهو يصلي . والحقيقة أنها أخذت له في احدى شرفات البرلمان الانجليزي في ٢٢ يولية عام ١٨٨٤ . والناظر الى الصورة يجد الاستاذ ينظر بحدقتيه الى عدسة المصور أي انه واقف للتصوير لا للصلاة



...ى آن زوجة مستر بلنت ، لابسة
...ل والكوفية والعباءة . وهى
حفيدة اللورد بيرون الشاعر الانجليزى
المشهور

صورة تاريخيــة نادرة أخذت بمنزل
الاستاذ الامام محمد عبده بعين شمس .
تمثل من اليمين مستر بلنت باللباس العربى
فعائشة كريمة الاستاذ الامام ، فمصطفى
بك حمودة شـقيقه



في أحضان الدين

نشأ التمثيل نشأته الاولى

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

ليس التمثيل ملهاة ، أو هو على الأقل لم يكن فى كل العصور ملهاة . ولقد كان في نشأته الأولى أبعد ما يكون عن اللهو . وهذا التاريخ القديم شاهد صدق وآية يقين على أن التمثيل انما نشأ وترعرع فى حجر الدين . ونحن إذ نورد هذا القول فى التمثيل لا نقف به وقفة مؤرخيه عند الأغارقة الاوائل ، بل نوغل فى القدم حتى الفراعنة الأقدمين

فمنذ الآلاف من السنين كان الكهان فى مصر القديمة يمثلون على البركة المقدسة ، الملحقة بالمعابد الكبرى في الكرنك ومدينة آبو والعرابة المدفونة وصالحجر وغيرها ، سره الاله أوزيريس وفاجعة موته ومعجزة بعثه

ولقد روى هيرودوتس شهوده للحفلات فى معبد الربة الحامية « نيت » حين عرج فى زيارته لمصر على مدينة سايس (صالحجر) فى عام ٤٥٠ قبل الميلاد ، فقال : « كذلك بمدينة سايس فى معبد أثينا (هى نيت عند المصريين) ضريح هذا الذى لا أستبيح هنا ذكر اسمه الأعظم (يقصد الاله وزيريس). ويقوم الضريح وراء الهيكل مسنداً إلى الجدار الخارجى على امتداد عرضه . وفى ساحة الحرم مسلتان عظيمتان من الحجر مصوبتان . والى جانب المعبد بركة يحيط بها رصيف من الحجارة تام الاستدارة ، وعندى انها فى اتساعها تضارع البركة التى يسمونها « الدائرة » فى ديلوس . وعلى هذه البركة يجرى ليلا تمثيل آلامه (آلام أوزيريس) ويسميها المصريون الاسرار . وانى ــ وأنا العزيز العلم ببواطن كل منها ــ لأحبس عن ذكرها لسانى ، وأزم دونها شفتى ، ملتزما الكتمان ، لائذاً بحرمة الصمت »

على أن الذى أمسك عنه هيرودوتس ، وأشرج عليه صدره ، ما برحت به أعمال البحث والتنقيب فى السنوات الأخيرة حتى كشفت بعض السر وأزاحت ذيلا من الستر ، فأظهرت المتأخرين على نقوش مطمورة ، وأدراج من البردى مطوية ، تطالعهم بما يصح ان تبنى عليه صورة قريبة الشبه بما كان عليه التمثيل فى معابد المصريين

فلم يقتصر الأمر على الشعائر الرمرية يقيمها الـكهان ، من عمود قدسى ينصب بواسطة حبال يشدها أفراد الأسرة المالـكة ، ويقدم له القرابين كاهن راكع ، ومن حوله الاناشيد والرقص ، ثم لا يلبث أن يمال موثقاً بالحبال ، ومن آنية تـكفأ ومجمرة تطفأ وتعويذة تحطم ، ومن ماعز تدبح ورأس أوزة أو عجل تقرب ، إلى عىر دلك من اشارات وتلويحات فوق متناول الافهام . بل تجاوز الأمر هذه الطقوس اللغره الى التمثيل الفعلى دى المشاهد المسرحية

وأولى هذه المشاهد مشهدموكب عطيم ، يمثل انتصارات أوزيريس ، فى حكمه المجيد الزاهر على مصر ، وفى الطليعة ألوية الحرب وأشاره على صوره « ابن آوى » رمز الأله انوبيس دليل الموتى ومفتتح السبل ، ويليها فى وسط الموكب مركبة حربية دات عجلات أربع يجروبها ، وعليها الفلك الشمسي وفيه تمثال أوزيريس ، ومن حوله الـكهنة يحمرونه . ويقبل هـذا الموكب الحافل بجموعه المؤلفة على المعبد ، فيعرض له عند بابه شرادم أعدت للقيام بدورالأعداء المناوئين ، فتنشب معركة حاميـة بالعصى ، سرعان ما سجلى عن اندحار الأعداء ، ودحول أوزيريس المنتصر الى الهيكل الأعظم

وهنا بعد مغيب الشمس ، فى كنف المعبد ، ومن وراء الأبواب الموصدة ، يحتفلون بالسر الأليم . ولا نعلم ما يجرى فيه عىر الـكهان ومن يأتمنونهم عليه . فلقد ضنوا به أن يودعوه درجا من البردى فى حرائنهم ، أو حجراً دفيناً فى مقابرهم ، ويدور الاحتفال في حملة موضوعة على مقتل أوزيريس غيلة فى قصره بيد أخيه « ست » ثم طرحه فى النهر

وكل ما يطالعون به الـكافة من الجمهور عن هـذه المأساة ، هو اعلان الحداد والندبة على لسان فتاتين من العذارى المطهرات ، النواعم الاهاب ، المفرغات فى قالب الحسن ، تجلس كل منهما على جانب من باب الردهة دات الأعمدة فى مقدم المعبد ، وعلى رأسها شعر مستعار وفي يدها دف مدار ، وعلى كتف احداهن اسم ايزيس ، وعلى كتف الأخرى اسم نفتيس ، وهما تتناوحان وتنشدان المراثى

وفى التاسع عشر من شهر هاتور ، تبدأ الحفلة الليلية على البركة الملحقة بالمعبد . فتعثر ايزيس فى حفافى البركة على جسد زوجها ، فيدفن فى ارباضها باحتفال مهيب ، ثم ينبرى حورس ابن الاله ليثأر له من قاتله ، وتنشب معركة بحرية بين الفريقين تدور فيها الدائرة على القتلة أعداء أبيه . وفى النهاية ترد الى أوزيريس القوة والعافية بفضل الطقوس السحرية ، ويعود اوزيريس عودة الظافر الى المعبد بين التهاليل والاغانى والرقص ومعالم الأفراح

ولقد أجاد بعض أصحاب الخيال من علماء الآثار المصرية وصف هذه المهرجانات التمثيلية ، وأجملها في الحفلة الليلية على البركة المقدسـة ، مستعيناً فى تصوير دقائقهـا وتلوين مناظرها بمعارفه التاريخية

فترى المعبد في جنح الليل يضيئه ما لا يحصى من المصابيح المسرجة، وتتوهج النيران على أبراج أبوابه وعلى أسواره وسقف حرمه، وتتقد المشاعل بين الصفوف المتقابلة من تماثيل أبي الهول الرابضة على جانبي الأبواب العدة المؤدية الى البناء الأعظم، وتخفق الاعلام والبيارق على هذا المشهد المتلألىء، وتنتظم في ارجائه أكاليل الزهر، وتملأ جوه موسيقى شجية النغم،

وهنا تتراءى للاعمدة المنقوشة والجدران المغشاة بالتهاويل حياة مشبوبة تحت الاضواء والنيران. وتلقي المسلات وتماثيل أبي الهول على بلاط الارض الممرد طلالا غريبة الاشباح

وفيما يلي المعبد تنعكس أنوار ملونة على بركة صافية رائقة، يحيط بها خمائل شجر رائعة ومنابت ريحان بهيج. وعلى صفحة هذه البركة المقدسة تجرى زوارق ذهبية فيها جوار حسان وولدان وسام، في ثياب ناصعة البياض، يرتلون أعذب الألحان. والزوارق بغير ربان يجريها، بل تنساب وحدها على الماء الساجي كأنما تنساب بفعل السحر. وفي وسط هذه الزوارق سفينة عظيمة فخمة تلتمع بما عليها من حلي وجوهر. وعند سكانها - أي دفتها - فتى وسم يلوح أنه يتولى توجيهها، ولكن العجيب في الأمر أن السكان الذى يحركه لم يكن إلا زهرة بشنين بيضاء لا تكاد غلائلها الرقيقة تمس الماء. وفي وسط السفينة امرأة حسناء في حلة ملكية، منكئة على وسائد حريرية، والى جانبها يجلس رجل طويل فارع، وعلى هامته تاج عظيم، وشعره المرسل مزدان بالأكاليل، وعلى منكبيه لفاع من جلد النمور، وفي يده قضيب معقوف. وفي مؤخرة السفينة تحت سقيفة من الورد واللبلاب وزهر البشنين تقوم بقرة ناصعة البياض كالثلج لها قرون ذهبية وعلى ظهرها مطرف أرجواني. أما الرجل فهو أوزيريس، والمرأة ايزيس، والفتى القائم على السكان حورس سليل الزوجين الالهيين، وأما البقرة فهي الدابة المقدسة المدعوة للربة

وتنساب الزوارق تجوز بالسفينة العظيمة، ولا تكاد تدنو من الآلهة حتى ترتفع عقائر الجوارى الحسان بالتهاليل وأغاني المرح، فتمطرهن الآلهة وابلا من الثمار والأزهار

واذا بالرعد يدوى وتتعالى جلجلته حتى تصير زمجرة منكرة مرعبة، واذا برجل شنيع الهيئة، متشح بفروة خنزير وحشي، ويحيط بوجهه الشتيم شعر أحمر أشعث، يبرز من دغل، ويقفز في البركة مقتحما عبابها الى السفينة ومعه سبعون رجلا على شاكلته

فتجفل الزوارق وتولى الأدبار أسرع من الريح. وينتفض الفتى القائم على سكان السفينة، وتهوى من يده زهرة البشنين. وفي مثل لمح الخاطر يهجم ذلك الوحش المخيف على أوزيريس ويذبحه بمساعدة أعوانه ويطرح الجسد في تابوت يطرحونه في الماء. ولا يلبث التابوت الطافى ان يغيب بمثل فعل السحر. وفي أثناء ذلك تولى ايزيس إلى الشاطىء مهدلة الشعر نائحة مولولة، وتجوب ضفاف البركة ومعها الجوارى وقد برحن الزوارق مثلها. وتظل الجوارى باحثات عن رفات الميت،

وهن يرقصن رقصاً عجيباً ويرددن ألحان الفحيعة والندب ملوحات بالطرح السود . ولا يقف الولدان من غير عمل ، بل يهيئون بين العجيج والرقص تابوتاً نفيساً للرفات الغائبة . وحينما يتم تجهيز التابوت يلحقون بجوارى ايزيس النوائح النوادب ، ويطوفون جميعا منشدين المراثى الفاجعة ، باحثين حول ضفاف البركة

واذا بصوت رخيم يطرق الأسماع من مصدر غير منظور ، وهو ينشد نشيداً يتعالى كلما مضى فى الانشاد ، مشيراً بان جسد الاله قد احتمله عباب البحر المتوسط الى بيبلوس فى بلاد فينيقية النائية. فلا تكاد ايزيس تسمع البشرى حتى تطرح عنها ثياب الحداد ، وتنطلق تنشد ووصائفها الحسان أغنية الاستبشار والحبور

ويصح النبأ ، وتهتدى الربة الى الناووس وفيه رفات روحها عند الطرف الشمالى للبركة . فينزلونه الى البر ، والجوارى يرقصن رقصة فرح وابتهاج . وترتمى ايزيس على الرفات العزيزة وهى تدعو أوزيريس باسمه الالهى ، وتعمر مومياءه بالقبل ، بينما يهيىء الولدان صرحاً بديعاً من زهر البشنين واللبلاب . وبعد ان يعيدوا الناووس فى صرحه المزهر ، تغادر ايزيس هذه البقعة الحزينة ، باحثة عن ولدها . فتهتدى اليه فى الطرف الشرقي للبركة قائماً وضاح الجبين رائع الحسن قد بلغ أشده وهو يرتاض على النزال فى وسط هالة من لداته

وبينما الام مبهجة بمرأى ولدها الجميـل ، يطرق الأسماع مرة أخرى ، قصف الرعد مؤذنا مرة أخرى بمطلع « ست » العبيص ، ويهجم الوحش هجمته المنكرة على الصريح المزهر ، وينتزع فتيله من ناووسه ويمزق المومياء إربا تبلغ الأربعة عشر عدداً ، ويبعثرها كل مبعثر بين هزيم الرعد ونفحات البوق فى شطآن البركة

وتعود ايزيس ، فاذا شارفت الصريح لم تجد الا زهراً داويا وناووساً خاوياً . غـير انه على ضفاف البركة مطارح متفرقة تبلغ الأربعة عشر عدداً ، تشب منها نيران ساطعة ذات ألوان عجيبة . فتهرع الربة الثاكلة الى هذه الشعل المشبوبة . ثم ينتظم الشباب حول حورس فيمضى على رأسهم لمقاتلة « ست » على الصفة الاخرى

ويا له من مشهد مزدوج يحار المرء الى أي وجهتيه ينصرف بسمعه وبصره وكلتاهما شائقة رائعة . فهنا معركة هائلة تحتدم بين قصفات الرعد المجلجل ونفحات الابواق العالية مما يذهل الحواس وتتعلق له الانفاس

وهناك أصوات نساء رخيمة ، ورقص عبقرى مصحوب بأغان ساحرة ، وذلك بأنه إلى جانب كل شعلة من النيران المتفرقة الساطعة ، تجد ايزيس فلذة من رفات روحها ، فهى تحتفـل بها احتفال الافراح . وناهيك بحركات الجوارى خوالب للانظار سوالب للالباب ، فهن تارة محتشدات فى رقصهن كأشد ما يكون الاختلاط والهرج ، وهن تارة منتظمات فى صفوف مستوية يحادى بعضها

بعضاً . وسرعان ما يعدن فى كل مرة إلى ما كن فيه ، فى كل طرفة عين يداولن بين اختلاط جديد وانتطام حديد . وفوق ذلك تنبعث من صفوفهن المتحركة المتحلقة في دوار لا يستقر على قرار ، أشعة زرقاء متوازية متقاطعة تخطف الابصار ، معكسة من مرايا مثبتة بين منكبي كل راقصة فهى تضاعف الشعاع فى سكناتهن وتلمع كالبروق فى حركاتهن

ولا تـكاد ايزيس يجتمع لها من أوزيريس أشلاؤه جميعاً إلا واحداً ، حتى تدوى نفحة الابواق وتتعالى الاناشيد مؤذنة بالنصر المبين على الضفة الاخرى من البركة

لقد انتصر حورس على ست . وها هو ذا يقتحم طريقه إلى الباب المفتوح الذى تحرسه عجله البحر المفترسة ، والذى يؤدى إلى العالم السفلى فى غربى البركة . . . انه ماض ليخلص أباه

وتتسلسل فى المسامع الصاغية المشوقة أنغام عذبة من عود ومرمار ، وتأحد الانغام فى العلو والدنو ، وتتصاعد سحائب من البخور الفاغم العطر ، وينتشر على الدغل ضياء وردى يزداد سطوعا على سطوع . ويخرج أوزيريس من باب العالم السفلى المفتوح له على مصراعيه وقد أحذ بيده ولده حورس . فتخف ايزيس الفرحى إلى دراعى زوجها الناجى القائم من بين الموتى ، ثم تناول ولدها الجميل حورس زهرة بشنين بدلا من حسامه ، وتنثر الازهار والثمار ذات اليمين ودات اليسار ، بينما يتبوأ أوزيريس متبوأه تحت قبة ملـكية مكللة باللبلاب ، يتلقى الولاء والطاعة من جميع من على الارض وتحت الثرى

ونحن نرجو ان ينتبه القراء معنا من هدا الحلم الجميل ، لنقرأ واياهم ما كشفت عنه احدى بعثات التنقيب أخيراً ، ونقله الينا العلامة المسيو دريوتون ، من نقوش على حجر فى ادفو مكتوبة على لسان من يدعى « امحب » . وهو كما ينضح من الـكتابة خادم لممثل من الجوالة ، حيث يقول : « لقد صحبت أستاذى فى حولاته ، ولم أقصر فى الالقاء . وكنت عند كل خطاب لأستادى أتولى الحواب . فاذا كان الاله ، كنت الملك . واذا كان الميت كنت المحى » . فلم يكن التمثيل ـ إدن ـ مقصوراً على المعابد كما زعم الزاعمون حتى عهدنا الحاضر ، بل كان شائعاً شيوعه فى أيامنا هـذه ، وكانت الفرق الجوالة تعرضه فى طول البلاد وعرضها ، وفي ريفها وحضرها ، فى الاسواق وفى أيام الاعياد . بيد أنه مهما قيل من ازدياد مخامرة العواطف البشرية لما كان يجرى فيه من حوار ، وينشد من غناء ، ويتخذ من مواقف ، فان موضوعاته ظلت طول المدى دائرة على الآلهة ، متوخية الهداية لها وتقوية الايمان بها

فالتمثيل عند أجدادنا الاقدمين لم يبرح ـ حتى بعد شيوعه ـ حجر الدين ، ولم يكن قط عبث شهوة للعابثين وملهاة فراغ للاهين

عبد الرحمن صدقى

اللغة العربية أغنى من الفرنسية

بقلم الاستاذ حسن الشريف

اللغة العربية أغنى من اللغة الفرنسية ، بل هي أغنى في قوة تعبيرها وكثرة ألفاظها من سائر اللغات الاخرى . وقد قارن الكاتب هنا بينها وبين اللغة الفرنسية في هذا الموضوع

لغتنا العربيــة ، برغم مانقصها اليوم من كلمات نعبر عن مصطلحات الفلسفة والعـلوم ، ومستحدثات الصناعة والفنون ، لغة غنية كريمة ، طيعة مرنة ، لا تعوزها كلمة تعبر عن أي شيء مما يتصوره الانسان في الحقيقة والخيال ، ولا تقصر عن تأدية أي معنى من المعاني التي يوحى بها الفكر والعواطف والحواس ، فما من هاجسة من هواجس القلب ، أو خاطرة من خطرات العقل ، أو عاطفة من عواطف النفس ، أو صوره من صور الطبيعة والحيـاة ، إلا لها في اللغة العربية الكلمة المقابلة المطابقة الموافقة ، التي تنقلها الى المخاطب نقلا صحيحاً أميناً دقيقاً ، لا لبس فيه ولا ابهام

لا ، بل ان العربية كثيراً ما تقدم اليك الشيء الواحد في عده كلمات تحسبها مترادفة وما هي بالمترادفة ، إذ كل واحدة منها تصور لك لونا أو نوعا أو درجة أو حاله من ذلك الشيء نفسه

فالظمأ ، والصدي ، والأوام والهيام ، كلمات تدل على العطش الا أن كلا منها يصور درجة من درجاته . فأنت تعطش اذا أحسست حاجة الى الماء ، ثم يشتد بك العطش فتظمأ ، ويشتد بك الظمأ فتصدى ، ويشتد بك الصدى فتؤوم ، ويشتد بك الأوام فتهيم . واذا قلت ان فلانا عطشان فقد أردت انه في حاجة الى جرعات من الماء لا يضيره أن تبطىء عليه . أما اذا قلت انه هائم فقد علم السامع ان الظمأ برح به حتى كاد يقتله

والعشق ، والغرام ، والولع ، والوله ، والتيم ، صور من الحب ، أو درجات متفاوتة منه ، تبين حالاته المختلفة في نفوس المحبين . فليس كل محب مغرما ولا كل مغرم مولهاً ولا كل موله متيما

هذه الوفره في الكلمات للتعبير عن الشيء الواحد في متفاوت صوره وحالاته ، قلما تجدها في لغة أخرى ، واذا صادفتها في احداها فلا يمكن أن يكون بمثل هذه الفيضوضة العربية التي تغنينا بكلمة واحدة عن عبارة مطولة نحدد بها المعنى المقصود ، وتجعلنا نقول عن المشرف على الموت

عطشاً انه « هائم » ، حين لا يستطيع الفرنسى أن يؤدى هذا المعنى الا فى ثلاث كلمات إذ يقول : « Mourant de soif » أى « مائت من الظمأ » أو فى سبع كلمات ليكون المعنى أوضح ، فيقول : Sur le point de mourir de soif أى « على وشك أن يموت من الظمأ »

على أن العيب فى قصور لغتنا عن تقديم الكلمات التى تعبر عن مصطلحات الفلسفة والصناعات والفنون ، ليس عيب اللغة نفسها وانما هو عيب أصحابها الذين وقفوا بها حيث تركها الأولون ، فلم يماشوا المدنية الجديدة فى نواحي نشاطها ، ولم يسايروا التفكير الحديث فى سبل نموه وترفيه . وهو على كل حال عيب مؤقت لا يمكن أن يبقى الا ريثما تتحرر اللغة العربية من النزعة الجامدة الرجعية التى تتحكم فيها الآن ، والتى تريدها عربية خالصة ، نقية من كل أجنبى ودخيل . وعندئذ تنفتح أبواب التعريب والاقتراض ، فتستكمل اللغة العربية ما ينقصها ، وتصبح بحق أغنى اللغات

ان اللغة التى تدعى أنها تستغنى بنفسها عن الاقتراض من اللغات الأخرى لم تخلق بعد ، وليس فى استطاعة هيئة من الهيئات ، ولا أمة من الأمم أن تخلقها . ومهما يكن من غنى اللغة العربية وسعها فلا مناص لها من الخضوع لذلك القانون العام . ولسوف يتضح لأشياخنا الذين يزعمون امكان الاستغناء بالنحت والاشتقاق عن الاقتراض والتعريب أنهم يحاولون محالا وأن أكفهم الضعيفة لن تقوى على صد تيار التجديد الذى يقضى بتطعيم اللغة العربية بمفردات أجنبية فى مواد العلوم والصناعات والفنون . فمن العبث المطلق أن يحاول بعضهم التعبير عن « الراديو » بالمذياع ، وعن «التليفون» بالارزيز ، وعن «الترام» بالحمار، ففى ذلك ارهاق للاذهان لاتستوجبه الضرورة وبعث أو خلق للغة جديدة لاتستسيغه طبيعة العصر

لقد كان العرب أقدر منا على النحت والاشتقاق ، وكان فى وسعهم أن يخلقوا كلمة يعبرون بها عن الآلة التى تعين مواقع الكواكب فى الفضاء ، ولكنهم اقترضوا من اليونانية كلمة « الاصطرلاب Astrolabe » وعربوها فاندمجت فى لغتهم وصارت منها . ومثل الاصطرلاب الهندسة والكيمياء والبنج والكحول والترياق والقانون والانبيق والأسورة والمنجنيق والسندس والسروال والدمقس والديباج والاسترق والابريق والصنجة والنموذج والبرنامج والدرهم والدينار وآلاف غيرها من المفردات الأجنبية رضى بها العرب فعربوها حتى لقد ورد بعضها فى القرآن . فماذا علينا لو نحونا هذا النحو فى الاقتراض والتعريب ، وأطلقنا على مستحدثات الصناعات والعلوم والفنون أسماءها الأجنبية تقريباً للغات وتسهيلا للفهم واقتصاداً فى الوقت وخضوعاً للسنن القاهرة التى خضع لها الأولون ؟

فنقص العربية اذن نقص هين يستطاع تداركه فى أى وقت متى صحت العزائم وصلحت العقول ، ولكن تعال نوازن بين هذا النقص المؤقت الطارىء ، وذلك النقص الأساسى الهائل الذى نشاهده فى لغة كاللغة الفرنسية ، يعتبرها أصحابها وغير أصحابها أغنى لغات الارض وأكملها

نعم تعال نوازن بين هذين النقصين لنري كيف ان اللغة الفرنسية تعجز عن أن تعبر بكلمة واحدة عن صفات وعواطف واحساسات حلقت مع الانسان ، وكيف أنها اذا أرادت التعبير عن بعض المعاني النفسية والاجتماعية والعملية ، أعوزتها الكلمة ولجأت للتعبير عنها الى صياغة الجمل والعبارات

ابحث في الفرنسية كلها عن كلة تعبر بها عن ذلك الاحساس الطبيعي ، احساس السرور الذى تشعر به عند ماترى عدواً لك فد رل به مصاب أو حلت به كارثة ، فحن نسمى دلك الاحساس « شماتة » ، أما الفرنسية فليس فيها ما يقابل هده الكلمة ، ولدلك يضطر الفرنسي الى أن يقول :

Se réjouir du malheur de son ennemi اى : يسر بمصاب عدوه

واذا ذهبت الى هذا العدو لىطهر له شماتتك به ، فأنت تتشى منه ، والفرنسية لا تعرف أيضا كلمة تعبر بها عن « التشى » فتعمد الى الجملة المركبة وتقول :

« Manifester sa rejouissance du malheur de son ennemi » اى : يظهر سروره بمصاب عدوه

والفرنسي يعرف الندم « Repentir » ويعرف الكفارة « Pénitence » ولكنه لا يعرف « التوبة » كأن لم يخطر ببال فرنسي يوما أن يندم ويكفر ويتوب

و « المكابرة » و « المهاترة » اللتان يألفهما قراء الصحف الحربية في جميع البلاد لا يعرفهما الفرنسيون حتى إنك لتضيع وقتك فى البحث عن مقابل لهما في لغتهم فلا تجده

وكأنى بأخلاقهم قد سمت على كل عيب حتى إن الواحد منهم لا يعير أخاه بمرض أو بعاهة أو نقيصة ، ومن ثم فأنت لا تعثر فى الفرنسية بكلمة تؤدى معنى «التعيير» فاذا أراد أحدهم أن يقول لك : « لا تعيرنى بعاهتى » قال لك : « لاتأخذ على عاهتى» Ne me reprochez pas mon infirmité

وكذلك سمت أخلاقهم عن « المن » فلا يمن أحد منهم على أخيه بما قدم له من خدمات أو بما أسبغ عليه من نعم . والدليل على ذلك أنك لا تعرف كيف تقول «المن» بالفرنسية إلا اذا قلت : « التذكير بالفضل الذى أسلفته » Rappeler ses bienfaits à quelqu un

والفرنسيون لا « يبخلون » على احد بشيء ، ولا « يضنون » على صديق بنصيحة ، وإلا فما سرخلو لغتهم من فعلى « بخل يبخل » و « ضن يضن » مع توافر المصادر لديهم ومنها Avarice و Lésinerie

ومن عجيب أمرهم أنهم يكذبون ولا يصدقون . عندهم الفعل الذى يعبر عن رذيلة الكذب Mentir ولكن ينقصهم الفعل الذى يعبر عن فضيلة الصدق ، فاذا أرادوا أن يقولوا « صدق يصدق » لم يجدوا فى لغتهم سوى هذا التعبير dire la vérité أى « قال الصدق »

وهم يعرفون الحسد Envie والغيرة Jalousie ولكنهم لا يعرفون الغبطة

وهم أيضاً يؤاخذون ، ويلومون ، ويعنفون ، ويؤنبون ، ولكنهم لا يعتبون و « العتب »

الذى يراد به فى لغتنا اللوم مع الابقاء على المودة غير معروف عندهم فهم يقولون عنه « اللوم الودى « Reproche amical »

والفرنسى يرغب فى خليلته أو يشتهيها « Il la désire » وقد تنقصه « Elle lui manque » ولـكنه لا يشتاق اليها أبداً ، بدليل أن لغته خالية من كلة « الشوق »

وهو لا يرجح شيئاً على شىء لأن لغته جاءت خلوا من كلة « الترجيح » ، وقد يحتاج اليها فلا يجد أمامه إلا الميل الى الظن ، فيقول : Je suis enclin à croire أو : Je penche à croire

ومن سجاياه الـكريمة أنه لا « ينقم » على أحد ، حتى إنه لا يعرف فى لغته مقابلا لفعل « نقم ينقم » ولـكنه عند الضرورة يصنع جمـلة مطولة فيقول « انى أضمر له الحفيظة » Je lui garde rancune » أو « Je lui en veux

ومن عجب انه يعرف الشرف l'honneur ولا يغار على « العرض » ، والا فما ترجمة كلمة العرض باللغة الفرنسية ؟

ورب الدار الفرنسى يحسن استقبال ضيوفه bien recevoir ويكون كريماً معهم être généreux ولـكنه لا يكرمهم وإلا فدلنى على كلمة بالفرنسية اترجم بها فعل أكرم فى قولك : زرت فلاناً فأكرمني

والفرنسيون « عندهم جوع » و « عندهم عطش » ولـكنهم لا يجوعون ولا يعطشون ولذلك يقولون j'ai soif و j'ai faim أما فعل جاع أو عطش فى كلمة واحدة فلا يعرفونه

وهم لا يلفقون الدعاوى ولـكنهم « يصنعونها من كل قطعة » fabriquer de toute pièce أما كلمة « التلفيق » فهم يجهلونها

ولعل من كثرة علمهم أنهم يعرفون الموازين les poids والمقاييس Mesures أما « المكاييل » فلم يسمعوا بها ، ولذلك تراهم يكيلون بينما يظنون أنهم يقيسون ، والا فما معنى استعمالهم كلمة Mesures بمعنى المـكاييل ، وهى المقاييس ؟

* * *

تلك كلمات تحضرنى الآن ، ولا احد ما يقابلها فى اللغة الفرنسية الا جملا مطولة وعبارات مركبة كما رأيت . ولو انى اطلت التفكير وأحسنت البحث لعثرت بكثير غيرها . ولـكن حسبي هذا القدر لأبين أن هذا النقص يمس جوهر اللغة الفرنسية وأساسها ، ويجعلها عاجزة عن أن تعبر عن بعض ما يخالج القلوب من العواطف وعن بعض ما تحسه النفس من الاحاسيس ، حين تستطيع اللغة العربية ان تفيض عليك من مفرداتها ومترادفاتها فى هذه الأبواب ، ما يدعك فى حيرة لا تدرى أية تأخذ وأية تدع

حسن الشريف

من طرائف الاخبار

ملك النحاة

هو أبو نزار النحوى المولود ببغداد سنة ٤٨٩ هـ وله مصنفات عدة فى النحو ، وكان أديباً شاعراً وله ديوان شعر وقد لقب بملك النحاة ، ولكنه كان من ملوك الطرف

وكان كما يقول العماد مطبوعاً متناسب الاحوال يحكم على أهل التمييز بحكم ملك فيقيل ولا يستقال ، وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيتى ؟ . ولو عاش ابن جنى لم يسعه الا حمل غاشيتى ، مر الشكيمة ، حلو الشيمة ، يضم يده على المائة والمائتين ، ويمشى وهو منها صفر اليدين ، مولع باستعمال الحلاوات السكرية واهدائها إلى جيرانه واخوانه

وقد وصلته مرة خلعة مصرية فأخرج القميص الدبيقى الى السوق، فبلغ دون عشرة دنانير، فقال قولوا : « هذا قميص ملك كبير أهداه الى ملك كبير ، ليعرف الناس قدره ، فيجلبوا عليه الدر على الدار ، وليجلوا قدره فى الاقدار . ثم قال أنا أحق اذا جهلوا حقه ، وتنكبوا سبل الواجب وطرقه »

ومن طريف ما يحكى عنه ان نور الدين محمود بن زنكى خلع عليه خلعة سنية ، ونزل ليمضى الى منزله . ورأى حلقة عظيمة فمال اليها ، لينظر ما هى ؟ فوجد رجلا قد علم تيساً له استخراج الخبايا وتعريفه ما يقول له من غير اشارة . فلما وقف عليه ملك النحاة أدرك الرجل . فقال لذلك التيس :

« فى حلقتى رجل عظيم القدر ، شائع الذكر ، ملك فى زى سوقة ، أعلم الناس ، وأكرم الناس ، وأجمل الناس . فأرنى إياه »

فشق ذلك التيس الحلقة ، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة ، فلم يتمالك ان خلع تلك الخلعة ، ووهبها لصاحب التيس ، فبلغ ذلك نور الدين محمود ، فعاتبه وقال : « استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طرقي ! »

فقال ملك النحاة :

« يا مولاى عذرى فى ذلك واضح ، لان فى هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس ما فيهم من عرف قدرى الا هذا التيس ، فجازيته على ذلك » ! . . فضحك نور الدين

نعمة الحب

للباحث الاخلاقى ريمون فوتييه

أراد المؤلف بهذا الكتاب الممتع البحث فى حقيقة عاطفة الحب ونشوئها وتطورها، وتحليل الاثر الطيب الذى تحدثه فى النفس والمجتمع . والكتاب فى مجموعه تمجيد لعاطفة الحب ، باعتبارها نعمة روحية ، تصدر عنها طائفة من الفضائل الانسانية النادرة

الحب عاطفة شاذة معقدة يشترك فى تكوينها القلب والعقل والخيال . وهى أشبه بعرس مقدس قد لا تصاب به أبداً وقد تنقصك المناعة فتقع فريسة له . ومن الناس من يقضى حياة طويلة ثم يموت دون أن يحس عاطفة الحب . ومن الناس من يفكر ويشعر ويحيا ويموت فى سبيل الحب

فالحب وليد المزاج ، وأصحاب الأمزجة العصبية والمخيلات الملتهبة هم أضعف الناس أمامه ، وأشدهم كلفاً به ، أما أصحاب الامزجة الدموية فينظرون اليه نظرة مادية ، ويتهافتون عليه كما يتهافت الشره على مائدة حافلة بكل ما لذ وطاب

وكلما كان الانسان فقير العقل متبلد الذهن ، محدود أفق الخيال ، ساذجاً ، بدائياً ، موفور قوى البدن ، كان أقرب الى الفطرة في حبه ، وأوثق صلة بالغريزة ، وأسرع الى الارتواء ، وأدنى الى اعتبار الحب علاقة جثمانية تستقر في محيط الزواج . وكلما كان مثقف العقل مستنير الفكر واسع أفق الخيال ، أنهكت الحضارة أعصابه ، وأضعفت بدنه ، كان اكثر استعداداً للحب العاطفى ، وأدنى الى اعتباره علاقة فكرية روحية ، تؤلف بين قلبين ، وتجمع بين نفسين ، وتستقر فى محيط معنوى أرحب من محيط الزواج

والواقع ، أن هذا الحب العاطفى الذى يسمو بالغريزة ، ويصقل الفطرة ، ويلطف من حدة الشهوات ، ويرقي الى عالم التفاهم الفكرى المشترك ، ويسمو غالباً فى نفس الفرد المثقف المتحضر ، هذا الحب لايصدر عن الاحساس فقط ، بل عن القلب الشاعر ، والعقل المفكر ، والخيال الجامح المتأمل ، فى وقت واحد

وهذا ما سنحاول شرحه وتقريبه الى افهام القراء

لماذا يحب الانسان

الانسان متى أحب ، لا يحب شخصاً معيناً لما فيه من ملاحة أو جاذبية أو سحر عقل أو جسد ، بل هو يحب فى معشوقه اقتران صورته بصورة أحبها من قبل ، أو بلون أهاجه وفتنه فى الماضى ، أو بمنظر جميل ، أو بحادث رائع كان له أثر عميق في حياته

فأنت تحب امرأة لأن أسلوب حديثها أو طابع فكاهها أو روح شخصها ، يذكرك بجو من المرح السوى عشت فيه منذ أعوام ، وسعدت به ثم أفلت منك وخلفك حزيناً متجهماً ضجراً

وأنت تحب امرأة لأن ضحكتها تشبه ضحكة عزيزة أخرى ، كانت تنطلق من صدر فتاة عرفتها مثلا فى حداثتك وأعجبت بها ، أو لأن مجموع الاحلام والخيالات التى احتشدت فى عقلك منذ الصبا ، وحدها فيها ، أو خيل اليك انها قد تستجيب لها ، أو أحسست ان هناك شبهاً بين أحلامها وأحلامك ، وخيالاتها وخيالاتك ، وماضيها وماضيك

فالماضى هو الذى يتحكم فينا عند ما نحب ، أو هو الذكريات البعيده التى أقصاها الزمن فى عقلنا الباطن ، والتى سعدنا بها يوما ، والتى لا تتحرك وتجيش وتطفر إلى الخارج الا عند ما نصادف امرأة فيها بعض ألوانها ومؤثراتها ، وما استثارت به من فتنة الماضى وحلاوة الذكرى

فكأن الانسان والحاله هذه لا يحب إلا ليبعث ماضيه الجميل من جوف الزمن ، ويجدد أروع ساعات حياته ، ويرتد الى عهد الطفولة ، ويضفى من ذكرياته الغالية حله من الخيال الشعرى الخالص على الشخص الذى يحب . ومتى استنهض الخيال ميت الماضى ، وأحيا قديم الذكريات ، نبض القلب واستفاقت العاطفة . ومتى استفاقت العاطفة حركت العقل الهامد ، واستعانت بقوى التفكير والتأمل على إلهاب الذكريات وإلهاب الخيال ، مما يؤدى الى إلهاب العاطفة نفسها

ولذا فالحب العاطفى المرح العميق ، لا يمكن أن ينمو فى قلب انسان ضعيف الفكر محدود الخيال ، إذ الخيال المشبوب والفكر المتقد هما فى الواقع حوافز الحب الاولى ، وقواه التي يستمد منها الحياة والنماء

عناصر الحب

وليست العبره فى أن تكون عبقرى الفكر عبقري الخيال كى تصبح أوفر استعداداً لعاطفة الحب ، بل العبرة فى أن يكون ذهنك بطبيعته فواراً نشطاً منفتحاً للتفكير ، وخيالك متسعاً جامحاً قابلا لتجسيم الصور والألوان

على ان ضعيف الفكر والخيال قد يحب ، وقد يذهب فى حبه الى حد الجنون ، غير أن هذا الضرب من الحب ، يصدر فى الغالب عن الجاذبية الجنسية المجردة ، ولا يشتد ويقوى فى نفس المحب

الا متى حالت الظروف بينه وبين اشباع ميله الجنسى ، أو متى سلبته الشحص الذى يجد فيه متعته البدنية . ومن الناس من هم ضعاف العقول أقوياء المخيلة ، وهؤلاء يقاسون فى الحب عذاب الشهداء ، لأن خيالهم الناري لا ينفك يستبد بهم ويعكر صفوهم ويشوه في أبصارهم معالم الأشياء ، ويملأ حياتهم بالوساوس ، ويبتليهم بداء الغيرة ، ويباعد بينهم وبين الواقع ، ويحرمهم لذة التمتع بالحب العاطفى الشعرى الذى يبدعه الخيال ، ولكن مقترنا بما فى الفكر المتوثب من خصائص تهذب الغريزة ، وتلطف من حدة الشهوات

واذن فحرارة القلب وتوثب الذهن واتقاد الخيال ، هى العناصر التي يتألف منها الحب العاطفى ، وهى تؤثر ولا ريب فى البدن ، وتغري المحب بامتلاك حبيبه ، ولكنها قد تكره البدن أيضاً ، وقد تنغض صلة الجسد ، وقد تكافح رغبة الحيوان ، وقد تسمو فى لحظة من اللحظات إلى عالم يفيض بالنور والطهر ، ويندمج فيه الضمير الانسانى بضمير الله !

وتلك هى صوفية الحب ، بل تلك هى معجزة الحياة

المحب اكثر الناس حرية

يزعم أناس أن الحب كارثة نفسية عظيمة ، ومظهر من مظاهر الضعف الخلقى الشائن ، ورغبة مكرة مرذولة فى احراز لذة سلبية تفقد المحب حريته وتحيله عبداً لمحبوبته ، وقد تجرده من كل كرامة ، وكل شمم وكل إباء

وهذا الزعم ولا ريب صحيح ، ولكن فى الظاهر فقط . فالمحب ولا شك يعيش من أجل شخص واحد ، ولا يجد السعادة إلا فى شخص واحد ، ولا يحس الهناء والبهجة إلا من خلال وجه واحد ، يودع العالم وينصرف اليه ، كأنما روعة الدنيا قد جمعت فيه

ولا شك أيضاً فى أن المحب يبيع حريته ، وينزل فى بعض الأحيان مختاراً عن كرامته ، ويستمرىء لذة العبودية والضعف فى سبيل عين ساحرة ، أو قامة ممشوقة ، أو جبهة ساطعة ، أو حديث عذب ، أو روح مجنح ، فاتن المظهر شائق المخبر عميق التأثير

كل هذا ضرب من الضعف والبلادة والخمول فى نظر الفرد العادى ، ولكن الحقيقة التى تشهد بها الحياة تنقض هذا الزعم من أساسه . فالمحب لا يستضعف إلا ليمتلك ، ولا يتراجع إلا ليثب ، ولا يحتمل الذل إلا ليثأر ، ولا يلين إلا ليشتد ويتفوق ويسيطر

فهو ارادة تأبى إلا أن تهزم إرادة ، وهو عصب يأبى إلا أن يتمكن من عصب ، وهو قوة عاتية جبارة تأبى إلا أن تسود وتتحكم . فالمحب يعيش فى كفاح مطرد ، فى كفاح غير منظور ، ولكن أسلوبه فى الكفاح هو المقاومة السلبية ، ولهذا السبب ننتقص من قدره ، ولا نعترف بقوته ، ونتهمه بالضعف فى حين أنه أقوى الأقوياء

وصحيح أنه يودع الحياة وينقطع لعبادة شخص واحد ، فيحرم نفسه لذة الحرية ويقصرها على جانب واحد من الجمال . ولكن ما قيمة الحرية ـ كما نفهمها ـ في نظر العاشق الولهان ؟

أليست الغاية منها أن نتمتع بما في الكون من مختلف ألوان الجمال ؟ اذا كان ذلك فالعاشق أكثر حرية منا ، لأن خياله أقوى من خيالنا ، وتصوره أبعد مدى من تصورنا ، وفى مقدور ذهنه المضطرم ، ولاد الاحلام ، والرؤى ، أن يحشد تلك الالوان جميعا فى الصورة الواحدة التى يقدسها ، وأن يبصر معالم الحياة جميعا من خلال تقاطيع الهيكل الفرد الذى يعبده

فهو فى أعماق نفسه شاعر يجهل عبقريته ، وهو كالشاعر يعتبر محبوبه واسطة لا غاية ، واسطة يستنزل بها الوحى ، وحى الحياة الكبرى بما فيها من خير وشر ، وجمال وقبح ، وأفراح وآلام ، وحقائق وأباطيل

فاذا أنكرنا على الشاعر حرية الاحساس بالكون وتصور مفاتنه والتمتع بها ، لأنه يحب شخصاً معيناً ، وجب أن ننكر هذه الحرية على كل انسان يخفق فؤاده بالحب . أما اذا سلمنا بأن الخيال هو منبعث الأمل والحرية ، فينبغى أن نسلم بأن الشاعر أوفر الناس حرية ، وأن المحب كالشاعر ، مهما استعبده الحب فخياله المتقد يحرره ، ويميزه عنا ، ويطوع له الدنيا ، ويسمو به الى أجواء وفسحات يشرف منها على حقائق أبدية تبهره وبهرنا !

وهذا هو السر فى سعادة العشاق ، فهم ليسوا عبيد من يحبون كما نعتقد ، بل هم عبيد الوحى الذى يصدر عن الحب ، ويكشف لهم عن جوهر الحياة الخالد

فاذا أبصرت عاشقاً مدلهاً بامرأة ، مستغرقاً فيها ، منقطعاً لها ، منطوى النفس والاحساس على حبها ، فلا تشفق عليه ، ولا ترث لحاله ، ولا ترمه بالعبودية ، ولا تظن ان حبه قد أعماه عن الحياة ، بل اعلم أن ذهنه فى هذه الفترة أحد من ذهنك ، وخياله أقدر من خيالك ، وبصيرته أدق من بصيرتك ، وحريته أوسع وأكمل من حريتك ، لأن اصداء الحياة بأسرها ترقص وتتجاوب فى قلبه الصغير

وفى هذا يقول الروائى الروسى « بورجييف » مشيراً الى امرأة يحبها :

« بعد ما لمحتها لأول مرة ، جمدت فى مكانى واستولى على شبه ذهول . خيل إلى أن يد الله قد امتدت فجأة ، ونزعت القناع الذى كان يحجب عنى وجه العالم ، فرأيت كل شيء فى حلة جديدة ، ورأيتنى أطالع جمال الاشخاص والاشياء فى ظمأ جديد

« كنت كطفل يستكشف الحياة فى كل خطوة . شعرت بأن الحب أطلقنى من ربقة العقل والمنطق ، وأدخلنى في سر هذه الدنيا ، وضاعف حريتى فى التمتع بكل ما تقع عليه عيناى ، والغريب أنى قد أحببت العالم لأنها فيه ، وشعرت بفتنة النساء لأنها منهن ، وبدل أن يحتم جمالها على بصري ، أماط لى اللثام عن كل نور وكل جمال . أنا الآن فقط انسان حر ، واذا كنت أحرص على حبها

فذلك لأنى أحرص على هذه الحرية الغالية التى أغدقتها على ، حرية الاستمتاع التأملى بما يحيط بى من روائع ، دون ما اكتراث للشقاء الذى تغمرنى به الحياة

« فأنا قوى على الدهر بها ، وما دمت أراها ، فأنا الرجل الحر السعيد ! . . »

الحب يلهب الرجولة

قد يذل الحب أعاق أبطاله ، ولكنهم متى انتهوا بالنصر استردوا بطولتهم ، وصدرت عنهم أعظم فضائل الرجولة

فالمرأة التى نحب مثلا قد تتجنى علينا ، وتعرض عنا ، وتسحر منا ، وتسومنا الخسف والهوان ولكننا لو صبرنا وكافحنا ، وأغضينا الطرف عن القذى واحتملنا العذاب ، ثم فزنا آخر الامر بتلك المخلوقة النادرة التى أذلتنا ، فما لا يقبل الريب أن هذا النصر لا يرد الينا كبرياءنا فقط ، بل يضاعف ثقتنا بأنفسنا ، ويلهب فينا خصائص الرجولة ، ويدفعنا للقيام بعظائم الاعمال

فاذا كنا فقراء ، هزأنا بالجوع وتحدينا القدر

واذا كنا أغنياء ، افتنت عقولنا فى البحث عن أشق السبل لاحراز اكبر ثروة

واذا كنا بلداء ، تفتقت أذهاننا ودبت فيها الحياة ، واضطرمت شعلة الفكر

واذا كنا كسالى ، سرى الدم الحار فى عروقنا ، وأقبلنا على العمل بعزم الجبابرة

والواقع ان المحب الواله الذى قاسى الشدائد فى سبيل التفوق على محبوبه والفوز به ، لا يتصور لحظة واحدة ان فى العالم جهوداً يمكن أن تكون أشق من هذا الجهد ، ولذا فهو لا يكاد ينتصر حتى تأخذه النشوة ، فيقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ، ويلتمس الجرأة والمغامرة ، مستهيناً بالعقبات ، مستخفاً بها ، شاعراً أبلغ شعور وأوفره بأنه رجل ، وبأن فى وسع رجولته امتلاك الدنيا ما دامت قد امتلكت حبيبه الذى يمثل فى نظره أروع القوى فى هذه الدنيا ! . .

فالعاشق ينشد النصر على معشوقه أولا ، ثم تهتاج كبرياؤه فتنشد النصر على الحياة

وغاية النصر على الحياة هى الظفر بالمال أو المجد . ومتى أحرز العاشق المال أو اكتسب المجد ، ألقى به عند قدمى معشوقه ، مؤكداً رجولته ، مباهياً بنصره الجديد . وهكذا يرضى قانون الحب وقانون الحياة ، ويقدم قربان العمل لهيكل الحب وهيكل الحياة

وأبلغ الأدلة على ذلك نجده فى حياة العظماء ، فالقصصى « جوستاف فلوبير » ظل يشتغل أكثر من عشر ساعات فى اليوم مدى أربعة أشهر ليصلح ويعدل فى قصة أراد ان تفوز باعجاب حبيبته الأديبة لويز كوليه . والشاعر « ارتور رامبو » نظم أبدع قصائده بوحى من فتاة كان يحبها ، وكان يعتقد انه كلما أبدع فى شعره زادها حباً له وهياما به . والعالم الرياضى « هنرى بوانكاريه » كان يجاهد فى صباه ليهتدى الى نظرية علمية جديدة تكلله بالمجد وتضاعف اعتزاز معشوقته به

فالقصة التي وضعها فلوبير، والشعر الذى نظمه رامبو ، والتجارب العلمية التى قام بها بوانكاريه، كل هذه الأعمال الجليلة أوحى بها القلب ، ونهضت بها الرحولة ، وألهبها الحب ، فأفاد منها الحب وأفادت منها الحياة !

العاشق ينفي الموت

كل من يحب يفقد الاحساس بالفناء ، وينسى وجود الموت ، ويتجه ببصره صوب الخلود ، بل يؤمن فى ذات نفسه ايماناً خفياً عربياً بأنه قد خلد حقاً وأن فردوسه أصبح على هذه الأرض . والسر فى ذلك أن سكرة الحب الأولى تشبه سكرة الموت ، فاذا ما استفاق الانسان منها وكان فى حبه موفقاً سعيداً ، أحس كأنما قد بعث الى عالم سحرى لا يمت بصلة الى عالم الواقع

فالمحب كالمؤمن سواء بسواء

وكما يعتقد المؤمن الصادق أن الموت يعقبه البعث ، كذلك يشعر المحب الصادق بأن غمرة الحب موت يذهب بمعالم الكون ، ثم يحييها ويجددها فى بعث لا يتطلب فصل الجسد عن الروح

لهذا السبب يمرح المحبون السعداء فى هذه الدنيا كأنما هي قد خلقت لهم ، وكأنما هى متاعهم الخاص ، وكأن لا فقر فيها ولا جوع ولا مرض ولا موت

ولهذا السبب نحن نزدريهم ، ونتبرم بهم ، ونزعم أننا أكبر عقولا منهم وأوسع مدارك وافهاما، فى حين اننا نحسدهم ، ونتمنى لو نصبح مثلهم مخلوقات أثيرية مجنحة ، ارتدت الى عهد الطفولة وتحللت من قيود العرف ، وسخرت من الاقدار ، وبسطت سلطانها الروحى على الحياة

نحن نحسدهم ، ونعجب لهم كيف ينسون الموت ، ثم نشمت بهم ساعة اصطدامهم بالواقع ووقوفهم على حقيقة الموت

نشمت بهم كأن الموت يحيعهم أو يضعف من قوى حبهم أو يسل من صدورهم نزعة الخلود ! نشمت بهم ونحن نجهل أن الحب أقوى من الموت ، وأن المحب لفرط احساسه بامتلاك دنياعير هذه الدنيا ، لايستطيع أن يتصور أن مجرد فناء الجسد يمكن ان يباعد بينه وبين الحياة الخالدة فى دنياه

وهذا ما يفسر لنا تعلق العشاق بالدين ، وشدة ايمانهم بالله والعالم الآخر ، ذلك الايمان الذى يوثق روابط قلوبهم ، ويمد فى اجل سعادتهم ، ويطمئنهم إلى مصير حبهم ، ويقرن عاطفة الانسان العابرة ، بفكرة الأزل ، المتمثلة فى عمق الايمان بالله !

وإذن فالحب مرض ، ولكنه مرض مقدس . وهو بآلامه وعذاباته ، وأفراحه ، نعمة فى ثوب نقمة ، وآيات هذه النعمة تبدو كما أسلفنا فى نشاط قلب المحب وعقله وخياله ، وفى اشتداد احساسه بالحرية ، وفى اتقاد خصائص رجولته ، وفى قدرته الخارقة على تمجيد الحياة بسحق الموت ، والتطلع أبداً الى دنيا الخلود !

رجال الفن

يدينون بأعظم انتاجهم الى الأحزان

بقلم الاستاذ فخرى أبو السعود

أغلب الآثار العظيمة فى آداب الأمم ، وأحبها الى النفوس وأسيرها ذكراً ، متسمة بالشجن ممتزجة بالدموع . فمآسى اليونان القديمة ، ومآسي شكسبير وراسين وكورنى ، أشهر من أن تذكر والملحمة التى هى من أشرف أغراض القول متسمة بالحزن والألم عادة . وأحب أشعار شكسبير وملتون ووردزورث وشلى وكيتس وتنيسون إلى النفوس ، هى قصائدهم الحزينة فى النسيب ، أو مناجاة الأطيار ، أو التأمل فى الآثار ، أو التدبر لمظاهر الطبيعة وسنن الحياة

والجانب الأعظم من روائع الادب العربى متسم بالحزن ، مقول فى أليم المواقف أو مشجى الحوادث . فهناك مثلا مرثية المعرى الدالية ، ومراثى ابن الرومى لأبنائه ، ومرثيته فى أبى الحسين يحيى العلوى ، ومراثى البحترى فى المتوكل ، وسينيته فى إيوان كسرى ، ونونية ابن الرومى فى النسيب المتوجع المحترق ، ووجدانيات الشريف الرضى المملوءة بالأسى الدفين ، وأشعار الطموح الممزوج بالنقمة واللهفة فى ديوان المتنبى

ومن النقاد المحدثين من يعيبون على الشعراء طول هذا البكاء ، والاستنامة الى هذا الضعف ، ويطالبونهم بشعر قوى يبعث القوة فى نفوس الخلق فى هذا العصر ، عصر الكفاح المحتدم ، ولا شك فى أن نقمة أولئك النقاد أشد على المتشائمين ، أمثال أبى العلاء المعرى فى العربية ، وتوماس هاردى فى الانجليزية ، الذين هم أشد سخطاً على العالم من غيرهم ، والذين تكتسى آثارهم الأدبية بمسحة قاتمة ، لا يكاد ينفذ اليها بصيص من نور الأمل أو الطرب ، وقد يعسر عليك حقاً أن تجد فى آثار هاردى على كثرة ما نظم وما نشر موضعاً لمسرة أو معرضاً لفكاهة

وترجع تلك المسحة الكئيبة التي تصبغ آثار كثير من الادباء ـ وان لم يكونوا من المتشائمين ـ الى الطبيعة الانسانية ، التى يبدو أنها مفطورة على حب السعادة التامة المستمرة ، فهى إذا أصابها خير لم تفرح له كثيراً ولم تعده إلا أمراً طبيعياً ، فاذا نالها ضير أو ابتليت

بفقدان أو حرمت مأرباً ، تعاظمها خطبها ، ونقمت على هذا الكون الذى يحفل بأسباب السعادة ثم يحرمها قسطها منها ، فالانسان بطبعه طموح الى المثل الأعلى ، يتوقع الكمال ، فاذا أخطأه ، أهمه وأحزنه ما يرى فى هذا الكون من مظاهر النقص وأسباب الشقاء

يتلقى الانسان النعمة كأنها أمر مسلم به وحق صادف أهله . أما أسباب الحزن من خيبة مسعى ، أو فقدان عزيز ، أو حرمان من لذة ، فذلك ما يحز فى نفسه حزاً ، و يعده ظلماً أفدح الظلم . وشأن الانسان فى مسلكه هذا حيال الطبيعة ، شأنه فى مسلكه حيال أخيه الانسان ، فأنت قد تحسن الى الرجل مرة بعد مرة ، وتسعفه بحاجته حيناً بعد حين ، فلايقابل كرمك هذا بغير شكر سطحى موجز ، فاذا نلته باساءة هينة ، لا تعدل شيئاً قليلا من أياديك عنده ، تألم لها أشد الألم ، وتنكر لك ، وثار عليك ، والناس ينسون المعروف بسرعة ، وقل منهم من ينسى الاساءة مهما هانت

هكذا شأن الانسان مع أمه الطبيعة ، يتلقى إحسانها فى سكون ، و يمرح فى غبطته لاهياً ما دام صفو العيش حاضراً ، فاذا تنكر له الدهر ، اشتد جزعه ، واحتدم سخطه ، وهرع إلى الفن يبثه شكواه و ينفث فيه بلواه ، فالشعر للشاعر انما هو نديم يريح نفسه المتألمة بالاصاخة الى شكواه . وإنما يلجأ الانسان إلى الأدب أكثر ما يلجأ فى أوقات همه وعهود عسره و إدبار دهره ، بل لا يكاد يشغف بالفن و يتوفر على الشعر إلا امرؤ حزين النفس ، يشعر فى دخيلة نفسه بأنه محروم مدى حياته نعمة ينعم بها الآخرون . ومن ثم كان العرب يعتقدون أن على صاحب الأدب ضريبة قاسية يؤديها للقدر الجائر من صحته أو ذات جسمه أو ذات روحه

وهل ترى أبا العلاء المعرى كان يترهب ذلك الترهب العمى ، ويتبحر ذلك التبحر الفكرى ، لولا ما ابتلى به من نوائب أيأسته من دنياه ؟ ولعله لو كان صحيح الجسم ، مقبل الجد ، لأقبل على دنياه متملياً مستمرئاً فى غبطة ونهم . وما يصدق على أبى العلاء فى هذا الباب يصدق على غيره من الأدباء و إن كانوا أسعد منه حظاً وأقل منه محنة وشقاء

فالألم على ما يظهر أشد تغلغلا فى النفس الانسانية من اللذة ، والألم إذا خالط النفس الانسانية أثار كمين ملكاتها ، وابتعث دفين هماتها ، وخلق فيها قدرة عجيبة على الابتكار والتفنن . ومن ثم لا ترى الشاعر المجيد ينطق بروائع الحكم ، و يتهدى إلى صائب النظرات ، و يدلى بشائق الاوصاف ، إلا وهو مهتاج النفس ، متألم الوجدان ، يندب أملا أو يبكي غراماً أو يشيع عقيدة ، أو يرثى عزيزاً . ومن ثم تروعنا وتستهوينا قصائد شكسبير فى السيدة

السمراء ، وليالى الفرد ديموسيه التى نظمها حنيناً إلى الـكاتبة جورج صند ، ورباعيات عمر الخيام التى نظمها متحرقاً إلى الايمان ، متلهفاً وراء المثل الأعلى

والأديب لذلك يجيد وينتج أحسن آثاره فى أطوار خاصة من حياته ، هى التى ترين عليها مسحة من الـكآبة ، وتظلها غمامة من الأسى ، حتى ولو لم ينظم فى وصف مشاعره ، ولم يتسم نظمه أو نثره بالـكآبة ، فان معين الحزن الـكائن فىباطن نفسه ، كفيل بتنشيط ذهنهوشحذ ملـكاته ، وتوجيهه إلى صادق النظرات وملهم اللفتات ، ومن ثم يخرج الأديب أحسن آثاره فىعهد إبلاله من غرام عفا ،شأن ديموسيه السالفذكره ، ولامرتين ، وغيرهما . أو عقب فقدانه حبيباً أو صديقا ، كما كان من أمر تنيسون ، إذ فقد أباه وصديقه ارثر هالام ، أو بعد إخفاق أمل كبير من آماله كما أخفق أمل وردزورث فى الثورة الفرنسية وضاع إيمانه فى الاصلاح السريع ، أو في عهد الغربة أو المنفى كما كان من أمر فـكتور هوجو فى عهد نابليون الثالث ، أو من أمر البارودى فى سرنديب

وقد يبدو عجيبا أول وهلة أن أشعار الشباب تفيض الما وسخطا وتمرداً ، على أن الشباب لم يبتل بعد من أفعال الدهر وتقلب الأحداث ما يبتليه فى تالى الأيام ، ولـكن لا عجب إذا تذكرنا أن الشباب هو عهد المطامح التى لا يتسع لها صدر هذه الحياة ، وعهد المثل العليا التى تصطدم بحقائق الحياة المتحجرة ، وتحطم على صخور الواقع المؤلم ، فلا غرو كانت حياة الشاب أحلاما جميلة ، يصحو منها بين حين وآخر فيرى نفسه فى حنادس الحياة المطبقة ، فيشتد عند استيقاظه صراخه ، ويتتابع فى النظم والنثر تمرده وسخطه وازوراره

إن آثار السعادة والحبور فى الآداب ، كثيرة معجبة ، ولـكن آثار الحزن أكثر وأروع. والحزن هو التنور الذى أنضج نفوس عظماء الأدباء وفتح أعينهم على جلائل أحوال الـكون وطباع الدنيا وبنيها ، ولا شك فى أن طول البكاء والشكوى والتألم مسئم ممجوج، إذاجاء ضعيفا مقرونا بالعجز والتواكل وتمنى الأمانى التى هى بضائع النوكى . هذا هو الحزن الممجوج فى الادب ، الممقوت فى الحياة . أما الحزن العظيم المقرون ببعيد المطامح وسامى النظرات ، الذى قوامه المثل الاعلى ، والذى يوقظ النفس من سباتها ويهزها من أعماقها ، وينفث فيها الهمم ويفجر فيها العواطف والمعانى ، فذلك حزن يقبل بالاجلال والعطف والاعجاب ، وذلك حزن من لم يعرفه لم يتمتع بحياته حق المتعة ، ولم يفهمها حق الفهم ، وذلك حزن ندين له بأعظم آثار الشعراء والفنانين

فخرى ابو السعود

يجب أن نحمى الحرية

ليزدهر انتاج الفكر

أية قيمة لفكر مغلول لا يستطيع التحفز والانطلاق . .

وأية قيمة لعقل مهدد لا يستطيع التفكير فى دعة وأمن ؟

من الظواهر الملحوظة فى الحياة الانجليزية ان الاوضاع الاجتماعية صارمة ، والاخلاق والعادات ثابتة متأصلة ، والتقاليد شديدة الوطأة على شخصية الفرد ، والنزعة الدينية الطهرية مستحوذة على عقول السواد الاعظم من الشعب . ومع ذلك ، وبالرغم من هذه الظواهر الرجعية التى تكتنف حياة الامة البريطانية ، فحرية الفكر مقدسة عندهم ، وحرية الكاتب فى التفكير والانتاج لاتنفك تفكر وتبدع ، دون ما اصطدام بأية سلطة تعسفية ، تزعم لنفسها الحق فى حماية الاوضاع والتقاليد

فالفكر هناك يعيش بمعزل عن القواعد الوراثية التي ينهض عليها مجموع الامة ، وهو فى جهاده النزيه الحر ، وفى سعيه المطرد لبحث جميع المشكلات . ودراســة مختلف المسائل ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وفلسفية وحسية ، يعمل شيئاً فشيئاً على ترقيــة المجتمع ، وتلطيف عاداته ، وتهذيب معتقداته ، وصقل تقاليــده ، وتحريرها من جراثيم الرجعية بحيث تستطيع التمشى مع احتياجات الزمن وروح العصر

فاحترام التقاليد يقترن فى انجلترا باحترام الفكر الحر ، وهكذا تخدم الحرية الفكرية التقاليد بأن تجردها من شوائب الماضى ، وتوفق بينها وبين ارادة التطور ، وتخدم فى الوقت نفسه الانتاج العقلى بأن توسع آفاقه ، وتمكنه من النمو والازدهار ، فى جو دائم التجدد ، مفعم بالحركة والحياة

هذا فى انجلترا ، أما فى مصر فالامر على النقيض تماما . هناك التقاليد متحكمة ، ولـكنها لا تطغى على حرية الفكر الحر ، وهنا التقاليد متحكمة ، ولـكنها تأبى إلا أن تحق الفكر الحر !

فدعاة التقاليد فى انجلترا لا يجورون على اختصاصات غيرهم ، ولا يحاولون اخضاع المفكرين لميولهم ونزعاتهم . أمادعاة التقاليد فى الشرق — وهم رهط المحافظين من ساسة وحكام وأشباه أدباء — فالحجر على حرية الفكر غايتهم ، واجبار المفكرين على اعتناق آرائهم ، يعتبر فى نظرهم رسـالة مقدسة ومثلا اجتماعياً أعلى

ولقد ترتب على دلك أن أصبح الفكر فى الشرق ضيق الآفاق ، محدود الفسحات ، مظلم الجوانب ، وأصبح المفكر الحر انساناً حائراً قلقاً مدعوراً ، يحتاط لنفسه ، ويخشى على مستقبله ، ويكبح شخصيته ، ويكبت عوامل استقلاله ، ويخفى آراءه الحقيقية ، ولا يستطيع الا ان يحاور ويداور ، ليسجم تفكيره مع مجموعة الآراء والتعاليم التى تفرضها الكتلة المحافظة على البلاد

فهو ان كان باحثاً اجتماعياً مؤمناً بجوهر الحضارة العربيـــة ، وأراد نقد عاداتنا وأخلاقنا وقوانيننا ونظمنا ، قالوا إنه رجل مارق هدام ، يخون ثقافته العربية ، ووطنيته المصرية ، وروح الشرق الذى يجب أن يميز تفكيره وطابع امته

وان كان باحثاً سياسياً ، وعالج الاشتراكية مثلا ، اتهموه بالشيوعية

وان كان مصلحاً دينياً ، وعالج شئون الدين فى شيء من الصراحة والتجديد ، اتهموه بالكفر

وان كان قصصيا وتناول وصف النزعات والميول العاطفية ، اتهموه بالاباحية

وان كان رســاماً أو فناناً سينمائياً ، وراق له أن يعرض على لوحته أو على الستار الأبيض ، مشاهد واقعية تمثل الحياة الشقية البائسة التى يحياها العامل أو الفلاح المصرى ، اتهموه بترويج الدعوة صد بلاده ، والانتقاص من كرامتها والحط من قدرها ، وتشويه سمعتها فى عيون الاجانب وعيون مواطنيه

ولو أن هده الحرب التى تعلنها الكتلة المحافظة على حرية الفكر كانت فردية ، لهان الأمر واستطاع أحرار الفكر الثبات أمامها والتفوق فيها . ولكن الخطر كل الخطر فى أن ثمة فريقاً من الساسة والحكام وكبار الموظفين يؤمن بها ويستخدم الأداة الحكومية لتأجيجها واضرام نارها

وأبلغ دليل على دلك تلك الكتب التى تصادر وتحرق ، وتلك الصحف والمجلات الاجنبية الحرة التى يمنع استيرادها من الخارج ، وتلك الافلام السياسـية والاجتماعية التى تراقب لتبتر ، ودلك الاضطهاد الذى تنزله الاداة الحكومية بكل من يقع بين براثنها من المفكرين الذين سجل المحافظون عليهم تهمة الاباحية أو الشيوعية أو الزندقة والكفر ظلماً وعدوانا

وأبلغ من كل هــذا وأروع فى الدلالة على مأساة الفكر فى بلادنا ، ان جو الحياة نفسه قد سمم ، وأن المحافظين البيروقراطيين تمكنوا من ايجاد طبقــة بيروقراطية محافظة ، بسطت سلطانها على البلاد ، وأقصت مفكريها الاحرار جانباً ، وتغلغلت بأفكارها القديمة وبما لها من حول ونفوذ ، فى عقلية الأمة ، فحولت مجراها ، وعارضت تيارها ، وانحرفت بسفنها ، وردتها الى الوراء نصف قرن

فهذا الجو المسمم هو الذى يعيش فيــه المفكر عندنا ، وهو الذى يبتليه بالحيرة والقلق والذعر ، وهو الذى يعطل ملكاته ، ويمحق مواهبــه ، ويضعف قيمة انتاجه ، ويجرده من عناصر الاحاطة والشمول والخصب ، التى لا تستمد إلا من قوى التجديد النامية فى أرض الحرية !

على أن المفكر الحر يواجه خطراً أشد من خطر الحجر على حريته ، ألا وهو خطر الاغراء ، الاغراء بخيانة آرائه الحرة والانتقاض عليها والطعن فيها والدعوة لما يناقصها ، مقابل مصالح أو مراكز أو أموال ، أو مجرد وعود وتوصيات ما تنفك تلوح بها الكتلة البيروقراطية المحافظة لكل صاحب موهبة أو نبوغ

ومما يضاعف هدا الخطر شدة ، أن الكتلة المحافظة عرفت حتى الآن كيف تستدرج طائفة كبيرة من الأحرار . وتلوثهم وتمسخ عقولهم وتهصمهم وتستوعبهم وتجعل منهم دعاة لها وقوما باعوا أنفسهم للشيطان

فتجاه هذه الروح المعنوبة الخائرة ، وتجاه ذلك الاعراء المادى الشائن ، وتجاه نزعة الوصولية الفاشية فى معظم النفوس ، وتجاه سلطة الكتلة المتعسفة المحافظة ، تقلصت حرية الفكر ، وازداد خوفها وانكماشها ، وبات من الصعب ـ بل من المستحيل ـ على المفكر أن ينعم بجو الحرية المطلقة لذى لا بد من توافره لتملىء الشخصية ، ويصبح الدهن ، ويمرح العقل ، ويتحدد الفكر ، ويزدهر الانتاج

وانا لنتساءل : أية قيمة لفكر معلول لا يستطيع التحرر والانطلاق ؟

وأية قيمة لعقل مهدد لا يستطيع التفكير فى دعة وأمن ؟

وأى نفع للفم المكمم أو الصدر المحطم العاجز عن ارسال صرخة الحقيقة والصدق ؟

ان قيمة الفكر فى جرأته ، والجرأة أول حوافز الاصلاح ، ولا جرأة ولا اصلاح بغير حرية كاملة مطلقة . وحيث لا حرية ، لا حضارة ولا نهضة ولا رقى

١٠٠م

لا بد للعبقرى من الفشل ، كى يفهم سر عقريتـه ، ويدرك الجانب القوى فيها

وما يسري على العبقرى يسرى على الناس جميعاً . فاياك أن تيأس متى حاق بك الفشل . واعلم أن ليست العبرة فى أن تكون معصوما من الخطأ ، بل فى أن تفيد من خطئك بحيث لا تقع فيه مرة أخرى

(الشاعر الصيني هوشيه)

قصة ملخصة

يقظة الماضى

للكاتب الفرنسى شارل فوليه

> هذه القصة جزء من تجارب مؤلفها ، وقد وقعت حوادثها فى أسرة تمت اليه بصلة القربى ، فاستطاع أن يدرس شخصيات أبطالها ، ويقف على سر حياتهم ، ويجمع فى قصته بين صدق الحقيقة اليومية وروعة الخيال الروائى

كان المطر يهطل ، والريح تدوى ، وبوارق الرعد تخطف الأبصار ، والسماء ذات الغيوم المتكاثفة تسود تارة وتومض تارة أخرى ، فتلقى الرعب فى النفس وتدفع السابلة الى الفرار . وكانت مدام أوجستا تحث الخطى باشرة مظلتها وأسنانها تصطك ، وبدنها يرتجف ، ونظراتها الرائعة متجهة صوب منزل صغير قام على بعد فى زاوية الطريق

وكانت باريس قد غابت فى أحشاء البيوت ، واطمأنت شعلة حياتها ، وخيم عليها صمت رهيب لا نعكره غير جلجلة الرعد ، وخشخشة المطر وهو يضرب النوافذ والشرفات ، ويتساقط فى عنف على الارض

وأحست مدام أوجستا أنها وحيدة فى هذا العالم الثائر المدلهم ، وأن الرجل الذى تعبد قد أفلت منها ، فغصت بريقها ، وكادت تبكى . ولكنها استجمعت قواها ، وألهبت حيوية أعصابها ، واستطردت المسير

ولما شارفت المنزل وأبصرت نفسها تجاه بابه الحديدى ، أحست كأن الارض تميد بها ، وخيل اليها أن المظلة الرازحة تحت وطأة المطر سوف تسقط من يدها ، فتنبهت ورفعت عينها وتطلعت الى الدار وهى تلهث

لمحت نوراً يسطع من خصاص نافذة ، فانقبض قلبها وأجفلت ، وهمت بالعودة من حيث أتت ولكن قوة الحب ، وقوة الغيرة ، أيقظتاها وأثارتا كوامن حقدها ، ودفعتا بها على الرغم منها الى الامام

ركلت الباب الحديدى بقدمها ، فبهتت إذ ألفته مفتوحا . ثم دخلت وانطلقت فى الممشى

الطويل وسط الشجيرات المبللة حتى بلغت باب الدار الداخلي ، وهناك وقفت بغتة وزايلتها قواها ولم تستطع الاتيان بحركة

أتطرق الباب وتقتحم الدار وتواجه الفضيحة غير حافلة ، فتستهدف لثورة زوجها وسخرية عشيقته ، أم تتئد وتتراجع وتحاول الوقوف على الحقيقة من طريق آخر ؟

آثرت كبح عواطفها ، فاستدارت واتجهت نحو الحديقة ، ويممت وجهها شطر النافذة التي ينبعث منها النور

وكان البيت متحصا ، مؤلفاً من طابق واحد ، تتهدل أغصان الأشجار على نوافذه وشرفاته ، فاقتربت مدام أوجستا بخطى اللص الحذر ، وانكمشت خلف جدار الحجرة المضاءة ، ثم أمسكت بغصن كبير أمالته عليها فأخفاها ، ثم استوت على أطراف قدميها ، ثم حدقت الى الحجرة من خصاص النافذة

حدقت لحظة ، ثم فغرت فاها ، وقد ارتسم على محياها الذهول !

أين هي المرأة التي تبحث عنها ؟ . . أين هي عشيقة زوجها ؟ . . أليست هنا ؟ . . أليست في هذه الدار ؟ . . أو لم يفد زوجها الى هذا البيت للقاها وتقضي معها بضع ساعات ينعم فيها بحب محرم أثيم ؟

لا ... لا امرأة هنا ! . . هنا شاب يرقد على فراش ضيق ، شاب تعرفه حق المعرفة ، شاب جميل الطلعة وضاح الجبين يبدو عليه أنه يشكو مرضا ، شاب يحنو عليه زوجها ويتعهده بعنايته ، ويصب له دواء في كأس ، ويتحدث اليه في حركة تدل على خالص العطف والمحبة !

عجيب ما ترى ! . . أتحب أن تبقى ، أم ترحل ؟ . . أيجب أن تدخل وتستجلي غوامض هذا السر ، أم ينبغي أن تعود فوراً الى دارها وتنتظر مقدم زوجها ، ثم تحاول أن تعرف منه كل شيء ؟

لا . . لقد خدعت . . لقد غرر بها ، والأفضل أن تسرع بالرحيل

وظلت مكانها برهة طويلة وبصرها لا يفارق النافذة . ثم تركتها وتحسست طريقها بين الأشجار ، ثم عبرت المظلة واندفعت الى الخارج ، واتخذت السبيل المؤدي الى بيتها

وفيما هي تمشي ملكتها الوساوس ، وعاودتها الشكوك ، واحتلت ذهنها الأخيلة ، فاستسلمت لها وأطلقت لفكرها العنان :

إذن ولا عشيقة له . . هو لم يخدعني . . لم يذهب الى خليلته كما كنت أعتقد . . ولكن لماذا أخفى عني هذه الزيارات الليلية ؟ . . لم لم يصارحني بان « ريمون » مريض ، وما السر في مسارعته اليه وعطفه عليه وكتمان هذا الأمر عني ؟ . . ان ريمون صديق عادي لأسرتنا ، وليس من المعقول أن

يتخذه زوجي الـكهل خلا له ! .. أنا حائرة ، لا أفهم شيئاً ، لا أفهم شيئاً ، ولا بد لى من الراحة والطمأنينة والاستقرار !

وكانت تمشي متثاقلة الخطى ، منصرفة الى أفكارها ، تعصف بها الخيالات والرؤى ، وتصرب حبات المطر مظلتها ، وتكاد تختطفها منها الريح ، حتى بلغت دارها فدخلتها مسرعة ، وصعدت الى مخدعها وغلقت الأبواب ، وشرعت تنضو عنها فى بطء أثوابها المبللة

* * *

وكما يحدث عادة فى أثناء الازمات النفسية الشـديدة ، أحست أوجستا بغتة ان عقلها يتفتح ، وخيالها يتسع ، وذهنها يتوقد ويغلى ويتوق الى عمل شيء . ولـكن ماذا تعمل ، وأى طريق فى وسعها أن تسلك لاكتناه ذلك السر ؟

وجالت برأسها شتى الخواطر ، ونشطت أعصابها ، وساقها إلى العمل بالرغم منها ، وكانت قد انطرحت على سريرها فنهضـت من تلقاء نفسها ، ودارت فى الغرفة لحظة ،ثم تقدمت وفتحت الباب ، وعندئذ فقط أحست ان قوة طارئة مجهولة تدفع بها الى مكتب زوجها

اجتازت البهو الـكبير وهي لا تدرى ما يمكن ان تفعل فى المـكتب ، ولا ما يمكن ان تجد فيه ، ولما وصلت اليه ودفعت بابه دهشت إذ ألفته موصداً . . . وإذ ذاك تضاعفت رغبتها فى الدخول ، فـكرت راجعة الى مخدعها ، وجاءت بالحلقة التى ضمت فيها مفاتيح البيت كلها ، وشرعت تجربها واحداً واحداً حتى وفقت الى مفتاح ما ان دفعته فى ثقب الباب حتى انفتح

وكان القصر هادئاً ، والخدم نياماً ، ورفيف الريح يترامى من الخارج ، ويشيع فى النفس أغرب الصور ، ويولد فى العقل أخطر الافـكار

وتقدمت أوجستا وصدرها يعلو ويهبط ، و وسطت الحجرة ، ثم ضغطت باصبعها زر الـكهرباء ، فسطع النور وغمر الأرجاء . فارتعدت المرأة وأوشـكت أن تثوب الى رشدها ، ولـكن الغريزة، الغريزة النسـوية الحادة ، البصيرة المشرفة ، استحوذت عليها بغتة ، وهدت أنظارها الطائشة الى احدى زوايا الحجرة حيث الخزانة الحديدية الصغيرة مستودع أسرار زوجها وأمواله

وكانت الخزانة قد تركت مفتوحة لأول مرة ، تطل من جوفها الخطابات والاوراق المالية ، فاضطربت اوجستا ، وأدركت ان زوجها كان اليوم فى حالة نفسية شاذة . وكان قد أسرع بالخروج لغرض هام . فأبقى الخزانة مفتوحة واكتفى بأن أغلق الباب ، فتحولت واتجهت صوب الخزانة ، ومدت يدها المرتعشـــة وتناولت بعض خطابات وحوالات وجعلت تتأملها وتقلبها وتجاهد لتقرأ ما فيها ، وقد ملك الرعب حواسها واستعجل حركاتها خشية المباغتة والافتضاح

وانها لتقلب الرسائل وتنعم النظر الى بعضها ، واذا بها تتراجع فجأة ، وتندلع عيناها ، ويصفر وجهها ، وتنطلق من اعماق صدرها صرخة سرعان ما خنقتها


. . . وإنها لتقلب الرسائل وتنعم النظر الى بعضها واذا بها . . .

وتداعت قواها وخارت أعصابها ولم تستطع احتمال الصدمة ، فألقت بالرسائل فى جوف الخزانة ، وعادت الى مخدعها متهالكة على نفسها ، مسلوبة الحول ، داهلة اللب ، تهذى وتختلج وتبكى بكاء الأطفال ! . .

وانقضت ساعة طويلة واوحستا تئن وتزور وتتلوى في فراشها وتنتظر عبثاً مقدم زوجها . وكانت تتعذب ، ولكن عقلها كان صافياً يفكر ويتأمل ويقلب الاشياء على مختلف وجوهها . وفجأة نهضت ، نهضت مشرقة الجبهة ، متهللة الوجه ، ملتمعة العينين ، وهزت رأسها فاسترخى شعرها الذهبي على كتفها فسرحته بيدها ثم وثبت الى علبة (البودرة) فناولت منها وطلت وجهها . ثم زججت حاجبيها وارتدت ثوبها الوردى الجديد ، ثم اتجهت الى المرآة ومضت تتفرس فى هذا الهيكل النسوى الماثل أمامها أحست انها ما زال جميلة ، أدركت انها ما تزال فاتنة ، ووثقت بحسنها الرائع ، واطمأنت الى أن الزمن الغادر لم يستطع تشويه جمالها ، فابتسمت ابتسامة ساخرة ماكرة لئيمة ، وضمت قبضتيها ، ولحت فى عينيها المتقدتين رغبة هائلة فى التشفي والانتقام ! . .

***

وفى نفس تلك اللحظة طرق باب مخدعها ، ثم فتح الباب فى رفق ودخل منه زوجها المسيو هوبير ، محنى الرأس ، محدودب الظهر ، متعباً كليلا

ودنا منها ، وقال فى لعثمة :

— معذرة يا أوحستا فقد استبقانى وكيل أعمالى المسيو جيرار فى منزله حتى هذه الساعة . . كنا نتحدث فى موضوع الرهن ، رهن بعض أملاكى لأداء ما على من ديون . . أوشكت ان أخاطبك بالتليفون ، ولكنى كنت مضطربا فأنسانى الاضطراب شخصك . . معذرة . . معذرة يا حبيبى

وانحنى عليها يريد تقبيلها وقد تمثل حبه العظيم لها فى نبرة صوته ، ولمعة عينه ، وفيض الاستغفار المنسكب عليه ، ولكن أوحستا تملصت منه ودفعته عنها ، وصاحت به وهي تلهث :

— أنت كاذب !

فارتجف وتطلع اليها ، فقالت وقد خنق الغضب صوتها :

— ألا تخجل من نفسك ؟ . . ألا تشعر بتبكيت الضمير ؟ . . ألا تفكر فى هول الخيانة ؟ .. عشرون عاما قضيتها معى فى ظل الغدر والخديعة ! . . خدعتنى منذ أول عام اقترنت بك فيه ! . لا .. لا تعترض . عرفت كل شيء . كنت الآن فى مكتبك وطالعت ما فى خزانتك الحديدية من أوراق وخطابات . خدعتنى . اتخذت لك عشيقة بعد زواجنا بسبعة أشهر فقط ، ثم نبذتها ، ثم ماتت . ماتت بعد ان ..

وجاهدت أوجستا لتتكلم ، ثم ألقت فى وجه زوجها بالعبارة الهائلة :

— بعد ان خلفت لك ابناً هو ريمون ! أجل ، ريمون هو ابنك ! ابن الهوى المحرم ! عشت من أجله ، انصرف اليه عقلك وقلبك ، قربته الينا ، عرفتني اليه ، احتضنته ، جئتني فى هذا البيت ، فى بيتى ، بابن المرأة التى وصمتنى بالعار . وكنت أجهل ذلك ، كنت عمياء ، كنت أحبك بل كنت أعبدك ، وأنت ، أنت أيضاً ، أحببتنى بعد ذلك ، أحببتنى بعد وفاتها ، ولكنك كنت نزوع منى ، كنت تقبل على ثم تعرض ، كنت تمحنى الحب ولكن بقدر معلوم . كان ابنك ، كان ريمون يقاسمنى هذا الحب وأنا لا أدرى ! سلبك منى ، استحوذ عليك ، وهذا أنت فى هذه الايام تهجرنى ، وتكذب على ، وتختلق الأعذار ، وتسرع خلسة لرؤية ولدك لأنه مريض ، ولأنك تحبه أضعاف حبك إياى !

أجب ، ألم تكن الساعة هناك ؟ فى الفيلا الصغيرة ، عند فراش المريض ؟ . . تكلم !

فاختلج هوبير اختلاجاً عنيفاً وحجب وجهه بكلتا يديه ، ثم أرسل نفساً مستطيلا ، وأمسك بذراعى امرأته ، وطفق يقول بصوت غائر متحشرج :

— ان خوفى على مستقبل حبنا هو الذى دفعنى الى الكتمان ! لقد أجرمت فى حقك يا أوجستا ، ولكننى كفرت عن جريمتى بأن أحببتك وأخلصت لك ، وأردت فى نفس الوقت ان أحب ولدى وأخلص له !

فقالت أوجستا وهى تهدر :

— لن يكون لى فى قلبك أى شريك ، إما أنا وإما ريمون !

فاصفر وجه الرجل وشحب شحوب الموتى ، ثم رفع رأسه وغمغم :

— أوجستا ، اشفقى على ، وارحمي ذلك الشاب المسكين

فابتسمت المرأة ابتسامتها الساحرة ، وقالت :

— أتحبه إلى هذا الحد ؟ ! . .

فقال هوبير وهو يقبل يدها : « لا ولد لى سواه . انه نعمة شيخوختى ! »

فقالت في هدوء : « يبدو لى ان حبك له مستمد ولا ريب من ذلك الحب العظيم الذى كنت تحمله لوالدته ! . . أليس كذلك ؟ »

فصاح هوبير قائلا : « كلا . أنت الآن امرأتى وحبيبتى ، وأما تلك فقد أصبحت مجرد ذكرى »

فقهقهت أوجستا ثم عبس وجهها ، وقالت بصوت مملوء الحقد :

— ولكن الذكرى تعيش في شخص ريمون فاحتر بيننا . اما زوجتك واما ولدك . يجب أن يرحل عن باريس . أعطه نقوداً وليرحل !

فهتف روبير كحيوان مطعون قائلا : « لا حياة لى بدونكما ! لا غنى لى عنكما ! ثم . . ثم كيف أعيش بمعزل عنه ؟ كيف أنبذه وهو ولدى ؟ انى لأفضل ان اودع الحياة ! »

وكانت اوجستا تحدق اليه وتقيس مدى حبه لريمون ، وترى مبلغ عبادته لذكرى عشيقته المتوفاة ، والغصص تملأ صدرها ، والغيرة تأكلها ، وارادة الانتقام تحتم على نصرها وتحول بينها وبين رؤية الشقاء الذى يعانيه ذلك الرجل التعس المنكود

ولما ألفاها صامتة تفكر ، مشى اليها وجثا عند قدميها ، وطوقها بذراعيه ، وجعل يلثم ركبتيها ويقول والدمع يفيض من عينيه :

— ارحمى هذا الشاب . فكرى فى وحدته ، فى ذله ، فى حاجته الى العطف والحنان . لقد صفح هو عنى ، وغفر لى عار مولده ، أفلا تصفحين أنت أيضاً يا أوجستا ؟ . .

ثم أردف صارخاً :

— عدينى أن حياتنا لن تتغير ، وأنه لن يبدو منك أى شيء يضر ولدى من زيارتنا ، وانك ستحتفظين بالصمت كأن هذا الحديث لم يدر بيننا . عدينى بذلك وثقى باخلاصى لك وإلا تركتك الساعة وتركت ريمون وانتحرت !

ولبث متشبثاً بقدميها ، ينتظر الكلمة الفاصلة منها ، وقد اتخذ وجهه الأسمر الحمرى نفس طابع الكآبة الحالمة المرتسم على وجه ولده ، فذعرت أوجستا ، وتمثلت لها الخيانة ، واشتد حقدها ، وعصفت بها رغبة الانتقام ، فصمت شفتيها ، وكبحت عواطفها ، واستسلمت للفكرة المروعة الماثلة فى ذهنها ، وقالت بلهجتها الهادئة الغامضة وهى تربت بيدها على ذراع زوجها :

— لك ما تريد يا هوبير !

فزفر الرجل زفرة حرى وأكب على قدميها يقبلهما ، بينما كانت ترمقه بالنظر الشزر ، وفؤادها يخفق . وبدنها المهزول يرتعد لفرط ما استولت عليها فكرتها الشيطانية الثابتة ! . .

* * *

وفى صباح اليوم التالى دهش هوبير إذ أبصر زوجته ترتدى ملابسها وتعرب عن رغبتها فى زيارة ولده المريض

ذكرت له وهى تصطنع الندم العميق ، انها أصبحت تقدر موقفه وتفهم عاطفته ، وتدرك أنه احتار سواء السبيل ، وأن من واجبها أن تعاونه على انقاذ ولده ، وتكون له بمثابة ام رؤوم

استغرب هوبير انقلابها الفجائى ، وخيل اليه أنها من أجل حبه ، وفى سبيل الحرص على حياته ، اخمدت الحسرة فى صدرها ، ووطنت النفس على العناية بريمون ، لتدلل على نبلها ، وتفوز بأوفر قسط من حب زوجها وتقديره اياها . فأكبر فيها هذا الاحساس ، وازداد تمجيداً لها ، وبات يشعر بأنه كان يجهل سر شخصيتها ، وانها امرأة فاضلة وعظيمة ، وانها بين النساء مثل أعلى

وانطلقت أوجستا تزور ريمون فى الفيلا الصغيرة ، وتعنى به فى غيبة زوجها ، وتسهر عليه وتتصل بطبيبه ، وتعد له الدواء ، وتحنو على صباه حنواً خالصاً عميقاً ساحراً لم يألفه الشاب ، ولم يحلم به أبداً

أشعرته لأول مرة بما يمكن ان يحمله قلب المرأة من رقة وعطف وحنان وتضحية

أشعرته بذلك الجو الفاتر القرير الذى تخلقه المرأة

أشعرته بتلك السعادة الحالمة الوسنانة ، التى تنبع من فؤاد المرأة وينشدها كل يتيم ، فتعلق بها وقدسها ، وبدأ يتماثل للشفاء وملء نفسه الأمل فى استطاعته الحياة بقرب والده وقربها

وكانت اوجستا الغادرة الماكرة التى سمم الحقد أحلامها ، وأفسدت الغيرة عواطفها ، وانحدرت بها رغبة الانتقام الى هاوية الشر والرذيلة ، لا تذهب لعيادة الشاب إلا بعد أن تفتن فى التجمل وتسرف فى التبرج وترتدى أبدع أثوابها لتبدو فى عينيه مخلوقاً رائعاً من جمال

وكانت تستمد من غريزتها قوى الخبث والدهاء ، فتقرن نظرة العطف البريئة بنظرة الحب المريبة ، وكلمة الحنان الخالص بكلمة الاغراء الخفيفة ، وحركة المودة الطاهرة بحركة الدل الفاتن ، وإيماءة الصداقة البريئة بإيماءة الهوى الحى المبرح المكظوم

ولم يفطن الشاب أول الامر الى مختلف هذه المعانى المستورة ، ولكنه شعر بها فى النهاية ، فأجفل ، وراجع نفسه ولم يصدق عينيه ، فحذرت اوجستا ما يجول فى فؤاده ، فتأدت وتحفظت ، ثم ضاعفت نشاطها ، ولادت بعوامل إغراء جديدة ، فاستهول الشاب مسلكها ، وحار ، وقلق واضطرب ، وعقد العزم على صدها واحتوائها ، والزامها فى أدب حد العقل والفضيلة

غير أنه كان قد اعتاد رؤيتها ، اعتاد الجلوس والتحدث اليها ، اعتاد الحياة فى جوها النسوى الفاتر ، اعتاد الاحساس بنعمة الحنان تفيض عليه من محياها الناضر الجميل

وأما اوجستا فلم تفكر لحظة واحدة فى حبه كما كان يعتقد ، لم تفكر فى استدراجه الى علاقة أثيمة ، لم تشعر من نحوه بأية عاطفة ، بل كانت على النقيض تكرهه بقدر ما كانت تحب والده ، كانت تتخذ منه فريسة لانتقامها بعد ان تلهب فى قلبه حباً خيالياً جنونياً يائساً

ومضت فى هذا السبيل ، تقبل تارة ثم تعرض ، تجود ببعض نظرات ثم تبخل ، تمنى ببعض

هبات ثم تعدل ، حتى ولهت الشاب بها ، وبددت مخاوفه ، وأقصت عنه شبح والده ، وشجعته على الاقدام ، وأخضعته لسلطان حبها ونداء انوثتها

ولم يكن ريمون قد عرف المرأة . لم يكن قد أحب امرأة قبل اوجستا ، فأضفى عليها من روائع خياله الساذج المتقد الغرير ، ما زادها حسناً ، وما ضاعف العاطفة فى صدره قوة وغلياناً

ولما استوثقت من سلطانها عليه . وادركت بثاقب نظرها أنه بات فى قبضة يدها ، وان عاطفة البنوة قد فترت فى نفسه ، وان الشعور بالواجب قد تقلص فى فؤاده ، وان ضميره المعذب الحي قد اضمحل وتداعى واشرف على موت محتوم ، أقبلت عليــه ، وشرعت تخرج الى الملاهى فى صحبته ، وتجلس اليه الساعات الطويلة فى بيتها ، مذكرة إياه بأن حبها كان السبب فى شفائه ، وان حبها هو الذى جعل منه الآن شابا قوى الساعد مفتول العضل ، ممتلئاً نشاطاً وعافية وحياة

وهكذا تمكنت منه ، واستولت عليه ، ومثلت فى نظره ملك الرحمــة والحنان . ثم عادت فتمنعت مرة أخرى ، وصدت وأعرضت ، وتظاهرت بالذعر الشديد ، وصارحته بخوف العاقبة ، ثم تأبت وتعالت ومثلت فى مهارة وحذق دور المرأة الفاضلة التى تستنكر الخيانة ، وتستهول الاقدام على ارتــكاب محرم ، فاصطرمت العاطفة فى صدر الفتى وطغت عليه ، وأفقدته اتزانه وأحالته فى النهاية عبداً لها

وعندئذ عزمت أوجستا على العمل

وكانت قد أصابت هدفين بحجر واحد : فازت بحب ريمون ، ولفرط ما أظهرت من ضروب العناية به ، فازت فى نفس الوقت بتضاعف حب زوجها لها ، فأرادت أن تأخذ الزوج فى فخ حبه الحديد الملتهب ، فجعلت تقيم المآدب وتنظم الحفلات وتستقبل الشبان وتكثر من التغيب فى الخارج ، وتهمل شئون زوجها ولا تكترث له ، بغية أن تثير فيه الشكوك ، وتنفث فى قلبه سم الغيرة ، وتلقى فى روعه أنها انحرفت عن السبيل السوى

ولما اطمأنت الى أن نفس هوبير أصبحت مسرحا للقلق والهم وفوضى الحب ووساوس الغيرة ، انتهزت فرصة سفره الى احدى مزارعه ، وأنبأت ريمون بأن الجو قد حلا لهما ، وطلبت اليه أن يسارع لملاقاتها فى البيت مساء اليوم التالى فى ساعة متأخرة من الليل . ثم انطوت على ذاتها وحبست نفسها فى مخدعها ، وجاءت بجريدة قديمة وجعلت تقص منها بعض حروفها ، وترتب هذه الحروف وتلصقها على الورق فى شكل رسالة بعثت بها الى زوجها ، وأخبرته فيها على لسان صديق مجهول ان امرأته تخدعه ، وأنه لو عاد الى بيته فى موعد معين فسوف يجدها فى صحبة عشيقها

وكانت ترتب حروف الرسالة وهى لا تعى ما تفعل . كانت نهب حقدها ، ومتاع انتقامها ، وملك فكرتها الثابتة . فلما أتمت وضع الخطاب ، وفرغت من كتابة العنوان بخط حورته ونكرته وشوهت معالمه ما استطاعت ، نهضت ، وخرجت الى الشـارع ورمت بالرسالة فى أول صندوق

بريد صادفته . فى تلك اللحظة جمد الدم فى عروقها وأحست هول ما فعلت ، ولـكن شعورها القوى بأن الأمر أفلت من يدها ، وبان المصير بات فى قبضة القدر ، زادها عزماً واصراراً ، ورد اليها قسوتها فرفعت رأسها ، وتنفست طويلا ، واتجهت صوب المنزل بخطى وئيدة ثابتة !

* * *

وكانت الليلة حالكة السواد ، هامدة الحركة ، يخيم ظلامها على القصر الساكن المستوحش . وكانت أوجستا واقفة خلف نافذة مخدعها تنطر من خصاصها الى الشارع تعد الدقائق وتنتظر مجيء ريمون . وكانت تجاهد لتحول بين نفسها وبين التفكير فيما سـوف يحدث . كانت تسدد قواها العاقلة الى هدفها المنشود وتأبى إلا أن تنظر فى هدا الهدف وتتطلع اليه وحده ، وكان كلما جمح بها الفكر الى التأمل فى العواقب ، ضربت الارض بقدمها ، وحنقت على نفسها ، ومضت تتمثل صورة ريمون وتستمد منها ارادة الصبر والثبات والمقاومة

ورايلتها فى تلك اللحظة كل عاطفة انسانية ، وكل شـعور وجدانى نبيل ، وعمرتها اللدة الـكبرى ، لذة المرأة الضعيفة الموشكة أن تشهد صراعا بين رجلين ، أثاره هى بقوة خيالها الشيطانى وذكائها المشبع بروح الشر والاجرام

وانها لمستغرقة فى فـكرتها الثابتة ، وادا بها تلمح فى حديقة القصر شبحاً ينسل بين الشجيرات فخفق فؤادها ، وسارعت الى الباب ففتحته ، وخرجت لاستقبال ريمون ثم عادت به الى المخدع

وكان الشاب يرتعد . ويقبل يديها وقد انعقد لسانه ، وتصبب العرق من جبينه ، وكادت تصيبه نوبة اغماء ، فاقتادته من ذراعه ، وأجلسته على المقعد المستطيل ، وهرعت الى النافذه ففتحتها وهى تبتسم ، ثم أضاءت المصباح الصغير الخافت ، ثم جلست بجوار ريمون وأرسلت ضحكة قصيرة حادة بهت لها الشاب واستفاق

وشرعت تحدثه فى التافه من الامور ، شرعت تحدثه عن صحته وعن الجو وعن ملاهي باريس، وريمون يحدق اليها مضطرباً حائراً ، يود لو يضمها الى صدره فلا يستطيع

وبدرت منه حركة نابية ، فاستضحكت أوجستا وتراجعت ومضت تلعط وتثرثر وتقتل الوقت فى حديث جديد عن روايات المسارح وأفلام السينما . فعيل صبر الفتى وهم باعتناقها فدفعته عنها فى رفق، ولـكنه استشاط غضباً وتشبث بها وحاول ان يطوقها بذراعيه القويتين ، فنهضت مذعورة مختلجة متأبية . غير أنها فى نفس تلك اللحظة سمعت وقع خطى لم يتنبه لها الشاب ، فأقبلت عليـــه وهو مذهول وضمته بين دراعيها ، واستدارت وأطفأت المصباح . وعندئذ طرق الباب ، فانخلع قلب الفتى وجمدت المرأة في مكانها ولم تتكلم ، فثارت أعصاب ريمون وأحس الخطر ، وأراد أن يتملص منها ، فلم تمـكنه وتقدمت به حتى النافذة ، وأومأت برأسها اليها ، فتوهم ان المرأة تحبه وتشير عليه

بالفرار، فقبلها واستجمع قواه وهم بالافلات منها ، ولـكنها حبسته بين ذراعيها ، ولم تطلقه إلا عند ما فتح الباب ودخل هوبير

أدرك الشاب ان والده قد باعته ، وانه لم يتبينه لفرط الظلام ، فأسرع وانطوى على نفسه ، ثم تحفز ليثب من النافذة ، ولـكنه قبل أن يصل اليها ، وقبل أن يهم بالوثوب ، دوى فى الغرفة طلق نارى أعقبته صرخة هائلة وصوت جسم ثقيل يهوى على الارض !



وحينئذ تقدمت أوجستا وفى صمت عميق وهدوء مروع ، مدت يدها وتحسست الحائط. وضغطت على زر معين فأضاء المصباح الكبير وغمر النور أرجاء الحجرة

وفى تلك اللحظة عرف الوالد ولده ، فجحظت عيناه وشاع الخبال فى تقاطيع وجهه وأرسل صوتا ممزقا ، ثم تهاوى وسقط على الجثة مغشياً عليه ، بينا كانت أوجستا تطوف أنحاء الغرفة وتقول بصوت مهشم المخارج ، وهي تضحك وتقهقه قهقهة مزعجة وحشية غريبة :

— مات حبيبى ! مات حبيبى !

* * *

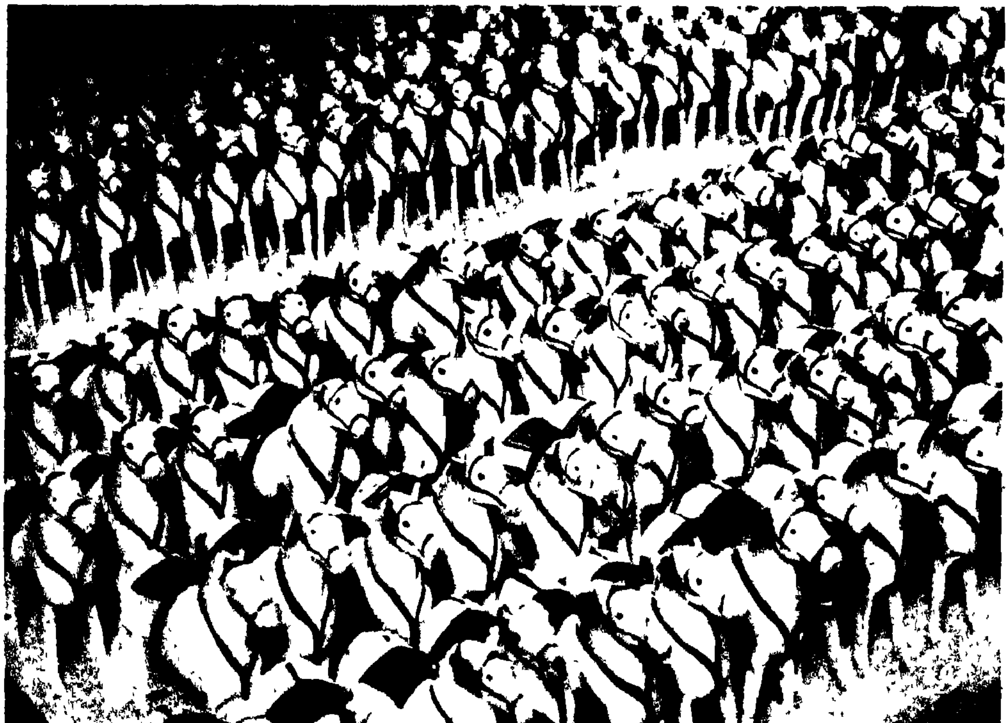
واشتدت على أوجستا أعراض الجنون فنقلت فى اليوم التالى الى أحد مستشفيات الامراض العقلية ، أما المسيو هوبير فبعد ان أطلق سراحه وبرأه حكم القضاء ، رزح تحت وطأة جريمته ، وأراد التكفير عن ماضيه ، فباع كل ما يملك ووزع أمواله على الفقراء ، واشتغل عاملا بسيطاً فى بأحد مصانع الحديد

لعب الأطفال

يرى المربون أن اللعب التي يلهو بها الأطفال ، قد تكون أجدى عليهم من الدروس التي يجهدون في فهمها وحفظها . ذلك أنها كثيراً ما تروض عقولهم رياضة ذهنية مديمة ، فتطلق أخيلتهم الناشئة وتدربهم على علاج المشاكل العسيرة ، وتنمي فيهم ملكة الصبر والمثابرة والقدرة على التحايل والتصريف

وقد عنى الناس منذ القدم بابتكار اللعب التي يهديها الآباء أطفالهم في المواسم والأعياد . فكان الاطفال في عهد الفراعنة يلهون « بالعساكر » الخشبية ذات الشكات والخوذات الحربيـة . وكان الآباء يهدون أطفالهم قوارب صغيرة يسيرها بحارة من الخشب . وأخذ عنهم الفينيقيون هـذه اللعب ، وأوصلوها الى الغرب في رحلاتهم الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط . وتجد في أطلال الاغريق والرومان كثيراً من لعب الأطفال الجميلة مصنوعة من الخشب والاحجار والمعادن . وكذلك كانت للصين وايران شهرة فائقـة في ابتكار لعب الاطفال وصنعها من الخزف والرخام

وعنيت أوربا منذ العصر الوسيط بلعب الاطفال ، وكانت المانيا أسبق الدول الى صنعها وظلت عهداً طويلا تحتكر انتاجها . وكان صناع مدينة « نورمبرج » يبتكرون ويفتنون فيها ، حتى أوصلوا هـذه الصناعة الى مستوى الفنون الجميلة . ولما قامت الصناعة الحديثة صارت لعب الاطفال « مادة تجارية » رائجة ، وأقيمت لها المصانع الكبرى في بلجيكا وفرنسا وسويسرا ، وأخذت تنتج كميات هائلة من هذه اللعب . وتصدرها الى شتى البلاد . أما المانيا فظلت أول الامر محتفظة بطابعها الفني الذي امتاز به صناعها المهرة ، حتى اضطرتها المنافسة الاقتصادية الى أن تلجأ الى الانتاج الآلي وتكثر منه . وهناك دول كثيرة تستمد جزءاً كبيراً من ثروتها مما تنتجه وتصدره من لعب الاطفال ، وأهمها سويسرا واليابان



تمثل هذه اللعبة ، طابور خيل خشبي صغير ، يستعد لعيد الميلاد



عروسان من عرائس العيد ، تمثلان فلاحتين جميلتين ، فى ملابس يوم الاحد
الزاهية الألوان ، وقد وقفتا تنتظران ولاشك مقدم شاب جميل يرافقهما الى النزهة



[illegible] الاولاد [illegible] موسيقيين [illegible] بدراجة [illegible]
[illegible] فى طرف الصورة كلب [illegible]



... من لعب الاطفال ، تمثل عروسين ...



ثلاث لعب من لعب الاطفال تمثل طفلين يدوران حول نفسيهما فى رقصة لطيفة ، وكلبا ينظر اليهما ويتحفز للوثوب والاشتراك معهما فى حلبة الرقص

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

الصين لا تقهر

لبيرل بك . الفائزة أخيراً بجائزة نوبل للآداب



بيرل بك

يؤكد من تتبعوا أنباء الحرب التى تدور الآن فى الصين ، أن اليابان قد باءت بهزيمة لم تكن فى حسابها . حين بدأت الحرب فى أغسطس من العام الماضي قدرت أن حسبها ثلاثة أشهر تجثو بعدها الصين على ركبتيها خاشعة دليلة . ولكن ها قد انقضى عام كامل وشهور عدة ، أخذت اليابان فى أثنائها تفقد الأمل فى النصر يوماً فيوما ، بينما صارت الصين أقوى مما كانت الى حد بعيد جداً ، فعندها من الذخائر والأموال ما يكفيها سنتين طويلتين بغير عناء

فلماذا أخطأت اليابان فى تقديرها ؟ لأنها لم تفهم مرامي الصينيين وأساليبهم على وجهها الصحيح . فقد أرادت من هذه الحرب أن ترغم الصين على إجابة مطالبها ، بالقاء الرعب والفزع فى قلوب أهلها الآمنين . ونجحت فى مهمتها أول الأمر إذ اضطرب الصينيون حين وجدوا أنفسهم غير مستعدين ولا متأهبين أمام دولة مسلحة تسليحاً قوياً حديثاً . فلما زحفت عليهم اليابان زحفها الأول ، ارتدوا على أعقابهم مندحرين ، حتى كادت تسحقهم القوات المغيرة سحقاً

ولكن لم يلبث الصينيون أن تبينوا أن الأمر ليس على ما يحسبون ، وأن هزيمتهم لا ترجع الى ضعفهم قدر ما ترجع الى خوفهم . فقد وجدوا من اليسير عليهم أن يتجنبوا القنابل التى تقذفها طائرات الأعداء ، بهذه الخنادق التى هبوا لحفرها فى كل مدينة ، وأووا اليهم آمنين أخطار الطائرات . . . نعم ، أخذ اليابانيون يدكون المباني ويخربون المدن ، ولكن الصينيين ليسوا شعباً

«حساساً» يفزع من هذا ويثور، فكل بناء يهدم يمكن أن يقام ،والبيت الصيني العادى لايستغرق بناؤه أكثر من ليلة واحدة ...

والمبانى لاتعنى الصينيين كثيراً ، وانما تعنيهم الارض وحدها . وهذه لا يستطيع اليابانيون أن يغزوها ، بل ولا أن يستولوا على مساحات فسيحة منها . فمع أنهم أقاموا خطاً حربياً هو أطول خط عرفه التاريخ ، فانهم لم يستطيعوا أن يستولوا إلا على السكك الحديدية والمدن القائمة عليها . أما السهول الفسيحة التى اجتاروها فسرعان ما عاد اليها أهلها وزرعوها وسكنوها ، متأهبين مع هذا لمغادرتها حين يهبط عليها قصائل اليابان . وهكذا فشلت اليابان فى أن تحتل الارض بطائرتها وبجيوشها . وقد قال لى أحد الصينيين : « ماذا تجنى اليابان من هذه القنابل التى تقذفها طائراتها ؟ ان أكبر واحدة منها لا تحدث إلا حفرة فى الارض طولها ثلاثون قدما وعمقها عشرون . فهل هذه الحفر تضيرنا ؟ انها برك حسنة نربى فيها الاسماك ! » . فلما ذكرت له ما تودى به هذه القنابل من الأرواح قال : « لقد علمتنا المجاعات التى طالما اجتاحت بلادنا ، والحروب الأهلية التى طالما شبت بيننا ، أنه ما من شىء يمكن أن يقضى على الناس ما داموا قد تركوا يتوالدون ويتناسلون »

وهكذا تبين الصينيون أن اليابان لا تستطيع أن تستولى على أرضهم ، ولا أن تقضى على أرواحهم . فبدأوا فى أمن وهدوء يدبرون وسائل الدفاع والمقاومة . وانك لتراهم اليوم فى الخنادق التى يأوون اليها يعيشون كما كانوا يعيشون فى بيوتهم : يأكلون راضين ، وينامون هادئين، ويتعاملون ويتحاسنون ، بل يلعبون ألعابهم الشعبية

وانهم ليقولون لك الآن مغتبطين ان هذه الحرب قد أفادت الصين فائدة كبرى ، فلعلها الأمر الوحيد الذى كان يمكن أن يحقق الوحدة السياسية التى طمحت اليها الصين طويلا ، وكافحت فى سبيلها كثيراً . فقد صارت القوات الثلاث المتناحرة ـ الحكومة الوطنية التى يرأسها تشيانج كى تشك ، والقواد المتنازعون ، والشيوعيون ـ كتلة وطنية واحدة تواجه عدواً اجنبياً واحداً

وثمة فائدة أخرى أصابتها الصين دفعة واحدة ، ولولا الحرب لسعت اليها جاهدة الأجيال والقرون ، وهى فتح أقاليم الصين الداخليــة لتيار المدنية الحديثة . ذلك أن اليابان لا تستطيع فى أحسن الظروف المؤاتية أن تتعدى بجيوشها النصف الشرقى من بلاد الصين ، ولا تجرؤ على أن تبث جيوشها ولا طائراتها فى المناطق النائية المهجورة من الجانب الغربى . وهذه المناطق سهول فسيحة خصيبة يمكن أن تمون قارة بأسرها من خيراتها الوفيرة ، ولكنها ظلت حتى الآن تحيا حياة القرون الوسطى بلا استغلال واستثمار ، حتى أن الصينى الحديث المثقف يجهل هذه الاقاليم البكر كل الجهل ، ولا يفكر فى أن يتغلغل فى شعابها وارجائها ، لأنه ما يزال يجد فى المناطق الشرقية مجالا واسعاً للعمل والكسب

أما الآن فتتجه الكتلة الصينية صوب الغرب لتعمر هذه المناطق البكر الغنية . فالحكومة تبتعد

بمقرها عن الساحل من حين الى حين وتنتقل به الى داخل البلاد ، والجامعات تنقل دورها الى هذه المناطق المهجورة ، والمدن الصناعية ترحل بآلاتها وخبراتها الى المدن الداخلية ، وطرق السيارات والسكك الحديدية تنشأ بسرعة فائقة ، فتقيم هياكل الحضارة فى هذه الفيافى التى لم يكن من أمل فى تعميرها ، وشرعت الصين تشق الطرق التى تصلها بشرق أوربا ، وتزمع أن تجدد الطرق القديمة الى كانت تربط الشرق بالغرب منذ قرون والتى اخترقها ماركوبولو فى رحلته الى الصين . وكذلك شقت طريقين فسيحين ينقلان تجارتها الى بورما والى التركستان الصينية . .

على أن أعظم ما غنمته الصين من الحرب هو هذا الروح القوى القاهر الذي انبعث فى قلب كل صينى ، منذ أن مرت فترة الفزع الأول ، وأمنت الصين على حياتها وأرضها . وأحسب أنك لا تجد الآن فى الصين فرداً واحداً يخشى الهزيمة ويتوقعها ، لأنهم يحاربون وفق طرائقهم وأساليبهم الخاصة ـ أى حرب العصابات التي دوخت اليابانيين بمفاجآتها الغريبة . فان خطوط اليابانيين المحكمة لم تستطع حتى الآن أن تقاوم هذه العصابات التي تتسلل فرداً فرداً وسط الكتائب اليابانية ، فتقتل جنودها وتأتى عليهم ثم تلوذ بالفرار

وأبلغ مثل على أن الروح الذى تحارب به الصين ينبىء عن نصر قريب مؤزر ، هذه الواقعة التى حدثت على ضفاف النهر الاصفر ، حين قطعها الفلاحون فطغت المياه والامواج ، فجرفت اليابانيين والصينيين معا .. !

نعم . كيف يقهر شعب هذه استماتته فى الكفاح ؟ !

فلنتساءل اذن الى أى مدى تريد الصين أن تسير فى طريق هذه الحرب ، وماذا تؤمل من وراء المناضلة العنيفة التي تثابر عليها ؟ . . ان هذا الشعب الحكيم الرزين قد وضع للحرب منهاجا لا ينتهي إلا حين لا يبقى فى أرضه شبر واحد يحتله الاعداء . ولكنهم لن يخطئوا فى تنفيذ خطتهم هذا الخطأ الذى ارتكبه الحلفاء حين أذلوا المانيا اذلالا ، كان لا بد من أن يولد فى أهلها الرغبة فى الثأر والانتقام ، بل تريد الصين ان تدأب على مقاومة اليابان مقاومة لا تكل ولا تنى ، حتى تيئسها من كل أمل فى النصر ، بل حتى تضطرها الى مصالحة الصين واسترضائها ، وعند هذا لا تفرض عليها الصين من الفروض ما يجعلها ناقمة حاقدة بل ما يتركها راضية حامدة ...

[خلاصة مقال للقصصية الامريكية بيرل بك فى مجلة ريدرز دايجست]

من أنا

بقلم هـ . ج . ولز



هـ . ج . ولز

من أنا ، ومن هو ذلك الانسان المدعو ولز ؟ ... لقد حاولت أن أفكر فى شحصى وفى مجموعة العواطف والافكار التى يتألف منها كيانى ، فعدت بخيبة مرة تركت فى فؤادى أعمق الحسرات

ان شحصيتى ما تنفك تتبدل وتتحول ، وما ينفك ماضيها يبتعد عنى ويتبدد ويتلاشى فى حوف الزمن السحيق

لقد سقطت أيام حداثتى من سريرى على الأرض ، فاصطدم رأسى بزجاجة كبيرة هشمت وجهى وأبقت فيه هذا الأثر الواضح الذى أحدق اليه الآن . فالأثر المادى باق وا أسفاه ، ولكن أين هي الأفكار والعواطف التى أحدثتها الصدمة إذ داك فى نفسى ، وأين احساس الزمان والمكان ، وأين الألم الذى شعرت به ؟ . كل ذلك قد مات وليس فى مقدورى أن اذكره مهما صببت عليه من شعاع خيالى المصطرم

واذن فليس فى وسعى ان أقرر ان ولز الطفل الذي فكر وأحس وتألم في ظرف من الظروف ، هو ولز العاقل الرصين المكتمل الجالس الساعة الى مكتبه ، مقطوع الصلة بماضيه ، يفكر فى هذا الماضى على غير جدوى

ولقد اتفق لى عندما بلغت العشرين من عمرى أن اصبت بمرض خبيث ، نكر أخلاقى وأفسد طبعى وأحالنى مخلوقا سوداوى المزاج ، سريع الانفعال ، سريع الغضب . فماذا بقى من هذا المخلوق فى نفسي ؟ . لاشيء ! انى أتأمل الآن صورة ذلك الشاب المريض ، وأطالع الخطابات التى كان يكتبها فأدهش للفارق العظيم بينى وبينه ، ويكاد يتملكنى الذهول لفرط احساسى بأنه قد انسلخ عنى ، وأنه لم يكن منى ولم أكن أبداً منه !

فولز القديم قد مات ، ولكن من هو ولز الحديث ، من هو ولز الماثل فى ضميرى وعقلى وقلبى ، وهل هو حى حقاً ، كما يخيل الى وكما يعتقد الكثيرون ؟

الواقع أن أفكارى انحدرت الى من الآخرين ، وانى متصل بالنوع الذى أنتمى اليه ، وبالكتلة التى أنتسب اليها ، وبالمجموع الذى أنا جزء منه

والغريب أنى مهما فكرت فلن أستطيع الهبوط الى قرارة نفسى واكتناه أسرار تلك الانفعالات المعقدة التى تمرح وتتقلب فى ذلك الجو الضبابى المحدق بى

ان آلاف الخلايا التي يتألف منها شخصى تروح وتجىء فى عرض كيانى أشبه بجمهور يتنزه فى شوارع مدينـة . فهل فى مقدورى بعد هذا كله ان أقول انى كائن ، وانى مطلق الحرية ، وانى مستقل برأيى وارادتى كما يخيل الى ؟

قد أكون وهماً بيولوجياً ، وقد أكون صفوة تجارب عدة أجرتها الطبيعة لغاية خفية من غاياتها ، او لمحض رغبتها فى أن تبدع الآونة بعد الأخرى نفراً من الرحال النوابغ الممتازين بالـكبرياء ! ألن تزايلنى هذه الـكبرياء برغم كل ما قلت ؟

انى لأحس ان جسمى نفسه منفصل عنى ، وان الفم الذى أتكلم به ، والعين التى انظر بها ، والمعدة التى فيها حياتى ومنها موتى ، جميع هذه الاشياء غريبة عنى وان كنت فى أشد الحاجة اليها

نعم . هي غريبة عنى ولـكنها أشبه بنوافذ أطل منها على العالم . فأنا والحالة هـذه مجبر على العناية بها والحرص عليهـا وان كنت أكرهها ! . أجل . أنا اكره بدنى ووظائفه ، وأشعر أنه دخيل على ، غير انى اداريه واحتمله ابقاء على شعلة فكرى

ولـكن إذا كان بدنى ثقيل الوطأة على ، دخيلا على شخصى ، وإذا كان شخصى المعنوى نفسه لا ينفك يتغير ويتبدل مستمداً قواه من الغير ، فمن أنا ، وما هى حقيقتى ، وما هو اعتقادى فى مصير الجسم ومصير الشخصية الانسانية ؟

يلوح لى أن الجسم يفنى ، وأن شخصية الفرد المعنوية ، فناء تمشى الى فناء . وأما عقيدتى فهى ان الجوهر الباقى هو مجموع الفكر البشرى النامى ، ومجموع الارادة البشرية المتفوقة ، ومجموع الجهود الفكرية والنفسية التى يقوم بها الكل والتى تمثل كل فرد جزءاً منها

فالناس الى فناء . ولـكن الانسان هو الباقى . والانسان هو روح المجموع ، هو «لاشخصية» المجموع ، هو سر المجموع وعبقريته . فى الانسان قوة أقوى منه ، قوة كان يسميها كونفشيوس الشخصية العليا ، وكان يسميها القديس بولس آدم الجديد ، وكان يسميهـا الفلاسفة الرواقيون « لوجوس » ، ونحن الآن نطلق عليها اسم السبرمان أو الانسان الاعلى

فالانسان الاعلى ليس شيئاً فى نفسه ، وقيمته تنحصر فى أن تفوق المجموع قد تمثل فيه ، وأن عبقرية المجموع قد حلت عليـه ، وأن شعوره بضرورة انماء مواهبه ينبع لا من نفسه بل من المجموع ، وينصب لا فى نفسه بل فى حياة المجموع

واذن فجهادنا يجب ان ينصرف لخدمة النوع الخالد ، أو الانسان الخالد ، لا الى خدمة ذاتنا المضمحلة الفانية التى لا قيمة لها من حيث هى ذات بشرية منفصلة

[خلاصة مقال عن لارينى موندیال]

الحرب
فى عصر الابتكار والتجديد

كانت الحرب فيما مضى غيرها اليوم . وكان الملك أو الامير الذى يستطيع تجنيد خمسين الف رجل ، يعد ملكا عظيما واسع السلطان مرهوب الجانب . ولقد تمكن فردريك الأكبر من احراز سلسلة انتصارات مجيدة بواسطة جيش مؤلف من سبعين الف رجل

والواقع أن فكرة انشاء الجيوش الكبيرة ترجع الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر ، ولكن نابليون هو الذى حققها عند ما انشأ جيشا مؤلفا من ثلاثمائة الف مقاتل

ولقد روع هذا الجيش أوربا وألقى الذعر فى قلوب ملوكها واعتبر إذ ذاك قوة ساحقة هائلة ولكن عدد جيش نابليون لا يمكن أن يقاس بعدد الجيوش التى حشدها الحلفاء وخصومهم فى الحرب العظمى

ففرنسا وحدها جندت ٦ ملايين ، والمانيا جندت أكثر من هذا العدد ، وكان مجموع الذين جندتهم دول أوربا يبلغ أكثر من ٢٥ مليون رجل . غير أن كثرة العدد اقترنت بتقدم بطيء فى صناعة الاسلحة . فلم تكن الأسلحة المبتكرة من العوامل الفاصلة فى مصير المعارك ، بدليل أن الانجليز قد استخدموا فى حرب القرم نفس البنادق التى استخدموها فى معركة واترلو ، ومع ذلك فقد استطاعوا الثبات فى وجه الروس ، ولم يشعروا بأن سلاحهم القديم كان مصدر ضعف لهم

بعد ذلك نشطت حركة تجديد السلاح وتحسينه ، وساهم العقل العلمي فيها ، واستخدمت النهضة الصناعية من أجلها ، فظهرت أنواع شتى من البنادق ، وابتكر الالمان مدافع ثقيلة كانت السبب الرئيسى فيما أحرزوه على الفرنسيين من نصر عام ١٨٧٠

ولما جاءت الحرب الكبرى سير الالمان الى ميادينها مدافع ثقيلة بعيدة المرمي ، فقابلها الفرنسيون بمدافع (بانج) القديمة . ولكن تفوق هؤلاء فى صنع المدفع القصير المدى السريع الطلقات المعروف برقم (٧٥) مكنهم من صد عادية الالمان واجراء التوازن بين مدفعيتى الدولتين

ولأول مرة فى التاريخ ابتدعت الدول فى أثناء الحرب العالمية أسلحة جديدة

وهاهى ذى اليوم تتبارى فى ميدان الابتكار والتجديد مستعينة بأحدث ماوصلت اليه اكتشافات العلم العصرى

غير أن السرعة فى الابتكار اقترنت بسرعة مثلها فى عجز السلاح المبتكر عن متابعة حركة

التجديد الجنونية . فالطراز من الدبابات أو الطائرات أو المدافع لايكاد يظهر وتنقضى على ظهوره أعوام عدة حتى يظهر طراز آخر أفضل منه وأشد فتكا ، فتضطر الحكومات لانفاق المبالغ العظيمة فى تبديل سلاحها أو تحسينه تمشياً مع روح العصر وحركة التجديد

ولقد كانت طائرة المطاردة الفرنسية التى تقطع ثلاثمائة كيلومتر فى الساعة ، تعد الى زمن قريب معجزة فنية ، ولكن بعض جيران فرنسا ابتدعوا أخيراً ضربا من طائرات المطاردة لا تقاس به الطائرة الفرنسية من حيث السرعة والمتانة

فالدول والحالة هذه مجبرة على التضحية بسلاحها القديم الذى كلفها غالياً ، أو بيعه ، أوالانتفاع به فى حرب تثيرها عمداً ، خشية أن يسبقها خصومها الى ابتداع أسلحة حديدة ، أو خشية أن تعصف بها أزمة مالية تقعدها عن تجديد سلاحها

ولو استطاعت دولة من الدول ان تضمن السلم عشر سنوات مثلا ، فمن الحكمة ألا نسرف فى التسلح فى خلال هذه الفترة ، وان تراقب فقط حركة التجديد عند جاراتها ، وألا تستطرد تسلحها إلا فى السنوات الثلاث الاخيرة بعد اد تكون قد ادخرت مالا وافراً

وهكذا تفيد من اختراعات سواها وتضيف اليها عبرها ، وتأمن تقلبات «المودة» وفعل الزمن فى سلاحها ، ولكن كيف نضمن الغد ، ومن ذا الذى فى وسعه التنبؤ بما قد يأتى به الغد ؟ . .

ان الساعة الرهيبة قد تدق الآن ، بل فى هذه اللحظة ، ومن الواجب والأسماه أن تواصل الدول الكفاح وتنشط وتتبارى وتراكم سلاحا فوق سلاح وابتكاراً فوق ابتكار

وعندى ان هذه المباراة الملعونة جعلت أوربا تعيش عيشة الحرب فى زمن السلم ، فهل فى مقدورها مواصلة حياة كهذه ، وهل فى وسعها المضى فى هذا السبيل دون مواجهة الفاقة واخطار الازمات الاقتصادية المروعة ؟

ان المانيا تنفق المليارات على تسلحها ، وعمالها يشتغلون بأجور مخفضة ، وكذلك تفعل ايطاليا واما انجلترا فتنفق على السلاح مبالغ لا يتصورها العقل ، وكذلك الولايات المتحدة ، وأما الدول الصغيرة كالبلجيك وهولاندا وسويسرا ويوجوسلافيا والمجر فقد أخذت فى الفخ وشرعت تنفق على جيوش كانت تكفي فيما مضى لغزو القارة الاوربية بأسرها

والجميع يشتركون فى رقصة الموت هذه ، والجميع يسارون فى أيهم أنشط حركة ، وأمهر وثبة ، وأقدر على التحفز والانقضاض . . ألا إنه لعار وخزى وانحطاط ! . .

فمتى تفيق اوربا من سباتها ، ومتى ترجع الى سابق جهادها ، ومتى يتفق الاوربيون على تحويل هذا التيار الفاجع ، واستخدام عبقريتهم فى سبيل الحياة لا فى سبيل الدمار والتهلكة ؟ . .

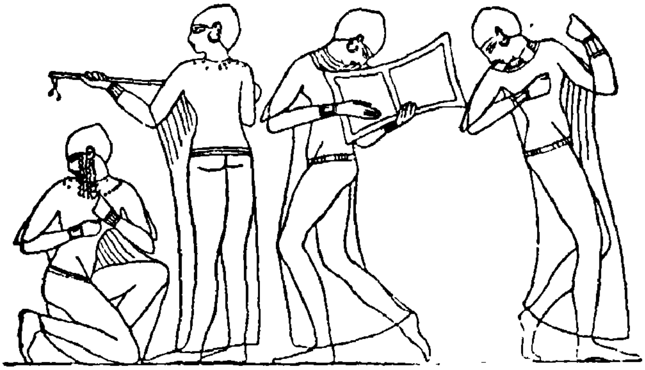
[خلاصة مقال بقلم روسى عضو اكاديمية جونكور نشرت بصحيفة ماريان]

معانى الرقص

عند قدماء المصريين

كان المصريون القدماء على نبوغ ملحوظ فى فن الرقص . وكان رجالهم ونساؤهم يجيدون هذا الفن كما تشهد بذلك النقوش المصرية القديمة البادية على بعض الآثار

ففى مقبرة اكاهورو نرى الموت جاثماً على مقعد صنعت أطرافه على شكل قدمى أسد ، يتأمل رجلين يرقصان وبالقرب منهما ثالث يصفق بيديه تصفيقا توقع عليه حركات الرقص . ويرى الناظر عن بعد جمعاً من النساء يرقصن أيضاً ، وقد وقفت بجوارهن امرأتان تصفقان



الرقص على نغم الموسيقى كما يبدو فى بعض مقابر طيبة

والذى يسترعى النظر فى هذا المنظر ، أن ضفائر النساء طويلة ، وأنها تنتهى بشبه كرة تهتز فى أثناء الرقص اهتزازاً يؤدى إلى تماوج الضفائر حول جسم الراقصة تماوجاً ساحراً عريباً

فالمصريون والحالة هـذه كانوا لا يكتفون بتقديم الهبات المادية لموتاهم ، بل كانوا يعنون فى الوقت نفسه بادخال السرور على نفوسهم من طريق الفن

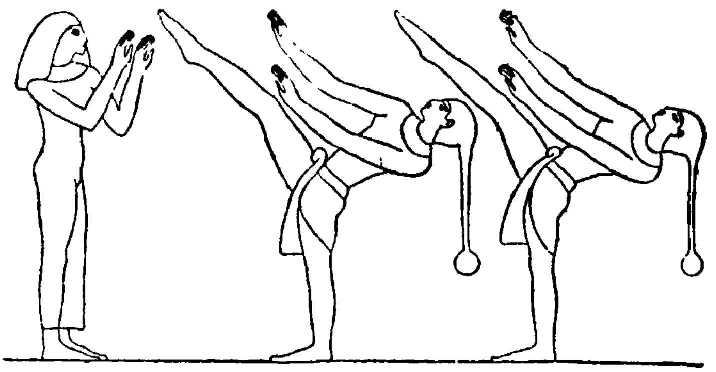
ولقد كان أوزريس يحب هرمس ويقدره . وكان هرمس فى نظر المصريين عالما وفنانا . فهو الذى أرشد الناس فى زعمهم إلى مبادىء علم الفلك ، وهو الذى راضهم على فن الموسيقى ، وهو الذى علمهم الرقص ومختلف أنواع الرياضة البدنية ، بعد أن ابتدع لهم القيثارة ذات الثلاثة الاوتار

ومما يدعو إلى الاعجاب أن الرقص عند قدماء المصريين كان رجع صدى الحياة ، وكان فناً يراد به تمثيل الحياة . فالراقص الفذ هو الذى كان يستطيع بحركاته المتزنة المنسجمة أن يحاكي ليونة الماء ، واضطرام النار ، ووحشية الاسد ، وعضب الفهد ، واصطفاق أغصان الشجر ، محاكاة دقيقة تنم عن تقديسه الطبيعة وشعوره العميق بما فيها من عنصرى القوة والجمال

وكانوا يبتكرون رقصات تمثل حركات الافلاك ، تحدث عنها أفلاطون حديثاً ملؤه الاعجاب والتقدير . وأما المآدب التى كانوا يقيمونها تمجيداً للعجل أبيس فكانت تبدأ بحفلات رقص رائعة ، فتتقدم الصفوف جموع الكهنة وتقوم حول الهيكل بالرقصة الأولى . وكان الهيكل يمثل الشمس فى كبد السماء ، وحركات الرقص ترمز إلى مختلف التغييرات السماوية التى تحدث فى أثناء اشراق الشمس ومغيبها ، وفى خلال تطور أضوائها طول العام

وكان الكهنة يمجدون فى رقصهم فوق ما تقدم مآثر أوزيريس وخيراته ونعمه . فيمثلون مولده السرى ، والملاهي التى كان يتعشقها فى طفولته ، وغرامه بالالهة ايزيس ، وبسالته العظيمة . وتأهبه لغزو بلاد الهند على رأس جمع من المحاربين

وكان الكهنة لا يتوجون أوزيريس ملكا على المصريين فحسب ، بل يشيدون به باعتباره أخاً



راقصات مصريات
كما يظهرن فى مقبرة
« امكيبا حورو »

للمصريين ، وذلك فى رقصات نشطة حماسية مبتهجة تشيع فى أفئدة الشعب عواطف الفرح والحب والاعزاز

ولما كان موعد وفاة العجل أبيس يقترب ، كان الكهنة يشيعون جنازته بالرقص . وكانوا يرقصون فى الهيكل وفى الشوارع رقصاً ينم عن حزن شديد يظل مستحوذاً على نفوس الشعب حتى يظهر العجل الجديد ، وعندئذ كانت تستأنف المآدب والحفلات ويقضى الشعب أسبوعا كاملا فى اللهو والرقص

والواقع أن الشعوب القديمة وفى طليعتها شعب مصر . كانت تقدم الرقص إلى الله قربانا . وتعبر بالرقص عن عرفانها بجميل الخالق

فالرقص كان نوعا من أنواع العبادة . وكان انسجام حركات الراقص يرمز إلى تمجيد انسجام الظواهر الطبيعية وتمجيد مبدعها الأعظم

ولهذا السبب كان الكهنة يتدربون على فنون الرياضة البدنية ، والتلويح بالاذرع والاقدام قبل

البدء بدراسة أصول اللاهوت ، وقبل التفقه فى علوم الدين . وكانوا يؤمنون بان الراقصين متى اندمجوا فى رقصهم واشتدت حماستهم وعنفت حركاتهم ، كان رقصهم الدينى خير واسطة لهبوط الوحى الالهي عليهم



رقص الموتى

ولقد ورد فى كتاب العلامة « لولى » عن تاريخ الفنون الجميلة أن الرقص كان وثيق الصلة عند قدماء المصريين بمختلف شعائرهم الدينية ، وان قوانينهم نظمته وحددت أصوله ، وخلعت عليه من ألوان التسبيح والفرح ما جعله أروع آية من آيات العبادة والتمجيد

[خلاصة مقال عن مجلة Musique]

أكاذيب التاريخ المشهورة

تمجد فريقا وتظلم فريقا بغير حق

كثير مما رواه المؤرخون التثبتون ودكرته مؤلفاتهم المعتمدة ، ليس إلا أحاديث خرافة أو أقاصيص مفتراة ، قصدوا منها إلى تمجيد فريق من الناس تمجيداً فيه إطناب واسراف ، والى تحقير فريق آخر تحقيراً لا انصاف فيه . ثم تداول الناس هذه المفتريات أجيالا تلو أجيال ، فقرت فى أذهانهم كأنها حقائق ، حتى قام علماء هذا العصر ينقبون عن آثار الماضى ويمحصون أسانيده ، فأماطوا اللثام عن كثير من هذه الاكاذيب الذائعة ، وأثبتوا أن المؤرخين القدماء قد عظموا أناساً لا يستأهلون التعظيم ، وظلموا آخرين لم يقترفوا ما نسب اليهم زوراً !

وهنا نذكر بعض هذه الأكاذيب :

يقولون ان الاسكندر المقدونى بكى حين دخلت جيوشه أرض الهند لأنه أخضع كل أرض معمورة فى أيامه ، فلم تعد ثمة أقاليم يغزوها ويسودها . ولكن لدينا الآن من الادلة ما يثبت أن

جيوشه قد هرمت أمام الجيوش الهندية ، وأنه اضطر إلى أن يرجع القهقرى مهزوماً !

وبالغوا فى الحط من تاريخ نيرون حتى صار مضرب المثل فى البغى والعسف . فاتهموه بانه أمر بقتل أمه ، مع أنها قتلت دون أن يدرى . واتهموه بأنه أمر باحراق روما ليشاهد النيران تلتهم معالمها وتفتك بأهليها ، بينما هو ينشد الاغانى ويعرف على « الكمان » لاهياً . والحق ان النار التى أحرقت روما شبت قضاء وقدراً ، وأما « الكمان » فلم تخترع إلا بعد عهده بمئات السنين !

وأضفى المؤرخون على « قسطنطين الأول » صفات القداسة ، فلم يعد اسمه ينطق إلا مسبوقا بلقب قديس .. لماذا ؟ .. ألأنه قتل زوجته ، وولداً أو ولدين من أولاده ، ونفراً جماً من أهله ؟! والواقع أن هذا الذى يقدسه المسيحيون حتى اليوم لم يكن يعرف من المسيحية كثيراً ولا قليلا ، لأنه لم يكن ينتمى اليها إلا انتماء طاهرياً فحسب

وتقرأ فى تاريخ سويسرا هذه القصة الرائعة التي تروى عن البطل وليم تل ، وكيف انتقض على حكم أوستريا وعمالها الغاشمين ، وألب عليهم القبائل فنفروا معه إلى حرب الدخلاء الغاصبين ، حتى قهرهم وطردهم وحرر بلاده من الاغلال . . وتمتلىء نفسك إعجاباً بهذه البطولة الفذة ، ولا سيما حين تقرأ القصص الرائعة التى وضعها الشعراء والروائيون تمجيداً لوليم تل . . ولكنك ستأسف حقاً حين تعلم أن المؤرخين الحديثين يثبتون أن هذه القصة ليست إلا حديث خرافة ، فليس من دليل على أن وليم تل قد وجد على ظهر الارض يوماً ما

ويريد المؤرخون الاشادة بشجاعة الاغريق وبسالتهم ، فيؤكدون أنه حين احتشدت جيوش الفرس الزاخرة تحت إمرة اكرزسيس عند ممر ترموبيلى ، تصدى لهم ثلاثمائة أغريقى فقط ، فانهالوا على كتائب الفرس تقتيلا حتى كادوا يردونها على أعقابها . . ولكن البحث التاريخى يثبت أن جنود الاغريق لم يكونوا ثلاثمائة ، بل كانوا اثنى عشر الف نسمة على الاقل . وأنهم لم يصمدوا لقوات الفرس التى أودت بهم جميعاً

وقد كانت كليوباترة تحيا حياة باذخة بلا مراء . ولكن المؤرخين يسرفون فى تصويرها حتى جاوزوا كل معقول . فقال القدماء منهم ، وتابعهم المحدثون ، إنها كانت تذيب الجواهر فى كؤوس الخمر ، حتى يكون شرابها نفيساً غالياً حداً . . فهل لهم أن يتحققوا من أن أى صنف من الخمر لا يمكن أن يذيب أى جوهر أو حجر كريم ؟

وكذلك كان جورج وشنطون رجلا نبيل الخلق عزيز النفس ، ولكن ثمة قصة خرافية لايخلو منها كتاب ترجم له ، وهى أنه في حداثته اقتلع شجرة نادرة كان أبوه يزين بها حديقته ، فسأله أبوه عمن اجتثها ليعاقبه عقابا شديداً ، فقال له : « انى لا أستطيع ان أكذب يا أبى ، أنا الذى قطعتها بمنجلى » . هذه القصة ابتكرها أحد المؤرخين ، فأعجب بها الناس ، فعز عليهم أن يعدوها

أقصوصة مختلقة ، وأبوا إلا ان يعدوها حقيقة لا يأتيها الشك ، وها هم أولاء يثبتونها فى كل كتاب ويلقنونها كل تلميذ

ويقرأ قصة اعدام لويس السادس عشر فتجد إجماعا من المؤرخين على انه ذهب إلى المقصلة رزيناً إلى حد الجرأة والشجاعة ، فلم تخش منظرها الرهيب ولم يفزع من جلادها القاسى ، بل أسلم نفسه فى هدوء وثبات .. ولا تجد منهم من يؤكد الحقيقة وهى أنه راح يصيح مستنجداً مستغيثاً ، وأنه أمسك بالجلاد يبعده عن نفسه تارة ، ويسأله العفو والرحمة تارة !

ويصور المؤرخون والشعراء الذين عاصروا اليصابات ملكة انجلترا فى صورة المرأة الكاملة التى تأسر بنبل أخلاقها ورقة مشاعرها وحنان قلبها . ويأتى خلفاؤهم فيأخذون بهذه الأقوال على علاتها دون تمحيص . ثم تثبت الوثائق التى كشف عنها المؤرخون الحديثون أن اليصابات كانت ضيقة الصدر سيئة الطبع إلى درجة لا تطاق ، وكانت تسب وصيفاتها سباً لا يصدر من أفواه الملكات ، بل كانت تنهال عليهن لطما ولكماً وركلا

وهناك أكذوبتان مشهورتان عن كولمبوس . فتراجمه تذكر أنه حين نزل جزيرة جمايكا فى رحلته الرابعة سنة ١٥٠٤ ، أوهم أهلها الهمجيين الذين هموا بقتله أنه قادر على كل شيء ، حتى ليستطيع أن يخسف لهم القمر اذا شاء . وكان الفلكيون قدتنبأوا بان القمر سيخسف فى الليلة التى نزل فيها أرض الجزيرة ، فلما رأى أهلها هذا المنظر العجيب استسلموا له خاضعين . ولكنك ترجع الى الفلكيين فيؤكدون لك أن القمر لم يخسف فى تلك السنين ولا فى السنين القليلة التي سبقتها أو لحقتها .. وأما قصة البيضة التي أوقفها على المائدة ليتحدى بها خصومه ، فما من طفل الا يعرفها ويستدل بها على ذكاء كولمبوس ، والواجب أن نستدل بها على ذكاء المؤرخين الذين ابتكروها فهى احدى بنات أفكارهم الكثيرات !

ولعل أقدر المؤرخين على مثل هذه الافكار هو أبوهم « هيرودوت » . فهو مثلا يتحدث عن حدائق بابل المعلقة ، مع أنها لم تكن حدائق ، ولم تكن معلقة ، بل كانت أسطحاً مقامة على أعمدة ، ومحملة بأصص الشجيرات والاشجار . وهو يتحدث عن حصار طروادة وما كان بين باريس وهيلانة من حب حينذاك ، مع أن سن هيلانة حين وقع هذا الحصار كان يجاوز وفق تقديره ستين عاما . . !

وهكذا نجد كتب التاريخ حافلة بكثير من الاكاذيب التى تشوه الحقائق تشويهاً كبيراً ، فتضفي الفضل على من لا يستحقونه ، وتظلم أناساً أبرياء مما ينسب اليهم

[خلاصة مقال لكنيث وود فى مجلة باريد]

دور المرأة فى المجتمع المصرى

حديث مع هنرى فورد



هنرى فورد

أوفدت « المجلة العالمية » الفرنسية ، محررها الاول لاجراء حديث مع « هنرى فورد » حول مركز المرأة فى المجتمع المصرى ، والدور الذى يمكن أن تقوم به فى المستقبل لترقية شئونها والنهوض بنظام الاسرة واليك ما كتبه المحرر :

وأخيراً تحدثت الى ذلك الرجل العظيم المشرق الجبهة اللامع العينين المتقد الأعصاب ، الذى لا تكاد تبصره حتى يفتنك منه فرط نشاطه وذكائه وثقته بنفسه وتأهبه الدائم لاقتحام مشروعات مبتكرة تدل أبلغ الدلالة على ما انطبع عليه من حب المغامرة

ذكرت له الغرض من زيارتي فابتسم ابتسامة خفيفة ، ثم قهقه ضاحكا ، وارتسمت على وجهه المجعد أمارات التفكير العميق ، وسرعان ما اختفت ابتسامته وانطفأت ضحكته ، وقال فى هدوء :

— نحن نعيش فى عصر الآلة ، أى فى عصر الرفاهية . ولقد كانت المرأة الى زمن قريب أشبه بحيوان بيتى ، ترهقها الواجبات المنزلية وتحول بينها وبين التمتع بالملاهى البريئة وبمختلف أنواع الفنون والآداب . ولكن الآلة ستبدل هذا النظام شيئاً فشيئاً . وعندى أن سلطان القوة الكهربائية سيمتد حتى الحقول والمزارع ، فتحل الكهرباء محل المرأة ، وتقوم الآلات الكهربائية بالأعمال الوضيعة التى كانت تقوم بها المرأة ، وحينئذ تنعكس الآية ويهجر الرجال والنساء المدن الكبيرة وينزحون الى الريف المتحضر وتستطيع المرأة الحياة فى جو الطبيعة محتفظة بأنوثتها وبالشعر الوحدانى المنبعث من عواطفها ، والذى تطغى عليه حياة البيوت والمصانع فى المدن الكبيرة

ولقد أسدت الآلات الكهربائية الى المرأة اجل الخدم فى المدن ، وعاونتها فى أعمالها البيتية ، ومنحتها أوقات فراغ ثمينة . ولكن المهم انتشار تلك الآلات فى الريف حيث يمكن ان تعيش المرأة فى الهواء الطلق وتنتج أبناء أصحاء

ولقد نظمت بعض الصناعات فى بعض المناطق الريفية ، وأنشأت عدداً من المزارع الكبيرة زودتها بأسباب الراحة وجلبت اليها القوة الكهربائية والآلات الحديثة . فكانت النتيجة أن المرأة

تمتعت بالماء الجاري ، واستخدمت آلات الغسل والكى والطهى ، واستعاضت عن الفحم والخشب بالكهرباء ، وازدادت شعوراً بالصحة والنظافة والراحة وتوافر أوقات الفراغ

— ولكن ما الفائدة من توافر أوقات الفراغ إن نحن لم نحسن استخدامها ؟ وما الفائدة من تخفيف عبء العمل عن المرأة إذا كانت ستقضى أوقات فراغها فى الثرثرة أو تبادل الزيارات أو لعب البريدج أو ارتياد دور السينما ؟

فأجاب فورد قائلا : أوقات الفراغ قوة . وهذه القوة يجب ان توجه لترقية الجانب الروحى فى المرأة . تلك حقيقة واضحة أقرك عليها . ولقد فكرت فيها طويلا . وفى نيتى ان انشىء في تلك المزارع ملاعب للرياضة ومكاتب للمطالعة ومسارح للتمثيل وقاعات للمحاضرات . وان اخصص فيها أقساماً للعاملات من سيدات واوانس. وهكذا ارفع بمستوى المرأة الفكرى والنفسى ، واشعرها بالفائدة العظيمة التي يمكن ان نجنيها من حسن استخدام اوقات الفراغ

فقلت : وما رأيك فى المرأة والعمل والزواج ؟

فقال : سبق ان قلت لك إننا نحيا فى عصر الرفاهية . فليس من العدل والحالة هذه ان نحرم المرأة من زيادة رفاهية الأسرة بالاقبال على عمل فيه ربح للمرأة ومعاونة مادية لزوجها

ولكن إذا كان قد ترتب على استخدام الآلات تخفيض ساعات العمل . وتخفيف شتى الجهود البيتية عن عاتق المرأة . وامتاعها بأوقات فراغ ثمينة . فعندى أن معظم أوقات الفراغ هذه يجب أن ينفق فى البيت وفى رعاية الأبناء وفى توثيق روابط العلاقات الروحية . وينبغى أن أصارحك بأن مركز المرأة الحقيقى هو البيت لا المصنع . وقد يدهشك أن تعلم أن الصناعة لن تحتاج الى المرأة فى المستقبل القريب . اذ كلما تطورت الصناعة وتطلبت زيادة فى الدقة وانعام النظر ، استغنت عن المرأة . وذلك لأن الذكاء الميكانيكى الدقيق ينقص المرأة . ولأن المرأة لا صبر لها على صنع الآلات الدقيقة ، ولا قدرة لأعصابها على الاهتمام بتحسين صناعة تلك الآلات وابلاغها حد الكمال الممكن

ولقد انشأت اخيراً مدرسة للتجارة ، فتبين لى ان الفتيات لا يصلحن للاعمال التجارية ايضا . انهن يعرفن كيف يطعن الأوامر ولكن أذكاهن عقلا لا تستطيع مجاراة الشاب فى حسن التصرف وفى قوة الابتكار وفي الاعتماد على التفكير المستقل الشخصى

ومن خصائص المرأة ان تطيع وتحمل الرجل مسئولية العمل . وسواء أكانت تشتغل فى مصنع ام فى مكتب فأقصى آمالها الاحتفاظ بعمل آلى لا يتطلب اعمال فكر او الاضطلاع بمسئولية

على ان المرأة فى بيتها أنشط أعصاباً وأحد ذهناً منها خارج البيت . وذلك لأن الرجل يلهب عزيمتها ، وغريزة الامومة تفتق حيلتها ، وشعور الامن والدعة والاستقرار يمكنها من اظهار ما تنطوى عليه نفسها من عطف وحنان وتضحية

— وما هى فى عرفك الاعمال التى يجب ان تقوم بها المرأة كى تصبح ربة بيت كاملة ؟

فقال : العناية بالطعام أولا ، وتجهيزه تجهيزاً صحيا ، ثم تربية الابناء تربية استقلالية ورياضتهم على حب الصراحة والصدق ، وعدم ارهابهم أو توقيع اية عقوبة بدنية عليهم . ثم الاعتقاد بأن الحب وحده لايجلب السعادة . بل الحب المقترن بالعمل المتواصل والتصحيات الدائمة هو سر الهناء العائلى فى هذه الحياة [خلاصة مقال عن مجلة لاريفى مونديال]

كيف تحل معضلاتك ؟

وكيف نصل الى أصوب الآراء ؟

كل منا تمر به فترات طويلة ينظر فيها الى اشياء أمامه دون ان يتبينها ، أو يصغى الى أصوات حوله دون أن يسمعها ، لأن عقلنا حينئذ نكون زاخراً بأفكار يدفع ويزاحم بعضها بعضاً

الم نجلس مراراً امام محاضر أو موسيقى دون أن نعى شيئاً مما يلقى ، بينما نكون قد سرحنا الى جهات اخرى نتخيل مشاهدها وأصواتها المتعددة ؟

هذه هى حالة « اللاشعور » التى تحدث حينما يمتنع « العقل » عن التفكير . وفيها نستطيع أن نحل كثيراً من مسائلنا العسيرة ونعالج كثيراً من مشاكلنا العصية . إذ يبلغ التفكير فيها اقصى ما يبلغ من القوة والصفاء ، ويستجمع المرء أكثر ما مر به من تجارب الماضى ومعارفه

ولاشك فى ان هناك ساعات يمكن ان تحل فيها المشاكل بمجرد التفكير المركز العميق . ولكن هناك اوقاتاً اخرى ينبغى ان نكف فيها عن التفكير ، وندع الامور لهذا « العقل اللاشعورى » يبحثها ويعالجها . فهذا العالم الفرنسى « فيهر » قد درس حياة المفكرين الذين عاصروه ، فقرر له ثلاثة أرباعهم انهم وصلوا الى اهم مكتشفاتهم ومخترعاتهم فى اوقات لم يكونوا فيها منصرفين الى البحث والتفكير

واغلبنا يجهد تفكيره ويضنيه ، ومع هذا تأتى آراؤنا على كثير من الخطأ والشطط ، لأننا فى هذه الحالة نكون قد استخدمنا نصف عقولنا فحسب ، وأقل من نصف تجاربنا كذلك . أما نصف العقل فهو هذا « اللاشعور » الذى ندخر فيه اكثر تجاربنا ومعارفنا . والمثابرة على التفكير من شأنها الا تبيح « للاشعور » ان يظهر ويعمل ، مع ان من مصلحتنا ان نوقف التفكير من حين الى حين لنحل محله هذا «اللاشعور» . وفى هذا يقول الكاتب الامريكى هنرى دافيد ثورو : « ان العامل الكفء القدير هو الذى لايزحم يومه كله بالعمل ، بل يمنح لنفسه شيئاً من الفراغ ينطلق فى أثنائه منَ قيود العقل ، ليحيا حياة — لاشعورية — يكون فيها أقدر على التفكير والابتكار »

كيف إذن نستطيع ان نوجد هذا «اللاشعور» ونستخدم قواه فى ابتكار آراء صائبة جديدة ؟

والاجابة عن هذا السؤال تقتضى أولا ان نشبه عمليته بعملية طهى الطعام ، فمن الالوان ما ينضج جيداً اذا اججنا تحته النار وأضرمناها ، ولكن منها ما يفسد إذا لم نتمهل فى طهيه على نار هادئة خابية . وكذلك الآراء ، منها ما يمكن ان نصل اليه إذا أمعنا فى البحث وحددنا التفكير ، ومنها مالا سبيل اليه إلا إذا تركناه يظهر من تلقاء نفسه شيئاً فشيئاً

فالعقل يشبه ـ فى حالة الطهى ـ النار المندلعة المشبوبة ، بينما يشبه اللاشعور النار الهادئة الخابية . فمن الخطأ ان ندع كل المسائل لهـذا العقل الذى قد يفسد بعضها كما تتلف النار الحامية بعض ألوان الطعام ، وينبغى أن نكل الى اللاشعور بعض مشاكلنا ومعضلاتنا فيبحثها ويعالجها متمهلا مترىثاً

وإذن فهناك قاعدة عامة يجب ان نتبعها لحل كل مشكلة تصادفنا ، وهى ان نفكر فى هـذه المشكلة الى أقصى حدود التفكير ، ثم نعيدها الى اللاشعور ليبدى فيها رأيه الصائب فى غالب الاحيان

وهناك طريقان لهذا :

«اولهما» أكتب المشكلة التي تواجهك على قصاصة من الورق ، وقيد معها كل الوجوه المحتملة لحلها ، وبين الى جانبها أسباب التأييد والمعارضة المختلفة . وبعد هذا مزق الورقة وذرها فى الهواء وتناس كل شىء يتعلق بتلك المشكلة قدر ما تستطيع . وعند ذلك ينتقل الامر من دائرة العقل الى دائرة اللاشعور ، الذى يتولى الفحص الدقيق والعلاج الناجع بينما أنت مطمئن مستريح

« ثانيهما » اطرح هذه المشكلة على بعض اهلك وصحبك ، وشاورهم فيها وخذ آراءهم على اختلافها وتناقضها ، وحاول معهم ان تبحثوا كل دقائقها وتنفذوا الى كل زواياها . ولكن لا تحاول ان تصل الى حل حاسم أو نتيجة نهائية . بل ألق بكل هذه الحلول الى « اللاشعور » فيتولى تمييز بعضها عن بعض ، وانتقاء السمين والقاء الغث منها

وهناك امثـلة عدة تبين ان كثيراً من الآراء العظيمة لم تأت فى ساعات التفكير بل فى فترات الراحة

فمن ذلك ان الجراح الامريكى فردريك جرانت بانتنج ظل ذات ليلة بعـد محاضرة يلقيها عن مرض البول السكرى ، واخذ يراجع مختلف الآراء ويقلب شتى النظريات ، حتى بدأت رأسه تدور بهذه الافكار المتعارضة المتناقضة ، وحتى اخذته سنة من النوم فاستلقى فى الفراش قبل ان يصل الى نتيجة حاسمة . وفى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل افاق من نومه ، واضاء حجرته ، وخط ثلاثة سطور على قصاصة ورق . هذه السطور الثلاثة التى لم يكن قد فكر فيها من قبل هى التي ادت الى اكتشاف الانسولين ! فكيف تم هذا إذا لم يكن وراء العقل قوة مفكرة اخرى هى اللاشعور

وقد ذكر الرياضى الفيلسوف الكبير ديكارت انه كشف اهم نظرياته وهو مستلق على فراشه فى الصباح الباكر

[خلاصة مقال لروبرت ابدجراف فى مجلة فوربز]

كشف صحراء الاحقاف

ما يزال العالم يجهل كل الجهل منطقة «صحراء الاحقاف» التي يسميها الجغرافيون « الربع الخالي » في جنوب الجزيرة العربية . فلعل المكتشف الانجليزى « هـ . س فيلبى » يلقى ضوءاً على ذلك الاقليم الذى اخترقه فى رحلته الأخيرة من البحر الاحمر إلى المحيط الهندى

فقد مر فى طريقه بأرض سبأ التى لا يعرف من تاريخها إلا ما ذكرته التوراة والقرآن عن ملكتها الحكيمة الجميلة، وما كان لها مع سليمان من قصة مشهورة . ومن المؤكد ان تلك المنطقة الموحشة كانت عامرة فى عهد هذه الملكة بمدن كبيرة وقصور باذخة ، ما تزال أنقاضها مطمورة تحت الارض تنتظر من ينقب عنها فيميط اللثام عن حقبة باهرة في تاريخ الشرق القديم . ولكن مقاومة أعراب ذلك الاقليم لكل دخيل عليهم لم تمكن الجامعات والهيئات العلمية من ان توفد اليه بعوثا منظمة للحفر والتنقيب ، فظلت آثاره مجهولة حتى الآن

ومن المعروف فى كتب الجغرافيا وأطالسها أن ليس فى الجزيرة العربية كلها سوى نهر واحد ، ولكن فيلبي شاهد بعينيه فى تلك المنطقة وحدها ستة أنهار تنبع من قمم الجبال ولا يغيض ماؤها مطلقا



وقد أمضى أسبوعين فى نجران وهى أخصب واحة فى الجزيرة كلها ، ومع هذا لا يعلم عنها العالم الا قليلا ، ولم يطأها من الاجانب قبل هذا سوى فرنسى واحد زارها سنة ١٨٦٩ . وقد وجد فيها المكتشف الانجليزى أنقاض قلعة كبيرة تدل على أن ثمة آثار مدينة عظيمة

وسيكون لهذه الرحلة نتائج علمية مهمة ، فقد نقل كثيراً من الرسوم المنقوشة على الصخور والانقاض ، مما سوف يكشف عن كثير من النقط المجهولة فى تاريخ العرب ونشأتهم الأولى وعلاقات قبائلهم بعضها ببعض

جامعة فى سجن !

لا شــك فى أن العالم قطع أشواطا طويلة فى طريق المدنيــة برغم كل ما بقى فى حياتنا من نقائص . وحسبنا دليلا على هذا التقدم أن نقارن بين سجون الماضى التى ما زلنا نرتجف كلما قرأنا ما اقترف فيها من فظائع التعذيب الرهيبة ، وبين « سجن بريتوريا المركزى » فى جنوب أفريقيا الذى صار جامعــة يتلقى فيها سجناؤه مختلف العلوم والدراسات ليحصلوا على الدرجات العلمية الـكبيرة

خصص هذا السجن للمجرمين الأوربيين الذين يحكم عليهم بمدد طويلة ، فرأت ادارته أن من العبث ان يبقى نزلاؤه السنين تلو السنين بلا عمل يؤدونه ، سوى ان يعلموا مختلف وسائل الاجرام ، ورأت أن من الواجب أن تمكنهم من أن يستغلوا مدة سجنهم استغلالا علمياً يعود عليهم بالفائدة المادية والخلقية معاً ، فأباحت لفريق منهم أن ينتسبوا للجامعات العلمية ، وهيأت لهم وسائل الدراسة والاطلاع بطريق المراسلة ، بل سمحت لهم بالتردد على الجامعات والمعاهد المنتمين اليها تحت إشراف مدرس من مدرسى السجن

وقد اختــار هؤلاء السجناء لدراساتهــم موضوعات علمية قيمة ، سوف تفتح لهم فيما بعد أبواب الحياة الشريفة . فمنهم من حكم عليهم فى جرائم التزوير والاحتيال ، ومع هذا فقــد حصلوا على شهادات كبيرة فى ادارة الاعمال وشئون التجارة . ومنهم رجل حكم عليه بسبع سنوات ، فاستطاع فى بحر خمس منها ان يحصل على درجة بكالوريوس فى الآداب ودبلوم فى التعليم ورأى أن يستغل السنتين الباقيتين له فى السجن فى دراسة العلوم التجارية

ولا شك فى أن هذا النظام يفتح أمام السجين أبواب الامل فى مستقبل يعوض فيه ما فاته ، فمن السجناء هناك رجل حكم عليه بسبع وعشرين عاما لارتكابه جرائم القتل والسطو والسلب ، ومع هذا لم ييأس من مستقبله ولم يرض أن يضيع هذه السنين الطويلة هباء ، بل أكب على الدرس والتحصيل حتى نال شهادة البكالوريا ثم درجة عاليــة فى علم المناجم والهندســة الميكانيكية

ومن الغريب أن نسبة السقوط بين هؤلاء المسجونين قليلة جداً ، ومنهم من يتفوق تفوقا علمياً باهراً . وقد بدا فى أخلاقهم أثر العلم الحميد ، فصاروا أكثر طاعة للاوامر ومحافظة على النظام . وبذلك قوم السجن أخــلاقهم بلا عنف ولا عسف ، وهيأ لهم الطريق الى حياة صالحــة تكفر عن جرائمهم وخطاياهم

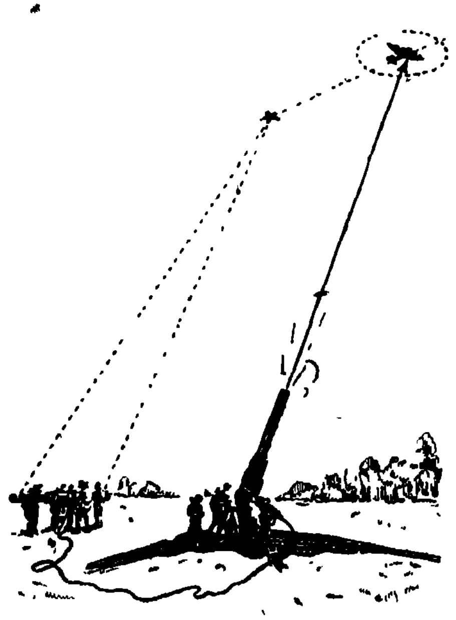
أما نفقــات التعليم فيقوم بها السجنــاء الميسورون ، أو تدفعها عنهم ادارة السجن ممــا يصلها من هبات المحسنين . وكذلك تساهم الحكومة فيهــا بجزء من الاموال المرصودة للخدمات الاجتماعية

وهنا يصح أن نتريث قليلا ، فقد يطمع سجناؤنا الممتازون ـ أى المثقفون ـ لا فى الانتساب الى الجامعة ، بل فى السماح لهم بمطالعة الصحف ، فيحرمون من ذلك ! وعندنا شبان راغبون فى العلم سائرون الى الرقى يريدون أن ينتسبوا إلى جامعتنا ، كما ينتسب سجناء أفريقية الجنوبيــة الى جامعتهم ، فتسد فى وجوههم الابواب . فما أكبر الفرق بيننا وبين الدول التي لا تعد راقية جداً !

لاسقاط الطائرات

الطائرة تجرّى بسرعة فائقة تبلغ ٢٠٠ ميل فى الساعة ، وعلى ارتفاع شاهق يجاوز خمسة أميال أو ستة ، وهى لا تسير فى طريق مستقيم بل تنحرف وتحاور يميناً وشمالا . فكيف يستطيع الجندى أن يصيبها بقنبلة يقدفها مدفعه الى هذا الفضاء الفسيح ؟

الواقع أن اصابة الطائرة بمثل هده الطريقة



يبين هذا الرسم كيف تلتق قذيقة المدفع بالطائرة المقصودة بفضل الجهاز المجاور للمدفع الدى يبين مدى ارتفاع الطائرة وسرعتها ، ويحدد المنطقة التى تبلغها الطائرة حين تصل قذيفة المدفع الى مستواها وينقل نتيجة هذا الحساب بسرعة فائقة الى المدفع فتتجه قنابله الى أهدافها بغير انحراف

ليس إلا أمر توفيق ومصادفة ، فلا يصح الاطمئنان اليه بينما الطائرة تصب الموت بلا هوادة على الرؤوس . . لهذا اخترعت أجهزة تزود بها المدافع المضادة للطائرات ،لتساعدها على أن تصيب قنابلها الأهداف المسددة اليها

والعملية التى تؤديها هذه الأجهزة هى (١) أن تحسب مدى ارتفاع الطائرة عن سطح الارض ومدى السرعة التى تنطلق بها فى الفضاء ، (٢) وأن تحدد ـ وفق هذا الحساب ـ النقطة التى سوف تصل اليها الطائرة فى اللحطة التى تصل فيها قذيفة المدفع الى المستوى الذى تطير فيه الطائرة . فادا قدرنا أن العمليـة الاولى تستعرق ١٠ ثوان ، وأن العملية الثانية تستعرق ١٠ ثوان أحرى ، وأن القنبلة تستعرق ٥ ثوان حتى ترتفع الى مستوى الطائرة ،كان المطلوب ادن معرفة النقطة التى تصل اليها الطائرة بعد مغادره موقفها الأول بهـذه الثوانى الخمس والعشرين

وعند دلك توصل هذه النتيجة النهائية الى الجهار الذى يوجه فوهة المدفع ، فتنطلق قنابله متجهة الى المكان الذى تلتقى فيه بالطائرة المقصودة ، أو تنفجر على مقربة منها . وحيث أن الطائرة لا تستطيع أن تغير اتجاهها فى ظرف عشرين أو ثلاثين ثانيه ، أى لا تستطيع أن تنحرف الى اليمين أو الى الشمال فى هذا الطرف القصير ، فمن المؤكد اذن أن تصيب القديفة الطائرة . ويلاحظ أن القنبلة حين تنفجر تقذف رشاشاً يصيب الطائرة ولو كانت تبعد عن موضع الانفجار بخمسة عشر متراً ، مما يجعل اصابة الهدف مضموناً الى حد بعيد

والمهم فى هـذا المخترع أنه يقوم بهذه العمليات الحسابية الدقيقة ، وينقل نتائجها من جهاز الى جهاز ، بطرق اتوماتيكية تدهش بسرعتها الفائقة وبدقتها التامة

الخطابات الناطقة

لم يعد عمل مكاتب البريد فى المانيا مقصوراً على نقل الرسائل ، بل تعداه الى نقل الاصوات كذلك . فبدلا من أن يكتب الانسان خطاباً بيده ، يذهب الى دار البريد حيث يملى رسالته فيسجل املاؤه هذا على اسطوانة كاسطوانات الجرامفون ، ترفق بثلاث إبر ويبعث بها الى المرسل اليه ، وبذلك يستطيع أن يسمع صوت صاحبه وهو يتحدث اليه . فاذا أرفقت هذه الاسطوانة بصورة فوتغرافية صار فى وسع البريد بهذه «الخطابات الناطقة» أن يؤدى ــ الى حد ما ــ مهمة التلفزيون ، وهى نقل المشاهد والأصوات معاً

لماذا نتعلم القراءة ؟

مانظن رأياً فى تعديل برامج التعليم بلغ من الجرأة والغرابة مبلغ هذا الرأى الذى ينادى به الدكتور آرثر ليحنشتين من أساتذة جامعة جون هو بكنز الامريكية ؟ فهو يرى أن قد آن الوقت لمعافاة بعض التلاميذ الضعفاء من تعلم القراءة ، لأننا نعيش فى عصر لا صبر علينا من أن نكون فيه أميين . . !

فكثير من المخترعات الحديثة قد سلبت « القراءة » بعض ما كان لها من أهمية كبيرة .

فهذا الراديو يصب فى آذاننا كل حين كثيراً من الانباء والمحاضرات

وهناك الآن مجلات يستطيع الأمي أن « يقرأها » جيداً لأنها ليست إلا مجاميع من الصور تشرح موضوعاتها وتروى قصصها بطريقة بينة واضحة . ومن المعروف أن الصحافة الحديثة تقلل كل يوم من كمية « السطور » لتزيد من كمية « الرسوم » ، وكثير من الصحف الراقية الرائجة لاتنشر سوى صور مذيلة بكلمات وجيزة قد يمكن الاستغناء عنها كذلك

وقد طغت السينما على الصحف والكتب طغيانا كبيراً ، حتى ليستطيع المرء أن يدرس الجغرافيا ويتعمق فى التاريخ دون ان يقرأ كتاباً واحداً فيهما ، اذا هو تابع ما تعنى شركات السينما باخراجه من المشاهد الجغرافية المفصلة ، والروايات التاريخية الدقيقة

بل لم تعد بنا حاجة الى أن « نكتب » رسائل الى أصحابنا وعملائنا ، بفضل الأجهزة الحديثة التى يملى عليها الانسان « رسائله » فتسجلها على اسطوانات يحملها البريد . وقد ذكرنا في النبذة السابقة أن هذه الاسطوانات بدأت تذيع فى البريد الالمانى

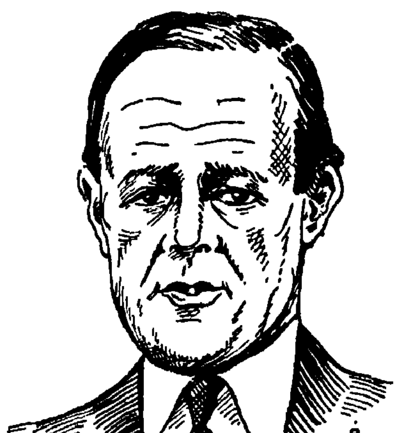
فلماذا اذن ــ كما يقول الدكتور ليحنشتين ــ نجهد التلاميذ الضعاف فى تعلم القراءة ، حتى لتضيع عليهم السنين الطويلة وهم يكافحون فى سبيل حل رموزها وطلاسمها ، وحتى لييأس الكثيرون منهم ويخفقون فى التعليم اخفاقا قد يقتل مواهبهم وملكاتهم ، مع أن القراءة فى هذا العصر ليست إلا « مادة » كسائر مواد الدراسة ــ فهل لو أخفق التلميذ فى مادة الجبر مثلا وجب أن يحكم عليه بعجزه عن التعليم كله ؟ كذلك الأمر فى القراءة ، اذا أخفق التلميذ فى تعلمها فلنعفه منها ، لأنه يستطيع أن يدرس ما يشاء من العلوم من غير أن يعرف كيف يخط خطاً . . !

الحركة الفكرية

العداء التقليدى بين المانيا وفرنسا

يعتقد المؤرخ الأشهر اميل لدويج في كتابه « الاتحاد المقدس الجديد » ان العداء ما يزال مستحكما بين المانيا وفرنسا، وأنه لا بد أن يفضى الى حرب أوربية جديدة

ومن أعجب ما يقوله اميل لدويج ان المانيا النازية لا تنشد التوسع ولا تطمح الى المستعمرات ولا تتطلع الى المواد الأولى ، بقدر ما تسعى لغسل العار الذى لحق بها فى « قاعة المرايا » عندما فرضت عليها معاهدة فرسايل عقب الهزيمة فى الحرب الكبري



اميل لدويج

فالمانيا تريد الثأر لشرفها لا بتحطيم معاهدة فرسايل فقط بل باسترداد مجدها العسكري أيضاً فى حرب جديدة تفرض فيها شروطها على المغلوب فى قلب باريس وفى نفس قاعة المرايا

ويؤكد لدويج أن الشعور بالمهانة والضعة سيظل متأججاً فى صدور الألمان حتى يفوز الجيش الألمانى فى حرب مقبلة

ولقد فاز الألمان بمنطقة الرين واحتلوا النمسا وسيطروا على بلاد السوديت ، ولكن دون حرب ، فلم تستطع هذه الانتصارات محو عارهم وتوكيد مجدهم العسكرى فى نظر العالم

فالعبرة لدى الألمان فى عرف لدويج ليست بالكسب دون حرب ، بل بالاشتباك في حرب يراد بها قبل كل شىء غسل عار الماضى والتغلب بوجه خاص على فرنسا التي ألحقت بهم هذا العار

وحى القصصيين

كيف يكتب كبار القصصيين ، وما هى مصادر وحيهم ، وهل هم يعتمدون على ملاحظة الواقع أو على مجرد التصور الخيالى ؟ هذه هى الاسئلة التى طرحها الأديب النمساوى «جراليك» على طائفة من أشهر الروائيين فى أوربا . واليك بعض ما سجله من آرائهم في كتابه الأخير « فن القصة »

قال الروائي الانجليزي هكسلى : « أنا لا أستوحي الحياة ، ولا أنقل فى قصصى شخصيات خبرتها فى الحياة ، بل أبدع اول الأمر افكاراً مجردة ثم البس هذه الأفكار هياكل انسانية أصورها باعتبار أنها رجع صدى تفكيري وثقافتى ، ثم أحاول ان أوفق بينها وبين مختلف الظواهر الفكرية والنفسية الشائعة فى طبيعة الانسان ، وهكذا أصل بينها وبين الحياة »

وقال الروائى الفرنسى جول رومان :

« انا اعتمد على ملاحظات مأخوذة عن الواقع أدونها فى كراسة لا تفارق جيبى . فمتى ملأت كراسة استعضت عنها بأخرى . ومن هذه الكراسات الحافلة بتجارب الحياة أستمد وحى قصصي، وأخلق شخصيات أبطالى، واندمج فى الصورة أو الحادثة التى أريد ان أرسمها »

وقال الروائى الامريكى تيودور دريزر :

« كلما أردت وضع قصة شعرت بأن لابد لى من احساس غريب بالرحمة يلهب قواى التحليلية ويدفعنى الى العمل ، ولذا فقد الفت التجوال فى أحياء العمال القصية حيث الفقر والجوع ، والمرض والذل ، والكفاح اليومى الباطل ، والعبودية النفسية المرة . ثمن هذه الأحياء استوحى فنى ، ومنها أستمد عاطفة الرحمة التى تضرم نار خيالى وتفعم تفكيرى بالنزعة الانسانية ، التى لا فن ولا جمال إلا بها »

وقال الروائى الشاعر الصينى هو ـ شيه :

« أنا لا استوحى الحياة الواقعة ، ولا أدون ملاحظات فى كراسات ، لأن مختلف صور الحياة وشتى افاعيل النفس البشرية ، احدها فى خيالى وأنثرها من ذاكرتى ، وأشعر بها ناشصة مختلجة فى أعماق قلبي ، فما على إلا ان احلس الى مكتبى وأتناول قدحاً كبيراً من القهوة ، وأطلق لخيالى العنان . وعندئذ أحس الخواطر والصور والألوان تفيض من عقلى الباطن وترتسم على الورق فتذهلنى وتبهرنى بما اشتملت عليه من صدق وجمال وحياة !

كيف تتخلص من الحب ؟

ينصح بعض الناس جماعة العشاق المعذبين ، بالفرار من المرأة تخلصاً من داء الحب . وهم يقولون ان البعد يشفى المحب من حبه ، ويتحول بأفكاره وعواطفه الى محيط آخر ، وهكذا تفنى العاطفة فى العمل وتجرفها الايام وتلقى بها فى جوف الزمن

ولكن الباحث الأخلاقي الفرنسى (اتيين ريه) يستخف بهذا الرأى ، ويقترح علاجاً آخر غريباً . فهو يرى انك لن تستطيع الشفاء من الحب بهجرك المرأة التى تحب ، إلا إذا كان فى مقدورك الشفاء من الظمأ بهجر الماء . وعليك فى عرفه ان تتخذ الطريق المعكوس ، وان تحاول جهدك الاتصال بالمرأة التي تهوى ، وأن تتقرب اليها وتذلل مختلف العقبات فى سبيل رؤيتها أو التحدث معها أو الانخراط فى سلك المجتمع الذى تعيش فيه . وقد يؤلمك هذا ، ولكن شفاءك فيه ، لأن اقبالك على المرأة هو الذى يستهلك قوى حبك ، ويستنفد قوى خيالك ويفتح مغاليق بصرك ، ويهديك شيئاً فشيئاً الى رؤية نقائصها بعقلك ، وهكذا تفهم حقيقتها وتتحرر منها وتنسى ما احتملته من ذل وعذاب

هذا هو رأى الباحث الفرنسى ، وهو فى جوهره صحيح ، ولكن العمل به يتطلب قوة خارقة فى احتمال العذاب الذى تحدثه رغبة الاتصال الدائم بالمرأة ، وليس الناس جميعا أقوياء

تفوق الفاشزم على الاشتراكية

لماذا تفوقت الحركة الفاشية أو النازية على الحركة الاشتراكية وسلبتها أنصارها وتوطدت فى دولتين كبيرتين مثل ايطاليا والمانيا ؟

يجيب عن هذا السؤال المفكر الانجليزى ريتشارد . ج . روبنسون في كتابه الاخير (الفاشية والاشتراكية) بقوله : « إن الفاشية انتصرت لأنها خاطبت عواطف الجماهير، وألهبت

فى صدورها حاسة الكبرياء الوطنية ، وأحاطت نفسها بمشاهد عسكرية مسرحية أثارت اعصاب العامة . أما الاشتراكية فلا قمصان لها ولا شكات عسكرية ولامشاهد تمثيلية ، وهى فى لبها مذهب مادى محض لا يخاطب العاطفة بل العقل ، ولا يثير الحماسة بل التفكير وانعام النظر

فالفاشية استطاعت أن تخاطب شعوباً بأكملها ، أما الاشتراكية فلم تفلح إلا في التأثير فى طبقات معينة لها فيها مصلحة مادية مباشرة . ولن تنجح الاشتراكية إلا متى بسطت وركزت فى تعاليم عاطفية وابتكر زعماؤها بعض مشاهد مسرحية يمكن ان تثير فى الجماهير خصائص الدهشة والحماسة والاعجاب

الحب والموت والفن

من أبدع القصص الحديثة التى أخرجها الروائى الانجليزى تشارلز مورجان قصة (سيركبروك) . وفى هذه القصة يتحدث الكاتب عن الحب والفن والموت ،حديثاً مبتكراً رائعاً فيقول : « ان أوجه الشبه عظيمة بين هذه القوى الثلاث ، فالحب هو تسجيل لموت الشخصية البشرية الجثمانية وبعثها فى عالم لا يمت الى الواقع بسبب ، والفن هو تسجيل لجمال المرئيات وجمال النفوس فى أعمال عظيمة يصاب فيها الجمال الظاهرى بالموت توطئة لبعثه فى عالم خيالى روحانى لا يمت الى الواقع بصلة ، وأما الموت فهو كالحب وهو كالفن ، قوة تخلع عن الانسان ثوبه المادى وتبعثه فى عالم روحانى لا يمت أيضاً الى الواقع بأى سبب »

فالحب والفن والموت هى فى عرف الروائى قوى الخلاص والتحرر والانطلاق من ربقة المادة الى فسحات الروح . فكل من أحب يحس فناء شخصيته الظاهرية ، ويحس أنه يبعث الى عالم جديد . وكل من ابتدع عملا فنياً أو أعجب بعمل فنى يحس أنه يودع الدنيا ويشرف على الابد . وكل من مات يحس أنه يخرج من حلم الى يقظة نورانية خالصة من مرهقات المادة ومطالب الجسد . فكأن الحياة الكبرى فى رأى تشارلز مورجان هى تلك التى يعيشها العشاق والفنانون ولا نشعر نحن بها إلا بعد أن نموت أو فى ساعة الاحتضار ! . .

الدولة والثقافة

أصدر المفكر الألماني «أرتورفون فوكنر» وهو أحد الادباء الاحرار الذين هجروا وطنهم بعد قيام حكومة النازى ، كتابا بالعنوان المتقدم حاول فيه عرض الأسباب التى جعلت من الالمان شعباً يدين بمبدأ القوة وينشد السيادة والتوسع . ومما ورد فى كتاب فوكنر قوله : « ان علة العلل فى تاريخ المانيا الحديث هى الفصل بين شئون الثقافة وشئون الدولة

«ورجال الدولة يكرهون المثقفين من أحرار الفكر ، ويعتقدون ان الثقافة الواسعة لا تتفق وشخصية رجل الدولة ، وان مهمة الحكم يجب ألا يعهد بها إلى المفكرين ، بل الى رجال الجيش

«وعندهم أن الفضائل العسكرية أى ـ النظام والطاعة وتجنب المناقشة والجدل ـ هى المثل الأعلى . أما فضائل الفكر الحر ـ أي الاستقلال والنقد والاشراف على أعمال الحكومة ، فهى رذائل تفكك مجموع الأمة ، وتجرده من نزعة القوة وارادة التفوق

« ولقد كانت هذه الآراء شائعة أيام بسمارك وغليوم الثانى ، فاعتادها الشعب وآمن بها ، فلما قام الحكم الجمهورى فى المانيا عقب الحرب الكبرى ، أحس الشعب ان هذا النظام دخيل عليه ، ولهذا السبب لم يكد المارشال هندنبرج يعلن ان هزيمة الالمان فى الحرب كانت نتيجة خيانة الأحزاب الديموقراطية والاشتراكية ذات العناصر اليهودية البارزة ، حتى اغتبط الألمان بهذه الفكرة ، وعادت النزعة العسكرية تضطرم فى صدورهم ، مما سهل على جماعة النازى اقتحام الرأى العام الالمانى والاضطلاع بشئون الحكم

« فرجل الفكر الهادىء المتزن الرصين يعد فى المانيا غير صالح للحكم. ولابد ان يكون عسكريا، أو ممن يقدسون فضائل الجيش كى يفوز بحب الشعب واخلاصه »

وصفوة آراء فوكنر ، هى ان الانتصارات التى أحرزها العسكريون الألمان على النمسا وفرنسا والتى أسفرت عن تحقيق الوحدة الألمانية ، قد ألقت فى روع الشعب ان الثقافة شىء وأساليب الحكم شىء آخر ، وان من مصلحة الشعب إقصاء المفكرين عن الشئون العامة وتسليمها للعسكريين

وهذا هو السر فى ان الشعب الالمانى لم يغضب أبداً لتقييد حرية الفكر ، ولم يقم بأية ثورة كبيرة فى سبيل هذه الحرية

كل مجنون فنان

أثبت العالم الفرنسى « حورج لوازون » وهو من كبار أطباء الامراض العقلية أن كل مجنون فنان . وقد تناول هذه النظرية بالبحث والتحليل فى كتابه الأخير « الجنون وفن الجمال »

ويرى هذا العالم أن الفكرة الثابتة التى تحتل ذهن الانسان وتطغى على سائر أفكاره وتؤدى به الى الجنون ، يمكن أن تصدر عنها بعض أعمال ذات قيمة فنية لا شك فيها . وقد عرض المسيو لوازون فى كتابه طائفة من الصور رسمتها طائفة من المجانين ، فجاءت أمثلة رائعة من الجمال

وتمتاز هذه الصور بخيال واحد ينبع من الفكرة الواحدة التى تسيطر على عقل المجنون

فهذه الفكرة التى تركزت فيها خصائص الجنون العقلية ، تتمثل فى الرسوم بدقة غريبة يعجز عن تأديتها أمهر الفنانين

ويعتقد المسيو لوازون أن المجنون يجد عزاء كبيراً فى عمله الفنى . وقد لاحظ عدداً من المجانين كانوا يرقصون فرحاً كلما رسموا بضع صور على لوحة ، أو خططوا رسوما على الارض أو على الجدران

ففرحهم يشبه فرح الفنان بانتاجه ، ويفضى آخر الأمر الى شىء من الراحة والهدوء

ويذهب العالم الفرنسى الى أبعد مما تقدم فيؤكد أن كل مجنون فنان ، وان فى تصرفات كل مجنون وأعماله مظاهر فنية تعبر أتم تعبير عن بعض جوانب النفس البشرية فى اطار خيالى قد تشوبه الفوضى ولكن العين الملاحظة تلمح فيه بارقة من حقيقة تومض فى جو من الشعر والجمال

الكتب الجديدة

مروج الذهب ومعادن الجوهر

للمسعودى فى أربعة أجزاء كبيرة

مطبعة دار الرجاء بدمشق

ان الاتجاه صوب الثقافة الاوربية لا يغنى الاديب العربى عن ثقافته الأصيلة التى لا بد من اقترانها فى ذهنه بروائع التفكير الحديث ، كى تنمو فى العقل الشرقى خصائص مستقلة مبدعة

والواقع ان إحياء الصالح من الأدب العربى القديم هو واسطة تحقيق هذا الغرض الأسمى

وقد أدرك ذلك الأستاذ محمود حلمي صاحب دار الرجاء للطبع والنشر في دمشق ، فاهتم بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى وأعاد طبعه فى حلة أنيقة وثوب قشيب

والمسعودى هو على بن الحسين بن على من ذرية عبد الله بن مسعود ، نشأ فى بغداد وجاء مصر ، وجال ابتغاء طلب العلم فى بلاد فارس وكرمان عام ٣٠٩ ﻫ ثم رحل إلى الهند والصين وطاف البحر الهندى إلى مدغشقر ثم عاد إلى عمان ، ثم سافر إلى الشام وفلسطين وانطاكية، واستقر آخر الأمر فى مصر

ولم ينفك المسعودى فى أثناء رحلاته عن البحث والاستقصاء فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه أحد من أهل عصره

وأشهر تآليفه مروج الذهب وقد وصف فيه الخليقة واختصر قصص الانبياء ، ووصف البحار والأرضين وما فيهما من عجائب ، وعرض لتاريخ الأمم القديمة كالفرس والسريان واليونان والرومان والفرنجة والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم ، ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي عليه الصلاة والسلام إلى مقتل عثمان ، ثم تطرق إلى تاريخ الاسلام نفسه من خلافة على إلى أيام المطيع لله العباسى

فأنت ترى مما تقدم مبلغ أهمية الكتاب ووجوب العناية بنشره وترويجه بين شعوب العربية . وهذه هى المهمة التى اضطلع بها الأستاذ محمود حلمى على خير وجه مستطاع بمساعدة الأديب الكبير الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد الذى راجع أصول الكتاب ، ورقم وضبط مبهمه وعلق عليه ، فجاء غرة خالصة من غرر الأدب العربى الخالد

رسالة التوحيد والاسلام والنصرانية

بقلم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

طبع دار المنار بمصر

رسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أشهر من ان تعرف للقراء ، فهي بحث مستفيض فى العقائد والوحي ووظائف الرسل عليهم السلام ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والدين الاسلامى والاسلام

وقد استهلها الأستاذ الامام بفصل فى تعريف علم التوحيد ثم تدرج إلى البحث فى علم العقائد، فمذاهب الفلسفة فى الاسلام ، ثم تطور الى دراسة الحقيقة من الوجهة العقلية ودراسة الجوهر الفرد ، ثم انتهى إلى بحث روح الاسلام وما

تنطوى عليه من عدل ورحمة وحرية وتسامح

ومما يجدر بالذكر ان هذه الرسالة الفريدة قد نقلت الى مختلف لغات العالم ، وترجمت منذ سنوات عدة الى اللغة الفرنسية ترجمة جديدة أحرزت شهرة واسعة فى فرنسا وعززت مكانة الاسلام فى العالم الغربى

وقد طبعتها دار المنار الطبعة الثامنة مصدرة بجدول منظم ومعلقا عليها بقلم المغفور له السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار

وأما كتاب (الاسلام والنصرانية) ، فقد أعادت طبعه دار المنار أيضاً ، وهو دائرة معارف إسلامية رد فيها المؤلف على كثير من الشبهات التى ألصقت بالدين الاسلامي كما بين حقيقة هذا الدين وخدمته للعلم والمدنية ، وقارن بينه فى ذلك وبين المسيحية ، مع ذكر نبذة تاريخية لكل منهما ، ثم عطف على حال المسلمين الحاضرة وبحث عللهم وأمراضهم الاجتماعية كما وصف علاجها

وليس شك فى ان دار المنار قد أسدت باعادة طبع هذين السفرين العظيمين ، أجل الخدمات للاسلام والمسلمين

نهضة العرب

« THE ARAB AWAKENING »

للاستاذ جورج أنطونيوس

لا تستطيع إذ تفرغ من مطالعة هذا الكتاب إلا أن تعترف بفضل مؤلفه ، وبأنه جدير بأن يحتل مكانه فى الصف الأول بين كتاب التاريخ ، ليس للمجهود الذى بذله فى وضعه باللغة الانجليزية فقط ، بل لأنه مؤلف أول كتاب من نوعه يعرض لهذه الناحية من نواحى التاريخ الحديث ، التى ما تزال مع الأسف مجهولة لكثيرين حتى من المهتمين بالمسألة العربية من الساسة ومن المؤرخين على السواء

فى أكثر من سبعين وأربعمائة صفحة من الحجم المتوسط سجل الاستاذ البحاثة « جورج أنطونيوس » تاريخ الحركة القومية فى العالم العربى فى خلال الأعوام المائة الاخيرة حتى اليوم ، أي منذ بدأت فكرة « العروبة » و « الوحدة العربية » فى الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، وحرص على أن يضع تحت أنظار قرائه صورة صادقة لنهضة العرب فى هذه الحقبة من التاريخ ، صورة لا تقف عند حد سرد الوقائع والحوادث ، وانما تتعداها الى تحليل ما أحاط بكل هذه الحوادث من الظروف والملابسات ، وما انتهت اليه من نتائج وتطورات ، متوخياً فى ذلك من الدقة وسلامة القصد كل ما يجب على المؤرخ المنصف أن يتوخاه ...

وتزداد قيمة هذا الكتاب النفيس فى نظر قارئه عند ما يلمس الجهد الذى بذله المؤلف فى وضعه ، فلم يكتف بالاعتماد على ما وصل الى يده من المصادر العربية أو الاوربية التى يستطيع أن يحصل عليها وهو جالس الى مكتبه أو فى منزله ، بل أبى إلا أن يشد رحاله الى مختلف البلدان العربية والاوربية باحثاً منقباً عن كل ما يتصل بهذا الموضوع الذى تناوله فى كتابه . حتى جاء « نهضة العرب » وصفاً صادقا وصورة ناطقة لنهضة العرب . خصوصاً وقد حرص المؤلف على تدعيم كتابه بالاسانيد والوثائق التى تساعد المشتغلين بالمسألة العربية على أن يتفهموا الموقف الحاضر فى العالم العربى على حقيقته ، سواء فى شبه جزيرة العرب أو سورية أو فلسطين أو العراق . وتساعد بعبارة أخرى على

حل ما يواجه الشرق العربي فى هـذه الآونة من مشاكل نرجو أن يوفق الساسة الى حلها

صقر قريش

للاستاذ على ادهم

مطبعة المقتطف فى ١٣٠ صفحة

يعرف قراء الهلال الاستاذ على أدهم حق المعرفة فهو من أغزر الشبان المصريين ثقافة ومن أوفرهم نشاطاً ومن اوسعهم اطلاعا على مختلف التيارات الفكرية الأوربية ولا سيما فى دائرتى التاريخ والفلسفة

ومن خصائص الاستاذ على ادهم تفوقه الملحوظ فى الجمع بين ثقافتي الشرق والغرب، فهو كلف بتاريخ العرب والاسـلام ، ولوع بالتفكير العربى الاسلامى ، يـبذل قصاراه فى التوفيق بين خلاصة الروح العربية وصفوه الفكر الاوربى

والواقع ان هذا الاديب الفاصل من اقدر المصريين على فهم الفلسفة الاوربية والتحدث عن « هيجل » او «كانت » او«رينان» حديث عارف خبير . ولقد سبق له ان نقل (محاورات رينان الفلسفية) الى اللغة العربية ، فجاءت مثلا يحتذى فى دقة الترجمة وروعة الاسلوب

وها هو دا اليوم يصدر كتابه الجديد عن صقر قريش عبد الرحمن الداخل مؤسس أكبر دولة اسلامية عرفتها اسبانيا

ويمتاز هذا الـكتاب بتوافر عناصر التاريخ وعناصر فن القصة فيه . فهو دراسة تاريخية صادقة الاخبار صحيحة الوقائع ، وهو قصـة شائقة مؤلفة من شخوص حية صب عليها المؤلف من ضوء تحاليـله النفسية ما كشف عن خفى عواطفها ومكنون احساساتها وميولها . وأما بطل القصة عبد الرحمن الداخل فقـد صوره الاستاذ على أدهم فى شجاعته وقسوته ، وفى دهائه ورقته ، وفى ارادته وعزمه ، وذلك من خلال الحوادث التاريخية التى امتاز بها عصره

وقد استهل المؤلف كتابه بفصل تمهيدى عن معيار البطولة وأثر الجماعة والافراد فى توجيه حركات التاريخ ، ثم تطرق الى تحليل شخصية عبد الرحمن الداخل من الجانب السياسى ، ثم تحدث عن نزعاته الفنية ، ثم انتهى بفصل تمجيدى اشاد فيه بعزيمة بطله وقدرته الخارقة على فرض ارادته على عصره وطبع هدا العصر بطابع عبقريته

ولقد ابرز المؤلف هـذه الصورة الكاملة ومختلف الصور التي احاطت بها ، فى عبارة واضحة جزلة بليغة تجمع الى دقة التحقيق العلمى. فتنة الخيال الشعري وجلال التصوير الروائي

وفي وسعنا ان نقول ان الاستاذ على ادهم اتخذ من التاريخ أداة لابتداع عمل فنى حميد ، اسوة بما يقوم به في الغرب امثال اميل لدويج ، واندريه موروا، وجون دركووتر ، واضرابهم

فالتاريخ فى كتاب (صقر قريش) يختلج حرارة وحياة ، ونحن إذ نطالعه نعيش فى الماضى اضعاف ما نعيش فى الحاضر وتلك هى قدرة الاديب الفنان

الأنظمة الجمركية

لحماية المنتجات الوطنية

للاستاذ كمال حداد

لنظام الجمارك فى عصرنا أهميـة عظيمة وتأثير كبير فى ازدهار البلاد وتقدمها . فهو بمثابة الحجر الأساسى فى بناء صناعاتها وتقوية زراعتها وانماء تجارتها وتحسين أحوالها الاجتماعية

والسياسية بما يدر على الميزانية العامة من الأموال التى تجبى من الضرائب بصورة غير مباشرة

وقد اهتم المؤلف الفاضل ببحث الأنظمة الجمركية وفرض الرسوم بنسبة القيمة أو نوع البضاعة ، وأفرد فصلا مستقلا لدراسة أساليب حماية الانتاج الوطنى كنظام تحديد الواردات أو ربط الواردات بالصادرات من طريق التبادل ، ثم انتهى بفصل ممتع عن الاتحاد الجمركي بين البلاد العربية وفوائده

وقد استند فى كتابه إلى بحوث طائفة من كبار علماء الاقتصاد والمال كباريتو وجيد وداوسون وغيرهم . ومما لا يقبل الريب ان الكتاب جدير بان يطالعه كل أحصائى وكل مستنير

مجموعة شعر فرنسية

بقلم الأستاذ رياض المعلوف

طبع باريس فى نحو ٥٠ صفحة

يمتاز شعر الأستاذ رياض المعلوف بخيال متقد وعاطفة رقيقة وقدرة على ملاحظة أدق صور الحياة . وهو إلى ذلك بسيط الأسلوب واضح الأداء جزل التعبير ، ينم عن بساطة نفس الشاعر وصفاء قلبه وخلوص سريرته

وأبدع مقطعات هذه المجموعة (العبرة) و (الموعد) و (دموع شمعة) و (الحنان) و (خيبة الأمل) ، وفيها جميعاً يحس القارىء تلك العذوبة الشرقية الصادرة عن الفطرة البدائية الساذجة ، تسرى فى أنغام القصيد وتتخلل الالفاظ والتعابير الفرنسية ، فتضفى عليها حلة طريفة شائقة

والأستاذ رياض المعلوف يجيد اللغة الفرنسية كما يجيد لغة وطنه ، وله بالعربية دواوين شعر تضعه فى مستوى كبار الشعراء المجددين . وها هو ذا يحمل إلى اللغة الفرنسية نسمة من وحى الشرق وروحه وايمانه العميق بالحق والخير والجمال

أمثال سليمان

بقلم الاستاذ مراد فرج المحامي

مطبعة صلاح الدين بالاسكندرية فى ٣٣٠ صفحة

هذا الكتاب هو شرح وتفسير لأمثال سليمان الحكيم نظمها الاستاذ المؤلف شعراً ، غير قليل منها لم يسعه البيت الواحد فأكمله بآخر من عنده كى يستقيم المعنى فى أسلوب عربى فصيح

وقد رجع المؤلف فى شرحه وتفسيره الى مصنفات المفسرين العبريين أمثال (راشى) و (مصودة داود) و (مصودة صيون) وحاول أن يوفق بين النص العبرى وما يقابل هذا النص باللغة العربية

وأما الأمثال نفسها فتدور حول موضوعات أهمها الحكمة وتقوى الله وطاعة الوالدين وأدب التقاضى والنهى عن الرشوة والظلم ، وما الى ذلك من الحكم الغالية والمعانى السامية التى تدل أبلغ الدلالة على أن حياة سيدنا سليمان كانت زاخرة بالتجارب يشرف عليها عقل فيلسوف وذهن مفكر وخيال شاعر صوفى متأمل عظيم

أسرار التنويم المغناطيسى

بقلم الاستاذ بيومي عبد القادر

مطبعة العلوم بالقاهرة فى ١٣٠ صفحة

للتنويم المغناطيسى طرق كثيرة مهما تنوعت أساليبها فهى مبنية على الاعتقاد بالنوم . فعلى ضوء نظرية العقل الباطن نرى أن أساليب التنويم ليست إلا خططا مختلفة يلجأ اليها

المنومون لتهدئة العقل الواعى أو الظاهر فى الشخص المراد تنويمه واستغلال عقله الباطن

وقد شرح المؤلف شتى أساليب التنويم كاسلوب (مسمر) و (جمس بريد) و (شارل ريشيه) وأضرابهم . كما تحدث عن قدرة الانسان على تنويم نفسه وتنويم الحيوانات واستخدام أساليب التنويم فى معالجة الامراض العصبية كالهستيريا والجنون

والكتاب حسن التبويب واضح العبارة يقرب هذا العلم التجريبى الى أفهام سواد القراء

إنشاء مصنع مصرى
لصناعة الأجهزة اللاسلكية

بقلم الأستاذ السيد محمد مدكور

طبع بمصر فى نحو ٣٠ صفحة

هذا الكتاب هو صورة تقرير وضعه الأستاذ السيد محمد مدكور الحائز لدبلوم الكهرباء لتأسيس مصنع وطنى لعمل الأجهزة اللاسلكية

ويرى المؤلف ان من الميسور انشاء هذا المصنع على أن تقوم ادارته أول الأمر بشراء التصميمات والأجزاء من الجهات المختصة ، ثم تخرج منها جهازاً معداً للاستعمال . ثم تتدرج الى صنع الاجزاء محلياً ، وهكذا تستغنى عن الوارد

ويقدر الأستاذ مدكور عدد المستهلكين فى القطر المصرى بنحو ٤٠٠٠٠ ، فاذا كان عمر الجهاز يتراوح بين أربع سنوات وخمس سنوات كان عدد الاجهزة المطلوبة سنويا يزيد على ١٥٠٠٠ جهاز . وهذا القدار يغرى بانشاء مصنع محلى ، مع ملاحظة امكان إضافة بعض الاسواق الخارجية لاستهلاك الاجهزة المصنوعة بمصر

وقد أشار المؤلف إلى مستلزمات المصنع ووضع تصميمه ورفع التقرير إلى وزارة التجارة والصناعة فوعدت بدراسته والنظر فيه

فعسى ان تهتم الوزارة بهذا المشروع فالبلاد قد نهضت وأصبح لا غنى لكل أسرة مصرية عن جهاز لاسلكي ، بل لقد أصبح هذا الجهاز أداة رئيسية تنقل الحضارة إلى كل بيت ، فالاهتمام بانتاجه انتاجا محلياً ، يرفع مستوى الحياة الاجتماعية فى مصر ويعود على الحكومة بربح وافر ويمكنها من تشغيل عدد كبير من العمال المتعطلين

المجلة الرسمية للبوليس المصرى

العدد الاول طبع بمطبعة النصر بالقاهرة فى ١٠٠ صفحة

أنشئت هذه المجلة الرسمية لتكون صلة ورابطة قوية بين رجال البوليس فى مختلف أنحاء القطر ، يسجلون فيها آراءهم وبحوثهم ويتعودون إبداء الرأى الصريح والملاحظات الدقيقة فى كل ما يصادفهم فى حياتهم العملية من حوادث غريبة ومشكلات تتعلق بالأمن العام ومكافحة القوى الاجرامية فى المجتمع

والعدد مصدر بكلمة رائعة لمدير المدرسة ، وفيه بحوث شائقة أهمها (علاقة الشعب بالبوليس) للاستاذ محمود أبو النجا ، و (فن تحقيق الشخصية فى أعمال البوليس) للاستاذ رياض داود ، و (التنكر الحديث) للاستاذ احمد منيب ، و (رجال الأمن وأساليب اختيارهم وتدريبهم) للبكباشى على حلمى

ولا شك فى أن هذه المواد الطريفة لا يفيد منها رجال البوليس فقط ، بل كل قارىء مثقف مستنير يدرك ان إقرار الأمن فى بلد من البلدان هو العامل الرئيسى فى تحضر هذا البلد ورقيه

بين الهلال وقرائه

المسلمون فى روسيا

(القاهرة ـ مصر) عبد الوهاب مظلوم

كم يبلغ عدد المسلمين فى روسيا ؟

(الهلال) آخر احصاء بين يدينا ، وقد وضع منذ خمس سنوات ، يقدر عدد المسلمين في روسيا بنحو ٣٠٠،٠٠٠ ـ أما عدد المسلمين فى أنحاء الجمهوريات السوفيتية فيبلغ ١٧،٧٢٥،٠٠٠ موزعين هكذا :

٥،٦٩٠،٠٠٠ فى روسيا وسيبريا، ٢٩٥،٠٠٠ فى القوقاز ، ٦،٠٠٠،٠٠٠ فى بلاد اربك وداغستان ١،٦٠٠،٠٠٠ فى بلاد التركمان ، ١،٠٠٠،٠٠٠ فى أذربيجان، ٣٠٠،٠٠٠ فى جورجيا، ١٨٧،٠٠٠ فى القرم ، ٧٤٧،٠٠٠ فى بخارى

تجديد الشباب

(طنطا ـ مصر) السيد محمد سالم

لماذا يتجدد شباب المسنين والضعفاء إذا حقنوا بغدد القرود ؟ ولماذا لا تتخذ غدد الخيول او الثعابين، مادامت الاولى أقوى من القردة جسما ، والثانية أطول منها عمراً ؟

(الهلال) الاجابة عن هـذا السؤال تستدعى كلمة وجيزة عن سبب الشباب ومنشأ الشيخوخة ، فالجسم يتكون من ملايين الخلايا التى تتوالد وتتناسل منذ بدء الطفولة ، وفى أثناء ذلك تحل الخلايا الحديدة محل أمهاتها القديمة ، فيستمر الجسم فى النمو الى حين . ثم تضعف خلاياه وتقصر عن التوالد والتكاثر ، فيبدأ دور الهرم والضعف الذى ينتهى الى الموت . وتجدد خلايا الجسم يتوقف على عمل الغدد الصماء ، فان كانت تنتج افرازاتها بانتظام ظلت الخلايا قادرة على التوالد محتفظة بقوتها ونشاطها ، أما إن ضعف نظام إفرازاتها فان الخلايا تضعف يوما بعد يوم حتى يجمد بعضها ويتصلب فتطعيم الجسم بغدد القرد ينشط الغـدد الصماء ويقويهما ، كى تستطيع أن تخلق خلايا جديدة نشطة تحل محل الخلايا القديمة الضعيفة . وتؤخذ هذه الغدد من القرد ، أو من الشمبنزى على الاصح ، لأن دمه أقرب انواع الدماء كلها الى دم الانسان كما أن هذه الغدد أوفر حيوية من سائر الغدد

الفيل الأبيض

(بيروت ـ لبنان) مشترك

هل توجد فيلة بيضـاء اللون ؟ وأين تعيش هذه الافيال ؟ وهل يوجد منها فى حديقة الحيوان المصرية المشهورة ؟

(الهلال) تعيش فى بعض غابات سيام والهند فيلة بيضاء اللون . ولـكنها ليست ناصعة البياض ، وكلما تقدمت فى السن زايلها هـذا اللون ومالت الى السمرة حتى تصير قريبة الشبه بالفيلة المعروفة

وأهل سيام يعبدون الفيلة البيضاء ، وهم يجدون فى البحث عنها شهوراً وأعواما ويقيمون لها الحفلات الدينية الكبرى التى يحضرها الملك والأمراء ورجال الدين . والفيـل الابيض نادر الوجود ، وقد خلت منه حدائق الحيوان بالجيزة

هل للحيوان ضمير ؟

(بغداد ـ العراق) مشترك

هل للحيوان ضمير يؤنبه إذا فعل شراً ، ويريحه إذا أدى خيراً ؟

(الهلال) الضمير قوة غريزية تقتضيهـا حياة الاجتماع . لأن مهمة الضمير

(١) إما أن يصد الفرد عن عمل يخالف القوانين الوضعية أو الخلقية التى يسير عليها المجتمع .

(٢) وإما أن يدفعه الى عمـل يراه حقاً سواء أرضى الناس أم أغضبهم ، وسواء وافق القوانين أم خالفها . . .

وما دامت الحيوانات تعيش كما يعيش النـاس فى

جماعات لها أوضاع مرعية وعادات مألوفة ، فلا بد أن يكون أفرادها على نصيب من هذه القوة الغريزية التي تدفعها الى أن تفعل ما يتسق مع حياة الجماعة . وكلما كان روح الاجتماع قويا في فصيلة الحيوان كان حظها من الضمير اكمل وأوفى ، فالحيوانات الاجتماعية هي أقوى الحيوانات ضميراً . أما الحيوانات التي لا تعرف الحياة الاجتماعية فمن المعقول أن تكون ضعيفة الضمير أو محرومة من هذه القوة الغريزية التي تصد عن الإضرار بالفرد والجماعة . وهل يعقل أن يكون للدود ضمير ؟ !

ويلاحظ أن أثر الضمير مقصور على أفراد الجماعة الواحدة ، فضمير الذئب قد يمنعه من أن يؤذى ذئباً مثله ، ولكنه لا يمنعه من أن يغتال السخلة أو شاة ، كما أن ضمير الانسان يصده عن أن يقتل انسانا مثله ، ولكنه لا يؤنبه حين يقتل وحشاً أو حشرة

كتب في الاخلاق

(بغداد — العراق) ومنه

. ماهي أهم الكتب العربية ، الحديثة والقديمة ، التي وضعت في علم الاخلاق ؟

(الهلال) أهم كتاب ظهر بالعربية في علم الاخلاق كتاب أرسطو العظيم الذى ترجمه الاستاذ العلامة احمد لطفي السيد باشا ، فهو عمدة الباحثين في هذا العلم قديماً وحديثاً في الشرق والغرب . وللاستاذ احمد امين كتاب نفيس اسمه « كتاب الاخلاق » لخص فيه أصول هذا العلم وقواعده . وقد ترجم الاستاذ محمد الصادق حسين كتاب « صمويل سميلر » في الاخلاق ، وهو من الكتب التي تلذ وتنفع مطالعتها . ومن الكتب القيمة في هذا الموضوع كتاب « دراسات في الاخلاق » للاستاذ يعقوب فام

ولفلاسفة المسلمين وكتابهم كتب قيمة في علم الاخلاق ، أشهرها :

(١) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه
(٢) احياء علوم الدين للامام الغزالي
(٣) أدب الدنيا والدين للماوردى
(٤) الادب الكبير ، والادب الصغير لابن المقفع

ثقافة الاطفال الجنسية

(القاهرة — مصر) والد

يرى المربون الحديثون أن الوالد مكلف بأن يشرح لابنه مسائل الحياة الجنسية . ولكن (١) هل يحسن أن يبدأ الوالد تعليم ولده هذه الامور حين يبدأ دور المراهقة أو قبل ذلك ؟ (٢) وهل يشرح لابنته هذه المسائل أو يتركها حتى يتولاها زوجها فيما بعد ؟

(الهلال) نذكر ان مجمعاً من مجامع العلماء والأطباء الكبرى قرر أنه يجب أن يبدأ الطفل فهم مسائل الحياة الجنسية وهو في عامه الأول . فيستصحبه أبوه أو أمه الى الحمام ليراهما عاريين . ويتدرجان معه في إفهامه حقائق هذه الحياة مشروحة شرحاً علمياً دقيقاً ، مع مراعاة ما ينبغي لهذا الشرح من الجد والوقار والاحترام . حتى إذا جاء دور المراهقة كان الصبي على بينة من هذه الظواهر التي تنتابه ، وكان حريصا على أن ينظر الى الأمر نظرة صالحة سامية تقيه أضرار الجهل والانحراف . أما بعد أن يبدأ دور المراهقة ، فيجب أن يشرح الأب لابنه جميع التفاصيل الجنسية شرحا مبسطا ، وأن يهيء له الوسائل التي تمكنه من أن يحافظ على صحته وذهنه وخلقه

ويجب أن يثق الآباء بأن البنات — كالابناء — في مسيس الحاجة الى تفهم الاسرار الجنسية ، لأنهن معرضات لجميع الاخطار التي يتعرض لها اخوتهن ، وهن مع هذا أضعف منهم عن مقاومتها وأسرع الى الوقوع في شراكها . ولكنا نرى أن بيئتنا لا تساعد الاب على ان يتولى بنفسه أمر تثقيف ابنته ثقافة جنسية واضحة ، وأن الاصوب ان تقوم أمها بهذه المهمة ، على أن تستقي معارفها من الكتب والصحف الخ

مؤلفات الاستاذ العقاد

(سان باولو — البرازيل) ابراهيم خازن الايوبي

ما هي مؤلفات الاستاذ عباس محمود العقاد الشعرية والنثرية ؟

(الهلال) دواوين الاستاذ العقاد هي : ديوان

... المقالات وتتألف من أربعة أجزاء . ووحي الأربعين . ومجموعة ديوان . وعابر سبيل

ومؤلفاته النثرية هي : الفصول . مراجعات في الادب والفنون . مطالعات في الكتب والحياة ، ومجمع الأحياء . وساعات بين الكتب . والحكم المطلق في القرن العشرين . وابن الرومي . وسعد زغلول وشعراء مصر . وعالم السدود والقيود . وقصة سارة وكتاب الديوان في النقد وضعه مع الأستاذ المازني

عدد التوائم

(الخرطوم — السودان) يوسف الحسن بكر

سمعت من ناس أثق بهم أن امرأة من بلادنا جاءها المخاض في الشهر الخامس أو السادس من شهور الحمل ، فوجد أنها كانت تحمل عشرة أجنة أو أكثر ؟ . فهل يصدق الاطباء أن المرأة يمكن أن تحمل مثل هذا العدد ، وهل تستطيع أن تستمر في حملها هذا مدة الأشهر التسعة كلها ؟

(الهلال) إذا كان ما ذكرتم صحيحاً فهو من خوارق الطبيعة التي لا نظن أن الاطباء قد شاهدوا كثيراً من أمثالها . ولكن من المؤكد أن المرأة لا يمكن أن تحمل عشرة أجنة معا حتى تتم شهور الحمل كلها ، فان أكبر عدد من التوائم عرف حتى الآن هو سبعة توائم وضعتهم امرأة ألمانية تدعى « آنا رومر » سنة ١٦٠٠ ، ومع هذا فان هذه الحالة لم تثبت ثبوتاً علمياً قاطعاً وهي موضع ارتياب الاطباء . بل إن الاطباء يشكون في امكان وضع ستة توائم ، فان الحالات التي اختبروها بأنفسهم لم تتجاوز خمسة توائم . ومع هذا فقد مات جميع هؤلاء التوائم أو أكثرهم عقب الولادة ، ما عدا « توائم ديون الخمسة » . وهم التوائم الذين ولدوا في أمريكا سنة ١٩٣٤ ، وما زالوا أحياء حتى اليوم بفضل الرعاية الطبية الدقيقة

خلاصة الحديد

(القاهرة — مصر) ومه [illegible]

[illegible] عامة الريف أن صدأ الحديد غذاء نافع في [illegible] ، ولهذا يقبلون على شرائه حتى صار من [illegible] يتاجر فيها بالاسواق . فما رأيكم في هذا؟

(الهلال) من المعروف أن صدأ الحديد دواء ناجع في علاج الانيميا « فقر الدم » ولهذا يصفه كثير من الاطباء للمصابين بهذا الضعف الجثماني . ولكن نعتقد أن هذه المادة التي تباع في الاسواق تضر أكثر مما تنفع ، لأنها قذرة ملوثة بالغبار والجراثيم ، فننصح بعدم تناولها . على أن خير مقو للجسم هو « خلاصة الكبد » ، فقد ثبتت فائدتها حتى في معالجة حالات الانيميا العنيفة ، إذ أن كل سنتيمتر مكعب من هذه الخلاصة يزيد في قوته على عشرة أرطال كاملة من الكبد الطازجة

الغجر

(حلب — سوريا) عبد الله عبد المحسن

هل قبائل الغجر المنتشرة في أكثر بلاد العالم ترجع الى أصل واحد ؟ وأين موطنهم الاول ؟

(الهلال) يرى بعض العلماء أن طائفة الغجر التي تحيا حياة البدو الرحل ، وتمارس أعمال السحر والشعوذة والسلب ، ليست الا ظاهرة اجتماعية ، أي أن من المحتمل أن تقوم من كل مجتمع طائفة من أفراده يحبون هذه الحياة ويمارسون هذه الاعمال ويصيرون « غجراً » متميزين في مظاهر حياتهم عن سائر طوائف المجتمع

ولكن أغلب المؤرخين يجمعون على أن قبائل الغجر المنبثة في معظم بلاد أوربا وآسيا وأفريقيا يرجعون الى أصل واحد ، يختلفون في موطنه الاول وتاريخه القديم . فمنهم من يظن أنهم كانوا طائفة دينية قديمة تعيش في آسيا الصغرى ، ومنهم من قال إنهم نشأوا في شمال الهند ، ثم رحلوا صوب الغرب مشتتين في الاقاليم التي اختاروها . وبعضهم يزعم أنهم مصريون ولهذا يطلقون عليهم كلمة Gypsy المشتقة من اسم مصر الاوربي Egypte . والغجر انفسهم يزعمون أنهم من نسل الرومان ، وأن روما هي موطنهم الاصلي .

ولكن من المعروف أنهم لم يظهروا في أوربا قبل القرن الرابع ، وهذا ما رجح أنهم وفدوا اليها من شرق آسيا أو شمال افريقيا . وقد كانت للغجر لغة خاصة بهم ولكنها كادت تنقرض ، إذ اندمجت أكثر قبائلهم في الشعوب التي تعيش فيها ، وإن ظلت محافظة بتقاليدها ومظاهرها الغريبة

وكلاء الهلال

فى الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St. 85 New York, N.Y. (U.S.A.)
فى اللاذقية	سوريا	الخواجه طه شكف
فى انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لاذقانى
فى طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندى خورى ـ غرفة القراءة الامريكية
فى حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
فى الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
فى بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	نجيب افندى طباره ٩ شارع الماس بيروت
فى دمياط		زكريا افندى الحزاوى، ناظر مدرسة الحزاوى
فى مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس ص . ب ٩٧ مكة
فى الارجنتين		Sr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
فى جاوه		Mr. Abdullah Bin Afif—Cheribon Java
فى القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى